الفكاهة اللغوية في التراث العربي

إعداد

محمد محمود عارف الخطيب

إشراف

الأستاذ الدكتور رسلان بني ياسين

حقل التخصص- اللغة والنحو

١٤٢٩هـ

٢٠٠٨م

الفكاهة اللغوية في التراث العربي

إعداد

محمد محمود عارف الخطيب

بكالوريوس لغة عربية، جامعة اليرموك ٢٠٠٣م

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص اللغة والنحو في جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

وافق عليها

أ.د رسلان بني ياسين..رئيساً

أستاذ اللغويات، جامعة اليرموك

أ.د سمير شريف استيتية..عضواً

أستاذ اللسانيات، جامعة اليرموك

أ.د سلمان القضاة ....عضواً

أستاذ اللغة والنحو، جامعة اليرموك

أ.د لطفي أبو الهيجاء..عضواً

أستاذ اللغويات النفسية، جامعة اليرموك

١٤٢٩هـ

٢٠٠٨م

الإهداء:

إلى الشمس التي أعطت بلا حدود .... وما زالـــت .... أمي

إلى القــمر الذي أنـار الـــدرب .... وقت الظـلام .... أبي

إلى النجـوم التي أعـشقـهـا ... وأنـتشي لرؤيتـها............إخواني

إلى كل عاشق للعربية...................... وكل محب للفكاهة

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الدراسة

محمد

كلمة شكر:

فيض من الشكر، وسيل من الامتنان، أقدمهما بين يدي أستاذي الدكتور رسلان بني ياسين؛ جزاء ما أولاني من صنوف رعايته، وأنعم عليّ بأنواع فضله، وأفرغ من جميل صدره، في الإشراف على هذه الرسالة . . . .

وللأستاذ الدكتور سمير استيتية غرر من المحامد، وجمل من الثناء، لعلها تقوم بجرمة صنيعه، وتؤدي حق إحسانه، وتقضي فريضة جهده، في إخراج هذه الدراسة، على هيئتها الظاهرة. . . .

لهما مني التقدير كله، والإجلال كله، والمودة كلها .

و أقدم جزيل شكري، وعميق ودّي، للأستاذ الدكتور لطفي أبو الهيجاء، وللأستاذ الدكتور سلمان القضاة، لجهودهما في قراءة هذه الدراسة، ولتفضلهما بمناقشتها .

كما أقدّم الشكر والامتنان للأساتذة الأفاضل: الأستاذ أحمد عنيزات، والأستاذ جلال الزعبي، والأستاذ حسان دواغرة، والأستاذ نايف دواغرة، والأستاذ "محمد نور" الدهني. فالشكر موصول لكل هؤلاء، لتقديمهم التشجيع الدائم، وإسدائهم النصح الصادق . . . وإلى كل من ساعد في إتمام هذا العمل. . . .

محمد

الملخص

الخطيب، محمد محمود. الفكاهة اللغوية في التراث العربي. رسالة ماجستير بجامعة اليرموك.٢٠٠٨.

(المشرف:أ.د.رسلان بني ياسين).

تبحث هذه الدراسة في الفكاهة، بوصفها ظاهرة اجتماعية، وبحكم علاقتها باللغة. فمنذ القديم تابعت الفكاهة الدراسات اللغوية، وصوّرت كثيراً من القضايا اللغوية، واستمرت في كل الأوقات كذلك، حتى غدت اللغة مادتها ووسيلتها. ولّا كانت الأخطاء والمزالق سبّباً في التفكّه أغلب الأحيان، فقد ترشدنا دراسة الفكاهة إلى بعض الأخطاء والانحرافات اللغوية. وبما أن الفكاهة تنفرد بمزايا ربما لا نجدها في غيرها من الظواهر، كعدم تكلّف الفصحى، فإننا قد نتوصّل من خلالها إلى بعض الحقائق المهمة.

تنطلق الدراسة من فكرة مفادها، أن الفكاهة وسيلة لتتبع الدراسات اللغوية، وأن اللغة تعد أسلوباً للفكاهة، لنرى إن كان تطبيق اللغة ومبادئ علم اللغة على الفنون والأنماط الأدبية المختلفة ممكناً،من جهة، ولتصوير كثير من القضايا اللغوية، من جهة أخرى. فتبدأ بدراسة الفكاهة تأريخياً، من خلال التوفيق بينها وبين اللغة في مراحلها المختلفة، والعوامل التي أثّرت في نشأة الفكاهة اللغوية، وبيان أهم صورها وأبرز أغراضها، ثم تُختتم بمحاولة تطبيقية على علم اللغة، واستثمار مبادئ هذا العلم لأغراض التفكّه والإضحاك. إن المراد من هذه الدراسة استحضار تصوّر عام للفكاهة اللغوية، وإبراز أهم الجوانب اللغوية في فن الفكاهة، وبيان مدى اعتماد هذا الفن على اللغة ومبادئها. أي أن الفكاهات التي تدخل في هذه الدراسة، هي الفكاهات التي تحوي قضايا لغوية بصورة مباشرة، والفكاهات التي تستثمر اللغة ومبادئها لأغراض متعددة.

الكلمات المفتاحية: الفكاهة، النوادر، الفكاهة اللغوية، لغة الفكاهة، التراث العربي.

المحتوى

الموضوع | الصفحة

تحتل الفكاهة مكانة بارزة في حياة الفرد والمجتمع، وللدلالة على أهميتها ومكانتها، يكفي الإشارة إلى أن الفكاهة تظهر في مختلف المجالات، في التلفاز والراديو، وفي الصحف والمجلات، وفي حياتنا اليومية، وعند كافة المجتمعات، بمختلف الطبقات[1].

ثمة علاقة بين اللغة أوالنطق، والفكاهة أوالضحك؛ فأكثر ما يتميز به الإنسان النطق والضحك. أضف إلى ذلك إن اللغة والفكاهة ظاهرتان اجتماعيتان؛ توجدان في المجتمع، وينبغي في كلتيهما مراعاة الإطار الاجتماعي، فالفكاهة تظهر نتيجة لبعض العيوب الاجتماعية، وقد تقلّ نتيجة لعوامل اجتماعية، كحالة الاجتماع مع كبار السن، أو مع العلماء، على سبيل المثال. أي أن الفكاهة قد تجسّد طبيعة اللغة، بوصفها ظاهرة اجتماعية.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين اللغة والفكاهة، وإبراز المواطن الطريفة التي يمكن أن تمدّنا بها اللغة. ويثير هذا الموضوع الانتباه إلى المواقف الفكاهية التي رافقت الدراسات اللغوية عند العرب؛ فلعلّ تتبّع تلك الفكاهات، يعكس بعض المثالب التي وقع بها اللغويون في دراساتهم وبحوثهم، من حيث إن الفكاهة تتبّع الأخطاء والمزالق، وتصوّر العيوب، في كثير من الأحيان.

إن كتب اللغة تخلو من الفكاهة، أو تكاد، ولذلك أسباب؛ لعلّ في مقدمتها، أن الدراسات اللغوية عند العرب وُجدت لغاية دينية تعليمية، وهي الحفاظ على القرآن الكريم، ووسيلة لتعليم غير العرب، وبقيت هذه الغاية بعد استقلال تلك الدراسات بنفسها، أضف إلى ذلك تشدّد اللغويين، ونهْي كثير من الحكماء والعلماء عن المزاح والضحك، فآثروا الجد والصرامة على الضحك والدعابة.

---

(1) انظر أهمية الفكاهة، ص ١٣وما بعدها، من هذه الدراسة.

برز اتجاهان للسخرية في الاستعمال اللغوي للعربية، وفي الدراسات اللغوية عند العرب: الأول السخرية من اللحن، الذي اقترن مع دخول غير العرب في الإسلام، فاتُّخذت الأخطاء اللغوية التي وقع بها غير العرب موضع تندّر وتفكّه، وفتحت آفاقاً للسخرية والتهكّم. أما الاتجاه الثاني، فهو السخرية من التشدّد في التزام الفصحى، في مختلِف المواقف، ومن غير مراعاة لمقتضى الحال، الذي توجبه اللغة، بوصفها ظاهرة اجتماعية.

وفي مقابل ذلك، تعتمد الدراسات الأدبية على إبراز الجماليات، ويبدو أن ذلك هو الذي جعل الفكاهة تقترن بالأدب، ومن ثم كان هذا مسوّغاً للاعتماد الكبير على المراجع الأدبية في هذه الدراسة.

الفكاهة ليست دائماً لتصوير العيوب، فقد توجد لغايات المرح والدعابة أيضاً، وفي هذا أهمية للدراسات اللغوية، فتكون حينئذ عامل جذب للقرّاء، واستثارة للدارسين للخوض فيها، والبحث في مظاهرها وقضاياها المختلفة.

لقد وُجدت السخرية ذات العلاقة باللغة، لغرض لافت للانتباه، وهو التعصّب، فكل شخص يرى في لغته جوانب مميّزة، مما يدفعه إلى السخرية من اللغات الأخرى، أو حتى من اللهجات المختلفة في إطار اللغة الواحدة.

تنبع أهمية هذا الموضوع من الأثر الذي يمكن أن تقدّمه الفكاهة للغة، من حيث إن للغة أهمية كبيرة عند الفرد والمجتمع؛ فاللغة لا تقتصر على التعبير عن الفكر، ولا تكتفي بالهدف الأسمى لها، وهو التواصل والتفاهم، وإنما تمتدّ لتفتح آفاقاً أخرى، تتمثّل بالترويح عن النفس والتفكّه والمرح، والانتشاء والسرور، فقد قيل: "خير لعب الإنسان لسانه".

يتجاوز مصطلح الفكاهة في هذه الدراسة، المفهوم الضيّق له، ليشمل كل ما هو طريف، وكل ما يحقّق متعة، أي كمصطلح عام شامل لكل أنواع الفكاهة والدعابة، مع مراعاة عدم إبراز الفكاهة الفاحشة-قدر الإمكان- والاكتفاء في الإحالة إليها.

إن المسوّغ لبحث ظاهرة الفكاهة، هو أنها نافذة نطلّ من خلالها على العيوب، وهي كذلك وسيلة لتقويم تلك العيوب، كما أنها مرآة تعكس الظواهر المختلفة، وطريق لفهم هذه الظواهر. وميّزة أخرى في الفكاهة، أنها لا تتكلّف الفصحى، كما هو الحال في الكتابة والتأليف. من هنا، ربما نستطيع الإلمام ببعض الخصائص اللغوية التي صوّرها كثير من الفكاهات. أضف إلى ذلك، أنها تقدّم القضايا اللغوية بصورة طريفة، وتعكسها بطريقة شائقة، فالهدف منها إضفاء الطرافة على تلك القضايا، وبعبارة أخرى، محاولة البحث عن "رفاهية لغوية" إن جاز التعبير.

يمدّنا علم اللغة الحديث بفروعه المختلفة، وفي تقسيمه اللغة لمستويات متعددة، بالوسائل التي تجعل اللغة تبدو طريفة في كثير من المجالات؛ فالفونيم والمقطع والفونيمات الثانوية، كالنبر والتنغيم والمفصل، والجوانب الصرفية والتركيبية، ومجالات علم الدلالة، كل هذه الأمور لها ملامح طريفة، أو قُل: يمكن أن تقدّم أساليب لإبراز نواح طريفة وفكهة في اللغة. فعلم اللغة ومبادؤه يساعد على اتخاذ اللغة لهذه الغاية، ويؤدي أثراً بارزاً في كتابة الفكاهة وإنتاجها، ويقدّم أيضاً فهماً أعمق للفكاهة ذاتها.

إن المادة التي تنتظمها الدراسة، هي مزاوجة بين التراث والمعاصرة: فكاهات قديمة نشأت مع الدراسات اللغوية، واقترنت بها في مختلف المراحل. ولعل ما يلفت الانتباه هنا، أنها لازمتها في جوانب سلبية، في الغالب؛ وثمة قضايا معاصرة ، وهي تدخل في مجال علم اللغة الحديث، فتحاول الدراسة ،في هذا السياق، استقراء الفكاهات اللغوية، أو التي تدور حول

اللغة، وفي فلك الدراسات اللغوية، ثم تتبّع الجوانب الطريفة في القضايا اللغوية، من المراجع التي اهتّم مؤلفوها بهذه النواحي، والبحث في المجالات التي تهتمّ بالمواقف الفكهة كالمسرحية والكاريكاتير والمقالات الساخرة وغيرها.

وحسب الدارس أن يقف على الدراسات التي بحثت في ظاهرة الفكاهة، ليجد أنها متعددة، غير أن تلك الدراسات كانت -في الغالب- لغايات فلسفية أو نفسية أو اجتماعيسة أو أدبية، ولعل أبرزها وأهمها: (الضحك) لبرجسون، و(سيكولوجية الفكاهة والضحك) لزكريا إبراهيم، و(الفكاهة عند العرب) لأنيس فريحة، و(الفكاهة في الأدب) لأحمد الحوفي، و(الفكاهة والضحك رؤية جديدة) لعبد الحميد شاكر... وغيرها من الدراسات. فما كُتب عن الفكاهة كثير، ولكنه يكاد يخلو من الاهتمام في الجوانب اللغوية، وإذا وردت هذه الجوانب فإنها، في الغالب، ترد مصادفة.

وقد أفادت الدراسة من مختلف المراجع، بتباين حقولها المعرفية، قديمها وحديثها، ولعل أهم المراجع القديمة التي أفادت منها، كتب الجاحظ المتنوعة، وخاصة كتاب "البيان والتبيين"، أما الحديثة فأبرزها كتاب فاطمة محجوب "دراسات في علم اللغة".

يُشار إلى أن الموضوعات التي ضمّتها هذه الدراسة، والتي هدت إليها الفكاهة هي موضوعاتٌ الغاية منها إثارة انتباه القارئ إلى ما يمكن أن تُرشد إليه الفكاهة، وهي متعددة، تحتاج كل منها إلى تحقق واف، وإثبات تاريخي، وتدقيق كبير، ولّما كانت الفكاهة -كاللغة- ظاهرة شائكة معقّدة، فاكتُفي في هذه الدراسة بإثارة القرّاء إلى المواضيع التي يمكن أن توصلنا إليها الفكاهة.

ولعل أبرز الصعوبات التي واجهت الدراسة هي تفرّق الفكاهات في مختلف كتب التراث العربي، وورود كثير منها دون نسبه إلى صاحبها، الأمر الذي يجعل تحديد الزمن

الذي ظهرت فيه صعباً. أضف إلى ذلك تعدد المجالات الطريفة التي اعتمدت عليها الدراسة، لاسيما في المستوى اللغوي التطبيقي، من مسرح وكاريكاتير وكتابات ساخرة، وطرائف متنوعة.

وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول. وقد اشتمل **الفصل الأول** على أمور داخلة في باب الفكاهة، ولها علاقة بها، فهي أمور تمهيدية لدراسة الفكاهة، كمعناها، والآراء التي دارت حولها، وبيان أهميتها وعلاقتها باللغة. وأما **الفصل الثاني**، فيبحث في نشأة الفكاهة اللغوية، والملابسات التي رافقت نشأتها، فحاول أن يتتبع الحركة اللغوية عن طريق الفكاهة، إذ أخذت الدراسة بالرأي القائل إن الفكاهة مرآة تعكس كل ما يدخل فيها، ثم حاولت في هذا الفصل استخلاص أبرز العوامل التي أدّت إلى نشأة الفكاهات اللغوية. وفي **الفصل الثالث** وهو صور الفكاهة اللغوية وأغراضها، فبيّنت الدراسة في الجانب الأول أبرز القوالب التي اندرجت فيها الفكاهة اللغوية، وأهم الموضوعات التي احتوتها، مع تناول لظاهرتين فكهتين في الفكر اللغوي العربي، ثم أبرزت في الجانب الثاني، أهم الأغراض التي جاءت لها الفكاهة اللغوية. وأما **الفصل الرابع** فيدرس الفكاهة في ضوء علم اللغة الحديث، بفرعيه علم اللغة النظري والتطبيقي، فيقدّم الفكاهة التراثية بثوب الدراسات اللغوية المعاصرة، ويحاول أيضاً إبراز فكاهات معاصرة في ضوء المنهج نفسه. وكيف يتم إنشاء الفكاهة في ضوء هذا العلم، في المجالات الفكاهية المختلفة؟.

وبعد، فهذه أفكار وقضايا، ستحاول الدراسة تناولها، وطرحها للمناقشة. وهي موضوعات مثيرة للتفكّر والتأمّل، ومحفّزة على البحث والدراسة.

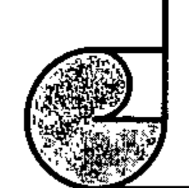
أسأل الله التوفيق والسداد والعون والرشاد

والحمد لله رب العالمين



الفصل الأول:

- معنى الفكاهة
- الفكاهة بين المعارضة والتأييد
- أهمية الفكاهة وأثرها الإيجابي
- لغة الفكاهة
- الفكاهة واللغة



(١)

معنى الفكاهة

جاء في لسان العرب "الفاكهة: معروفة وأجناسها الفواكه، والفاكِه الذي كثُرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض الناس، وفكههم بمُلح الكلام: أطرفهم، والاسم الفكيهة والفُكاهة. والفُكاهة (بالضم) المِزاح، فاكهت القوم بمُلح الكلامَ والمزاح، والمفاكهة: الممازحة، والفَكِـه: الطيب النفس، وتفكّهت بالشيء: تمتّعت به، والفكِه: الذي يحدّث أصحابه ويضحكهم"[١].

يظهر من هذه المعاني اللغوية أن للفكاهة لذّة؛ سواء أكانت لذّة مادية (كفاكهة الطعام)، أم معنوية (كطرافة الكلام)،وتوحي بعض معانيها بالتهكم والهجاء؛ إذ إن الفكه هو من يتلـذّذ بعيوب الآخرين.

تتداخل الفكاهة مع كثير من الظواهر، ولها دلالات متباينة، غير أنها جميعاً ترجع إلى أصل واحد، ولها هدف مشترك؛ فـ "الابتسام والضحك والبشاشة والمرح والفكاهة والمـزاح والدعابة والهزل والنكتة والمُلحة والنادرة والكوميديا، إنْ هي إلا ظواهر نفسية مـن فـصيلة واحدة"[٢].

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (فكه).

(٢) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر د.ت، ص٩.

فالفكاهة مصطلح شامل؛ يضم عدداً من المفاهيم، ويحتوي على مجموعة من المظاهر[1]. ولها دلالات متعددة؛ فثمة دلالات لغوية، وأدبية، وفلسفية، ودينية، وتراثية. وقد فصّل بعض الباحثين القول في هذه الدلالات، وما يتبعها[2].

(٢)

الفكاهة بين المعارضة والتأييد

١:٢

إن ما يثير الانتباه في ظاهرة الفكاهة، هو تعدد الآراء وتباينها حول هذه الظاهرة؛ فثمة نظرة ترى في الفكاهة ودلالاتها بعداً عن الحق، واستدراجاً من الشيطان، فيجب -لذلك- الابتعاد عنها، والتزام الجد والصرامة. بيد أن هناك رأياً معارضاً لهذا الرأي، يقبل الفكاهة، ويرى فيها لذة، وهروباً من الواقع المؤلم... .

ولعل استعراض الأقوال التي أثيرت حول هذه الظاهرة، يتيح للباحث الوقوف إلى ملابساتها، والموازنة بين تلك الآراء المتباينة، التي يعود سبب تباينها -فيما يبدو- إلى اختلاف المعايير في نظرة كل فريق.

مهما يكن من أمر، فإن كتب التراث أضاءت جوانب من هذا التعارض؛ فورد فيها أقوال توحي برفض الفكاهة والابتعاد عنها، فمن ذلك، ما يروى عن الرسولﷺ أنه قال:

---

(١) تناول شاكر عبد الحميد هذه المفاهيم والمظاهر بصورة مفصلة. انظر عبد الحميد،شاكر: الفكاهة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة – الكويت، ٢٠٠٣م، ص١٣-٥٩.

(٢) انظر قريحة، رياض: الفكاهة في التراث العربي المشرقي، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٢٢-٥٦.

"لاتُكْثِروا الضَّحِكَ فإنّ كَثْرةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ "[1]،وكذلك قولهﷺ: "ويلٌ للذي يُحَدِّثُ فَيَكْذب، لِيُضْحِك به القَوْم، ويْلٌ له ويل له."[2]؛ ويروى عن عمر رضي الله عنه(ت٢٣هـ) أنه قال: "مَنْ كَثُرَ ضَحِكُه قلّت هَيْبته"[3]، وقيل إنه عاب على بعض العظماء، فقال: "ذاك رجل فيه دعابة"[4]؛ وعن علي بن أبي طالب(ت٤٠هـ)، أنه قال: "إذا ضحك العالِم ضحكة مجّ من العلم مجّة"[5]، وعنه: "إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك"[6]. ويروى عن ابن عباس(ت٦٨هـ) في تفسير قوله تعالى: مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا" (الكهف: ٤٩)، أن الصغيرة الضحك، والكبيرة القهقهة[7].

لم تقتصر تلك النظرة إلى الفكاهة – في جانب منها– على الرسولﷺ وصحابته، ولكن نجد أقوالاً، في ذلك، لبعض الخلفاء والحكماء فيُروى عن عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) أنه قال: "اتقوا المزاح فإنه حَمَقَة تورث ضغينة"[8]؛ وقال بعض الحكماء: "إن المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك"[9]. ويُروى عن بعضهم: "تجنّب شؤم المزاح ونكد

---

(1) الألباني،محمد ناصر: صحيح سنن ابن ماجه ، المكتب الإسلامي-بيروت، ط١٩٨٦،١م.٤٠٨/٢. حديث رقم (٤١٩٣) .

(2)الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن : سنن الدارمي ، أشرف عليه وأعد فهارسه بدرالدين جتين ار، دار سحنون-تونس ، ط٢، ١٩٩٢م . ٦٠٤/٢. حديث رقم(٢٧٠٥) .

(3) الماوردي: أدب الدنيا والدين، بتحقيق مصطفى السقا، دار إحياء العلوم – بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٤٤١.

(4) الجاحظ: رسالة التربيع والتدوير ، بتحقيق وشرح فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب -بيروت، د.ت، ٥٠.

(5)الإبشيهي: المستطرف، بتحقيق إبراهيم صالح، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٩٩م ٢١٩/٣.

(6) المرجع نفسه، ٢١٩/٣.

(7) انظر الماوردي: أدب الدنيا والدين، ٤٤١.

(8) الغزّي: المراح في المزاح، بتحقيق بسام الحاجي، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٩٩٧م ٣٧.

(9) الإبشيهي: المستطرف، ٢١٩/٣. والراغب الأصفهاني: مجمع البلاغة ، بتحقيق عمر الساريسي، مكتبة الأقصى – عمان، ١٩٨٦، ٦١٢/٢.

الهزل فإنهما بابان إذا فُتحا لم يُغلقا إلا بعد عسر"[1]؛ وقال الأحنف بن قيس(ت٦٩هـ) -وقد ذهب قوله مثلاً- "كثرة الضحك تُذهب الهيبة وكثرة المزاح تُذهب المروءة"[2]؛ وقيل في المثل: "الحازم من ملك جدّه هزله"[3]؛ وقيل: "إنما سمي المزاح مزاحاً لأنه يزيح عن الحق"[4].

ورد كثير من الأقوال حول هذه المعاني، لو تتبّعناها لطال بنا المقال. ولعلّ السؤال البارز هنا: ما الجوانب السلبية في الفكاهة، حتى ولّدت هذه النظرة المعارضة؟!

إن نظرة فاحصة في الأقوال السابقة، تقود إلى الإجابة عن هذا التساؤل؛ فنجدها لا تَذُمّ الفكاهة ذاتها، إنما تذم المبالغة فيها وفي مظاهرها، أو بعبارة أخرى، في حال كانت هي السمة البارزة، التي تقود إلى البعد عن الحق، هذا من جهة؛ وهي تُعرض عن الفكاهة الفاحشة، أو التي فيها إساءة للآخرين من قذف وغيبة... من جهة أخرى؛ ومن جهة ثالثة، إنها تزدري الفكاهة غير الهادفة، أي التي تُتّخذ هدفاً وغاية، لا أسلوباً ووسيلة.

٢:٢

إذا كانت الفكاهة على هذا النحو – أي معتدلة وبريئة وهادفة – فلا ضير فيها، ويبدو أن هذه الأمور هي الجوانب الإيجابية للفكاهة، التي تولّد منها المذهب المؤيد لها.

---

(١) الأصفهاني، الراغب: مجمع البلاغة، ٦١٢/٢.

(٢) الميداني: مجمع الأمثال، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم – بيروت، د.ت، ١٢٩/٢.

(٣) المرجع نفسه، ٣١٨/١.

(٤) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ٤٣٦. وانظر الغزّي: المراح، ٣٧.

نجد أقوالاً تحبّذ الفكاهة، وترى فيها جوانب تستحق الاهتمام، فهذا أنس بن مالك(ت٩٥هـ) يصف رسول الله ﷺ بأنه كان من أفكه الناس[١]، وهو ﷺ القائل: "إنّي لأمزحُ ، ولا أقولُ إلا حقّاً"[٢]، ويُروى عنه ﷺ كثير من الأخبار في المزاح والدعابة[٣]؛ وقال أبو الدرداء(ت٣٢هـ): "إني لأجم نفسي ببعض الباطل كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يملها"[٤]؛ وقال علي عليه السلام(ت٤٠هـ): "لا بأس بالفكاهة يخرج منها الرجل عن حد العبوس"[٥]؛ ويروى عن بعض العرب: "روّحوا الأذهان كما تروّحوا الأبدان"[٦]؛ وكان الأصمعي(ت213هـ) يقول: "وُصلت بالعلم ونلت بالمُلح"[٧]؛ وقيل: "فاكهة الكلام أطيب من فاكهة الطعام"[٨].

هذه هي النظرة المؤيدة للفكاهة، فرأت وجوب الجمع بين الجد والفكاهة؛ ذلك أن الطبيعة الإنسانية تملّ السيرعلى نسق واحد، لأنه مدعاة للجمود والملل والرتابة. ولعلّ المقولة التي تلخّص هذه النظرة هي أن "الإفراط في المزاح مجون، والاقتصاد فيه ظَرَف، والتقصير

---

(١) انظر الغزّي: المراح، ٤٢.

(٢) الطبراني : الروض الداني إلى المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور ، المكتب الإسلامي- بيروت،ط١٩٨٥،١م، ٥٩/٢. حديث رقم (٧٧٩).

(٣) انظر في هذا الموضوع،النويري: نهاية الأرب ،٣/٤٠. والإبشيهي: المستطرف، ٢٢١/٣- ٢٢٢. والغزّي: المراح، ٤٢ وما بعدها.

(٤) الجاحظ: الحيوان، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، المجمع العلمي الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٩٦٩م)، ٧/٣ .

(٥) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، بتحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٣٦٤/٩.

(٦) الزمخشري: ربيع الأبرار، بتحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني - بغداد، د.ت، ٤٠/١.

(٧) الجاحظ: الحيوان، ٤٦٧/٣. وانظر البيان والتبيين، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م،١٩٩/١، ٢٤٣.

(٨) الحصري القيرواني: زهر الآداب، بتحقيق وشرح زكي مبارك، المكتبة التجارية - مصر، ط٣، ١٩٣١م، ١٦٢/١.

عنه ندامة"[1]. وورد هذا المعنى في قول سعيد بن العاص(ت٥٣هـ) عندما نصح ابنه بضرورة المزج بين الجد والمزح، معلّلاً ذلك بأن الإفراط في المزاح " يُذهب البهاء، ويجرّئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يَفضّ عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين"[2].

٣:٢

ولاستكمال جوانب الموضوع، يُشار في هذا الصدد إلى رأي الجاحظ(ت٢٥٥هـ)؛ فقد لخّص هذا التضارب، وبيّن حدوده وآفاقه، إذ يقول: "ذهب الناس في المزاح إلى معانٍ متضادة، وسلكوا فيه طرقاً مختلفة. فزعم بعضهم أن جميع المزاح خير من جميع الجد؛ وزعم آخرون أن الخير والشر عليهما مقسومان، وأن الحمد والذم بينهما نصفان"[3]. ثم ذكر أدلة كل فريق في هذا المجال[4].

يكون الجاحظ -بعد أن لخّص هذا التضارب- قد رسم تصوراً عاماً للموضوع، ثم صاغ قانوناً يمكن السير عليه، وهو "أن بعض المزح خير من بعض الجد، وعامة الجد خير من عامة المزح"[5]. وذهب إلى ذلك لأن "الكلام قد يكون في لفظ الجد ومعناه معنى الهزل، كما يكون في لفظ الهزل ومعناه معنى الجد، ولو استعمل الناس الرصانة في كل حال، والجد في كل مقال، وتركوا التسميح والتسهيل، وعقدوا أعناقهم في كل دقيق وجليل لكان السفه صراحاً خيراً لهم، والباطل محضاً أردّ عليهم، ولكن لكل شيء قدر ولكل حال شكل"[6].

---

(١) الحصري: زهر الآداب، ١٨٨/٢. وانظر الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، بتحقيق عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٣م، ٤٤٩.

(٢) الماوردي: أدب الدنيا، ٤٣٣.

(٣) الجاحظ: رسالة التربيع والتدوير، ٦٥-٦٦.

(٤) انظر المرجع نفسه: ٦٦-٦٧.

(٥) المرجع نفسه: ٦٨. وانظر البخلاء ، بتحقيق وتعليق طه الحاجري، دار المعارف – القاهرة، ط٦، ٧.

(٦) الجاحظ: رسالة التربيع والتدوير، ٥٥.

هذا هو "قانون الجاحظ للفكاهة"؛ فهو يريد المزاوجة بين الجد والفكاهة، وقد التزم بهذا في مصنفاته؛ فكان -كما وصفه عبد السلام هارون- "وكْدُه أن يبتكر وأن يُطرف، وأن يخلق للناس بديعاً، يمسح على جميعها الدعابة والهزل ويُشيع الفكاهة في أثناء الكلام. فجمع بذلك قلوب القارئين إليه، واستولى منهم بذلك على شتى ميولهم إلى ما يكتب، فصبوا إليه وأغرموا به غراماً!"[1].

خلاصة القول: إذا كان ثمة جوانب سلبية للفكاهة، يمكن تحاشيها؛ فإن لها أيضاً جوانب إيجابية، لا يمكن إغفالها، وإيجابياتها كثيرة، ربما تفوق سلبياتها. ولتقريب هذه النظرة، نتناول "أهمية الفكاهة وأثرها الإيجابي".

(٣)

أهمية الفكاهة وأثرها الإيجابي

الفكاهة ملازمة لكل العصور، ومقترنة بمختلف الفنون، ولا تخلو هذه الظاهرة من متعة ولذّة؛ لما تؤديه من بهجة وسرور، فهي الغذاء الروحي للإنسان، على اختلاف فئاته وطبقاته.

تبرز أهمية الفكاهة بوصفها "نزهة النفس، وربيع القلب، ومرتع النفس، ومجلب الراحة ومعدن السرور"[2]، فهذا الفن تطلبه النفوس، و"ترتاح إليه الأرواح، وتطيب له القلوب، وتُفتَقُ فيه الآذان، وتُشحَذُ به الأذهان، ويُطلِق النفس من رباطها، ويعيدُ إليها عادةَ نشاطها، إذا انقبضت بعد انبساطها، فقد قيل: القلب إذا أُكرِه عَمِي"[3].

---

(١) الجاحظ: الحيوان، (مقدمة التحقيق، ١/٧-٨).

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٦/٣٧٩.

(٣) الحصري: جمع الجواهر في الملح والنوادر "ذيل زهر الآداب"، بتحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط١، ١٩٥٣م، ٢.

يتبيّن هنا أهمية الفكاهة، فيظهر أن لها أثراً ترويحياً؛ تُخرج الإنسان من همومه وأحزانه إلى مرحه وسروره، وتؤول بالملل والجمود إلى الانشراح والمتعة. يضاف إلى ذلك، ما تقدّمه من تودّد إلى الآخرين، وإيناس إلى المخاطبين. هذا هو جانب من الجوانب الإيجابية للفكاهة؛ وقد قصر الماوردي أثرها على هذا[1].

وقد يكون للفكاهة أثرٌ في التواضع؛ إنها صورة من صور التواضع، وإن التزام الجد والصرامة –المبالغ فيهما– لَهُوَ ضَرْبٌ من التكبّر، أو هكذا يبدو. وهنا، نتساءل: هل تقتصر الفكاهة على هذا؟

إن الفكاهة لا تقتصر على هذا، ولا تكتفي بالأثر الترويحي الذي يلازمها، فهي "ليست هواية أو وسيلة فنية للترف الفكري، إننا نقتلها عندما نطالبها بأن تلعب هذا الدور"[2]. إذ تمتد لتؤدي أثراً آخر، لعله هدفها الرئيسي، إنه الإصلاح والتغيير والتقويم، فتكون – بهذا المعنى– جداً، يقول الجاحظ: "إن المزاح جدٌّ إذا اجتُلب ليكون علّة للجد"[3]؛ ويقول في موطن آخر: "متى أريد بالمزح نفعاً، وبالضحك الشيء الذي جُعل له، صار المزح جداً، والضحك وقاراً"[4].

بل لعلها، في بعض المواضع، أفضل من الجد، وربما تُمتع "بأكثر من إمتاع الجَزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني"[5]؛ وذلك لما فيها من تشويق، ولما تؤدّيه من انشراح، فـ "رُبَّ مجلس فضٍّ فيه ختام النشاط، ونُشِر بساط الانبساط، وفيه بغيض لا يفيض،

---

(1) انظر الماوردي: أدب الدنيا، ٤٣٧.

(2) اسكاربيت، روبير: الفكاهة ، ترجمة هدى علي، دار المستقبل العربي، ١٩٩٢م ، ١٣٥. وانظر في هذا المعنى، خريوش، حسين: أدب الفكاهة الأندلسي، منشورات جامعة اليرموك، د.ت ٦، ١١.

(3) الجاحظ: الحيوان، ٣٧/١.

(4) الجاحظ: البخلاء، ٧.

(5) الجاحظ: البيان والتبيين ، ١٤٥/١.

بقدح في مزح، قد ثَقُل ظلّه، وركد نسيمُه، وجمد هواه، وغارت نجومه؛ فاستثقله من حضر، وعاد صفوهم إلى كدَر.... ورُبّ مستثقل ازورّ له الجناب، وطال به الاجتناب، كانت له الفكاهة من أسباب الاقتراب"[1]. وقال أبو تمام(حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١هـ) في هذا المعنى:

الجِدُّ شِيمَتُهُ وفِيهِ فُكَاهَةٌ سُجُحٌ وَلا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ[2]

إذا كان علماؤنا القدماء يرون هذه المنزلة للفكاهة، فإن الفلاسفة -كذلك- يشيرون إلى أثرها الإيجابي، فلها -كما بيّنوا- وظيفة اجتماعية نافعة[3]. والضحك الذي تنتجه الفكاهة له لذّة، "إنها ليست لذة فنية لا ترمي ألبتة إلى نفع، بل إنها مشوبة بفكرة خفيّة، يحملها المجتمع نيابة عنّا إن لم نحملها نحن أنفسنا، إن فيها نيّة لا نصرّح بها، هي نية الإهانة فالإصلاح"[4].

ويؤكد هذا بعض العلماء[5]؛ فيرى زكريا إبراهيم أنها لا تؤدي هذه الوظيفة الاجتماعية فحسب، وإنما تعمل على "تقوية الروح الجماعية والتعاطف الجمعي بين أفراد الجماعة الواحدة"[6]. فهي "وسيلة تواصل في المجتمع، إنه التواصل الذي يلتقي فيه المرسل والمستقبل لينظر إلى قضايا الحياة والمجتمع عن طريق يمتزج فيه الجد بالهزل والمزاح"[7].

---

(1) الحصري: جمع الجواهر، ٢٨-٣١.

(2) أبو تمام: الديوان ، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، ط٣، دار المعارف-القاهرة، ١٩٧٦م، ١٠٢/١. (سُجُحٌ : هو الليّن).

(3) انظر برجسون: الضحك ، ترجمة سامي الدروبي وعبدالله النديم، مكتبة الأسرة – القاهرة، ١٩٩٨م، ١٨.

(4) المرجع نفسه، ٩٥.

(5) انظر إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٨٢.

(6) المرجع نفسه، ٨٥.

(7) استيتية، سمير: اللغة وسيكولوجية الخطاب ، المؤسسة العربية للدراسات – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٥٥.

هذه هي أهمية الفكاهة، وهذا أثرها الإيجابي، الذي يظهر على الصعيدين الفردي والجماعي؛ إنها لا تكتفي بالهروب من الواقع المؤلم والكآبة القاسية، وإنما تظهر ردة فعل لعيب ما أو اعوجاج معين، تُبرزهما لتطالبهما التصحيح والتقويم. وبعبارة أخرى، تظهر الفكاهة لتصحيح مسار، سواء مسار الجمود والملل، أم العيوب والأخطاء.

يُضاف إلى كل ذلك، أنه يمكن -بالفكاهة- تتبّع مختلف الظواهر ودراستها؛ فهي "خير مرآة تنعكس عليها أحوال كل مجتمع وما مرّ به من أحداث، وما اكتسب من مقوّمات، وما اندمج في خلقه من سمات"[1]. فالفكاهة وما تنتجه من ضحك لهما "دلالة اجتماعية واضحة؛ نظراً لأنهما متأثران بالوسط الاجتماعي المباشر والإطار الحضاري العام"[2]؛ لذلك يجب دراسة الانفعالات التي تنتجها الفكاهة داخل الإطار الحضاري العام لكل مجتمع من المجتمعات[3].

أخذ عبد الكريم اليافي بذلك؛ إذ درس (تطور المجتمع العربي من خلال تطور الفكاهة)[4]؛ فرأى في الفكاهة بعداً اجتماعياً، وجذوراً اجتماعية عميقة لا يمكن إغفالها؛ فهي سلاح يمكن استثماره في شتى الميادين، فقد تستغل في الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى اللغوية.

---

(1) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٩٥.

(2) المرجع نفسه ، ١٠٩.

(3) انظر المرجع نفسه، ١٨.

(4) انظر اليافي، عبد الكريم: دراسات فنية في الأدب العربي ، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٢، ٥٣٥-٦٧٤.

(٤)

لغة الفكاهة

الفكاهة لغة؛ فكما أن للغة بناءً معيناً، وتراكيب محددة، متى خرجنا عنها كان اللَّبْسُ إلينا أقرب والفَهْم عنّا أبعد، كذلك الفكاهة؛ فإن لها نظاماً تلتزمه، متى اختُلّ نظامها، أو حدث قصور في تركيبها الداخلي، وفي بينتها العميقة، امتنعت نتيجتها – وهي الضحك– وخرجت عن غايتها وهدفها، وهي النقد والتقويم.

إن للفكاهة مفردات خاصة، وتراكيب محددة، وبناء مميزاً، فهي تختلف عن لغة الكلام – في بعض جوانبها–، بل إنها تتحّى الإعراب لتصل إلى هدفها وغايتها. وقد عبّر الجاحظ ذات مرة عن ذلك، فقال: "إذا كان موضعُ الحديثِ على أنّه مُضْحِكٌ ومُلْهٍ وداخل في باب المزاح والطِّيب، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته، وإن كان في لفظه سُخْفٌ وأبدلتَ السّخافة بالجَزالة صار الحديث الذي وُضع على أن يَسُرَّ النفوس يُكْرِبُها، ويأْخُذُ بأكظامها"[1].

وقد تابع كثيرون الجاحظ في ذلك، فقال ابن عبد ربه(ت٣٨٢هـ): "من حكى نادرة مضحكة وأراد أن يوفي حقّها من الإعراب طمس حسنها، وأخرجها من مقدارها"[2]؛ وذكر الحصري(ت٤١٣هـ) من شروط المسامِر والمنادِر أنه "يجب إذا حكى النادرة الظريفة، والحكمة اللطيفة، ألاّ يُعْرِبَها فتثقل، ولا يُمَجْمِجَها فتجهل، ولا يمطمطها فتبرد، ولا يقطعها

(1) الجاحظ: الحيوان، ٣٩/٣. (يقصدبـ"الطيب:الهزل" . و"أكظامها":جمع كظم،وهو مخرج النفس)"المحقق". وانظر الحيوان، ٢٨٢/١. والبيان والتبيين، ١٤٥/١-١٤٦.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، بشرح وضبط أحمد أمين وآخرين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٣م ٤٨١/٢.

فتجمد.... وكذلك لو ذهب بما يحتاجُ إلى الإعراب من كلام الفصحاء والأعراب إلى اللحن لاستغثّ واسترثّ"[1].

وشبيه بذلك ما ذهب إليه "برجسون" عندما تحدث عن (النكتة اللفظية)؛ فرأى أنها "تجعلنا نفكر في نوع من إهمال اللغة التي تنسى وظيفتها لحظة ما، فنحاول عندئذ أن ننظم الأشياء وفقاً لها، لا أن تنتظم وفقاً للأشياء، فالنكتة اللفظية تكشف إذن عن "ذهول" مؤقت في اللغة، وهي بهذا تُضحك"[2].

إذن، من أساليب الفكاهة أن تبتعد عن اللغة الفصحى، فتعمد إلى لغة "محكيّة". وعكس هذا قد يكون صحيحاً أيضاً؛ أي "أن تعبر عن الفكرة الوضيعة بلغة رفيعة، أو أن تعمد إلى الموقف الوعر والحرفة الخسيسة، أو السلوك الشائن فتصف هذا كله بعبارات الاحترام الدقيق، فهذا مضحك بوجه العموم"[3].

يضاف إلى ذلك، أن من بواعث الضحك الخطأ اللفظي أو اللساني[4]. ويبدو أن هذه الخاصية في الفكاهة هي إحدى الأسباب التي تحول دون ترجمتها؛ إذا أضيف إليها أن النكات والدعابات، عموماً، مرتبطة بعادات المجتمع الذي تظهر فيه، وبأفكار القوم الذي تحوم حولهم هذه الفكاهات[5].

وقد تكون الفكاهة -في إحدى صورها- بديلاً عن لغة الكلام؛ فقد تساءل زكريا إبراهيم عن العلاقة بين الأنواع المختلفة من الابتسام، وعن المضمون السيكولوجي لتلك اللغة الإنسانية النوعية، التي سمّاها بـ "لغة الابتسام" ، ثم أجاب عن هذا التساؤل بقوله: "الابتسام

---

(1) الحصري: جمع الجواهر، ١٠. (يقال:مجمج الكتاب، لم يبين حروفه،أوغيره وأفسده)"المحقق".

(2) برجسون: الضحك، ٨٤.

(3) المرجع نفسه، ٨٦-٨٧.

(4) انظر إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ١٩٠.

(5) انظر المرجع نفسه، ٧٦.

وسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعي؛ بمعنى أنه ضرب من "التعبير" الذي يفصح به الموجود والفرد عن رغبته في إقامة بعض الروابط بينه وبين غيره من الأفراد. وآية ذلك أنه حينما يشعر الفرد بضرب من الخجل أو الحياء، لعجز ما في قدرته اللغوية، مما قد يحول بينه وبين صياغة أفكاره صياغة لفظية واضحة، فإنه قد يعمد إلى الابتسام في وجه مُحَدِّثه بدلاً من مجاذبته أطراف الحديث"[1]. فالابتسام، بذلك – وهو أحد مظاهر الفكاهة – يأخذ دور اللغة في بعض الأحيان.

(٥)

الفكاهة واللغة

بين الفكاهة واللغة توافق وائتلاف؛ فكما أن اللغة من خواص الإنسان، فالفكاهة ظاهرة بشرية محضة[2]؛ فقد ربط الفلاسفة بين الفكاهة والمقدرة اللغوية، فخصوهما بالإنسانية.

تحتاج اللغة إلى مجتمع تنمو به، وأشخاص يتّخذونها وسيلة للتخاطب والتفاهم. والفكاهة تتطلب مجتمعاً؛ فهي لا تأتي من فراغ، إنما تنشأ مع المجتمع، تتابع أفراده وسلوكهم، وكذلك لغتهم، فهي تعيش معهم وبهم؛ مأكلها من أخطائهم، ومشربها من عثراتهم. فاللغة والفكاهة كلتاهما تُعايش الإنسان وتتعايش معه، رأسياً – في حياته –، وأفقياً – بأفعاله وبعاداته–. غير أن الفرق بينهما، أن اللغة تتطور بتطور المجتمع[3] وتضعف بضعف أفراده، أما الفكاهة فهي تتكاثر بضعف المجتمع، وتُهمَّش بقوة أهله.

---

(1) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ١٥–١٦.

(2) انظر برجسون: الضحك، ١٦. وإبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٣٥.

(3)التطور في هذا السياق، لا يعني التغيّر، إنما يعني الازدهار والانتشار؛ فاللغة الإنجليزية مثلاً لغة متطورة، بوصفها منتشرة في مساحة واسعة من العالم.

الضحك يظهر قبل اللغة؛ فالطفل يضحك قبل أن ينطق كلاماً، بل إنه يضحك قبل أن يعرف اللغة، يقول الجاحظ: "الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه الذي هو علّة سروره ومادة قوته"[1].

غير أن ثمة ترابطاً بين ما تنتجه الفكاهة –وهو الضحك أو القدرة على الضحك– وبين القدرة على التعبير اللغوي. يعرّف التوحيدي(ت٤٠٠هـ) الضحك بقوله: "الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية، ذلك أنه حال للنفس باستطراق وارد عليها، وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة. وذلك الاستطراق إنما هو تعجب، والتعجب هو طلب السبب والعلة للأمر الوارد. ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عندما تنبعث من النفس"[2]؛ ويقول زكريا إبراهيم، حول هذا المعنى: "إن عملية الكلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنفس العضلات الوجهية والأجهزة النطقية التي تتركّز فيها عمليات الابتسام والضحك"[3].

تقوم الفكاهة –في إحدى صورها ومظاهرها– على التورية اللفظية، التي تنتج من الألاعيب اللغوية المختلفة، وهي "تقوم على عملية (التكثيف)، لأننا هنا نحمل اللفظ الواحد معنيين، فنجعل الذهن ينتقل في لحظة واحدة من معنى إلى آخر، وبذلك ننتزع منه استجابة الضحك"[4].

والتورية هي نمط ووسيلة؛ "نمط من التفكير ينجم عن أسلوب لغوي، ويتخذ هذا التفكير أسلوباً معيناً، وذلك بجعل القريب وسيلة للوصول إلى البعيد.... وقد تكون وسيلة

---

(1) الجاحظ: البخلاء، ٦.

(2) التوحيدي: المقابسات بتحقيق حسن السندوبي، دار المعارف، تونس، ط١، ١٩٩١م، مقابسة (٧١)، ص١٦٦.

(3) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٣٢.

(4) المرجع نفسه، ١٨٤.

للابتعاد عن فجاجة الكلام التي يثقل على الناس سمعها، فيقرب رفضهم للقول الفج المباشر، ويقع منهم موقع الاستهجان وعدم الاستحسان"[1].

يشار بعد كل هذا إلى أن اللغة منطوقة، وقد تُوثّق كتابةً، والفكاهة تقوم على النطق والحكاية، وقد تُجسّد رسماً، في إحدى صورها، وهو الرسم الساخر (الكاريكاتير).

من هذا نخلص إلى أن بين الفكاهة واللغة تشابهاً، في كثير من الجوانب. يضاف إلى ذلك أن الفكاهة قد تتخذ من اللغة أسلوباً، وقد تأخذ عليها كثيراً من النقد. وبعبارة أخرى قد تكون بعض أساليب اللغة وسيلة إلى الفكاهة، وقد تكون الفكاهة وسيلة إلى تتبّع الحركة اللغوية، والمظاهر اللغوية المختلفة، على نحو ما ستُظهره هذه الدراسة.

---

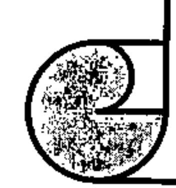
(1) استيتيه، سمير: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ١٢٠-١٢١.



الفصل الثاني

نشأة الفكاهة اللغوية:

- تمهيد
- تطور الحركة اللغوية بمرآة الفكاهة
- عوامل نشأة الفكاهة اللغوية



تمهيد:

الفكاهة مرآة صادقة، تعكس مختلف الظواهر، وتصوّر كثيراً من الجوانب. وتعد الفكاهة اللغوية إحدى صور الفكاهة؛ ويقصد بالفكاهة اللغوية هنا، تلك الفكاهات التي تشتمل على مسائل لغوية متعددة، وكذلك الفكاهات التي ظهرت نتيجة للانحرافات اللغوية المختلفة. فقد عكست الفكاهة جوانب كثيرة من الحركة اللغوية، ورسمت جانباً من شخصية اللغويّ، وصوّرت بعض التطور اللغوي الذي حدث في اللغة العربية.

ثمة سؤالان يتبادران إلى الذهن، قبل البحث في ظاهرة الفكاهة اللغوية، هما: متى ظهرت مثل هذه الفكاهات؟ وما العوامل التي أثّرت في نشأتها؟

يصعب تحديد الزمن الذي ظهرت فيه هذه الفكاهات، ولعلّها اتضحت ملامحها، وبرزت مظاهرها في العصر الإسلامي، واتّسعت صورها بتوالي العصور. غير أن هذا لا يعني أنها وليدة العصر الإسلامي، فقد يكون ثمة فكاهات لغوية قبل الإسلام.

إذا صحّ هذا الفرض، فالأغلب أن تكون تلك الفكاهات مقتصرة على ظواهر خاصة، ومحدّدة بصور معينة، لا ترقى إلى المستوى الذي وصلت إليه بعد الإسلام. وربما وُجدت بعض الفكاهات من الأخطاء التي تسببّها عيوب النطق مثلاً، كاللثغة والتأتأة والفأفأة والحُبسة وما إليها؛ أوالفكاهات الناتجة عن اختلاف اللهجات، كتلك القصة التي تُروى عن ملك ظفار، إذ "دخل عليه رجل فقال له الملك: ثِبْ. وثِبْ بالحِميرية: اجلس، فوثب الرجل فدقّت رجلاه. فضحك الملك لذلك"[1].

([1]) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية ، ط٢، د.ت، ٢٨/٢.

مثل هذه الفكاهات لا يمكن الاعتماد عليها، وبحثها بحثاً دقيقاً؛ وذلك لقلّتها، والفتـرة التي ظهرت فيها فترة يشوبها الغموض، وهي فترة لا تعطي صورة واضحة لتلك الفكاهـات. وربما كان لتشدّد بعض الحكماء إزاء الفكاهة، وعدم إبرازها في مصنّفاتهم أثرٌ في قلّة تلـك الفكاهات. أضف إلى ذلك أن البحث اللغوي عند العرب لم يظهر قبـل العـصر الإسـلامي، فالحركة اللغوية ظهرت بعد امتزاج العرب الواسع بغيرهم من الأمم في العصر الإسـلامي، لذلك لم تتّسع صور الفكاهة اللغوية تبعاً لهذه الظروف. ويدفعنا كـل ذلـك إلـى الاهتمـام بالفكاهات اللغوية التي ظهرت بعد العصر الإسلامي.

أما العوامل التي أثّرت في نشوء الفكاهة اللغوية، فلا يمكن الكشف عنها والإلمام بهـا قبل تتبّع الحركة اللغوية وتطورها، لذلك ستحاول الدراسة في الصفحات التالية، تتبّع الحركـة اللغوية،ورسم صورة للفكاهة اللغوية في مختلف المراحل، ثم استخلاص أبرز العوامل التـي أثّرت في نشأة هذه الفكاهات.

- بذور التفكير اللغوي:

كان للعرب قبل الإسلام اهتمامات عقلية، كالشعر والأمثال والحكم وما إليها. ولعل أكبر اهتماماتهم وعنايتهم تركزّت على الشعر، إذ "كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وعليه يصيرون"(١).

حرص العرب في الجاهلية على الشعر، وأخذوا يعتنون به ويحفظونه، ويُبرزون جيده من رديئة، ويحاولون تقويم عيوبه، فظهر لذلك كثير من النقد لبعض أبياته. يقول ابن خلدون(ت٨٠٨هـ): "اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب متنافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوكه"(٢).

ولا يخلو النقد الذي وُجّه إلى ذلك الشعر من إشارات لغوية، يدل على ذلك العيوب التي كان يقع بها الشعراء، كالإقواء والإكفاء والإيطاء وغيرها(٣)؛ وكذلك العيوب في استخدام بعض المفردات(٤).هذه الملاحظات اللغوية لم تقصد لذاتها، بل كانت خدمة للشعر.

ولم تقم دراسات لغوية لذاتها، تبعاً لمجموعة من العوامل؛ فاختلاط العرب بغيرهم كان قليلاً، ويكاد يقتصر على العلاقات الدينية والتجارية وما إليهما. وكان أكثر العرب في ذلك

---

(١) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ٢٤/١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ١١٧٦/٣.

(٣) الإقواء: هو رفع بيت وجر آخر أو نصبه. والإكفاء : اختلاف حرف الروي، أي أن يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر. أما الإيطاء: فهو إعادة القافية من غير اختلاف المعنى، أي أن يقفّى بكلمة ثم يقفى بها في بيت آخر.(انظر المرزباني: الموشح، ٤. والثعالبي: خاص الخاص، ٦٨).

(٤) انظر في هذا الموضوع: الجمحي: طبقات الشعراء، ٦٧/١ وما بعدها. وابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٩٥/١-٩٨. والقيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١٦٤/١-١٦٩.

الوقت بدواً، وفي هذا الطور يتجلّى ضعف التعليل، وعدم ربط المسبّبات بأسبابها(1). أضف إلى ذلك طبيعة الحياة الجاهلية القاسية، وانشغال العرب آنذاك بالحروب. كل تلك العوامل كانت من أسباب عدم التفكير في البحث اللغوي قبل الإسلام.

أما **العصر الإسلامي**، فقد تغيرت طبيعته، واختلفت ظروفه عن العصر الجاهلي؛ فتوسّعت معارف العرب واهتماماتهم، نتيجة لما جاء به الإسلام من تعاليم جديدة، فقد نظّم هذا الدين الجديد حياتهم، وأتاح للعرب الاختلاط الكبير بغيرهم من الأمم والشعوب. وكانت للغة العربية قيمتها ومكانتها البارزة. وأغلب هذه الظروف هي من تأثير القرآن الكريم.

اهتم المسلمون بالقرآن اهتماماً عظيماً، فأخذوا يحفظونه ويتدارسونه، ويُبرزون مظاهر إعجازه، ويبيّنون معاني مفرداته، وصياغة تراكيبه، فقد روي عن علي عليه السلام قوله: "سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه ابن الكَوّاء، فقال: ما (الذاريات ذرواً)؟ قال: الرياح، قال: فـ(الجاريات يُسْرا)؟ قال: السفن. قال: فـ(الحاملات وِقْرا)؟ قال: السحاب. قال: فـ(المقسّمات أمرا)؟ قال: الملائكة"(2).

وكان للخلفاء الراشدين حس لغوي مرهف، يدل على ذلك ما روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه (١٣هـ) "رأى رجلاً بيده ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله، فقال: لقد عُلِّمتم لو تتعلمون! هلاّ قلت: لا وعافاك الله!"(3).

هذه الإشارات تعد بذوراً للتفكير اللغوي عند العرب، وتمهيداً للدراسات اللغوية التي ظهرت فيما بعد.

---

(1) انظر أمين، أحمد: فجر الإسلام، ٣٩-٤٠.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ١٥/١٤٧-١٤٨. (ابن الكواء: هو عبدالله بن عمر اليشكري، كان خارجياً وكثير المساءلة لعلي بن أبي طالب تعنتاً). انظر ابن دريد: الاشتقاق، ٢٠٥.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/٢٦١. وانظر الثعالبي: ثمار القلوب، ٦١١. والحريري: درة الغواص، ٣٠. والعاملي: الكشكول، ١/٣٧٣. والإبشيهي: المستطرف، ١/١٥٤.

- **الفكاهة والانحرافات اللغوية:**

عندما جاء الإسلام، دخل في هذا الدين شعوب وقبائل متعددة، وامتزجت تلك الشعوب مع العرب، وكانت اللغة العربية آنذاك لغة الدين والدولة، فقد أصبحت غاية كل من دخل في الإسلام، فأثّر هذا الاختلاط على العربية، وظهر كثير من الأخطاء والانحرافات.

كانت تلك الانحرافات باعثاً على التفكّه، لأنها غريبة عن الذوق العربي، الذي لم يألف مثل هذه الأخطاء؛ ذلك أن "النطق الشاذ لا يجلب أتباعاً لصاحبه، بل لا يجلب له بوجه عام إلا السخرية منه"(1).

صوّرت الفكاهة كثيراً من تلك الانحرافات اللغوية، التي كان يقع بها غير العرب، وظهرت على شكل تبدّلات في بعض الأصوات، وأخطاء في بنية الكلمة وصياغتها، وأخرى في تركيب الجملة. واتّسع تأثير ذلك على العرب أنفسهم، وتمثّلت الأخطاء التي وقع بها العرب –على الأرجح– في ضبط أواخر الكلمات، وسميّت هذه الأخطاء والانحرافات – فيما بعد – باللحن.

اختلف في زمن وقوع اللحن، هل كان قبل الإسلام أم بعده؟ ولعل سبب هذا الاختلاف يعود إلى تعدد معاني هذه اللفظة وتباينها. ويبدو أن هذا اللحن ظهر في عهد مبكر من العصر الإسلامي، إذ يروى أن رجلاً لحن بحضرة النبي، فقال ﷺ : "ارشدوا أخاكم"(2)، و يروى عنه

---

(1) فندريس: اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ١٩٥٠م، ص٦٩.

(2) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ٤٧٧/٢، حديث رقم (٣٦٤٩) .

ﷺ قوله: "أنا أعْرَبُ العَرَبِ، ولَدَتْني قُرَيشٌ، ونَشَأتُ في بني سَعْدِ بنَ بَكْرٍ فأنّى يأتيني اللَّحْنُ."[1]؛ وقال أبو بكر رضي الله عنه: "لأن اقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن اقرأ فألحن"[2].

يشكّك بعض الدارسين في صحة هذه الروايات، فقد ذهب يوهان فك إلى أن هذه الأحاديث مصنوعة ذُكرت للتدليل على سلامة اللغة، واحتُجّ بها على شرعية الخطأ اللغوي[3].

مهما يكن من أمر هذا اللحن، وبغض النظر عن معانيه المتعددة والمتباينة[4]، فقد كان للحن -بمعنى الخطأ اللغوي- أثر كبير، وذلك عندما انتشر واستشرى، فكان سبباً في بداية التفكير اللغوي عند العرب، والدافع لذلك هو القرآن الكريم؛ إذ خُشي أن يؤثر هذا اللحن على القرآن، بل بيّنت بعض الروايات أنه وصل فعلاً إلى بعض الآيات، فقد روي أن أبا الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) سمع قارئاً يقرأ: "....أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ"(التوبة:٣)، (بكسر اللام)، فقال: "لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئاً أُصلح به نحو هذا"[5].

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ٦/٣٥-٣٦. حديث رقم (٥٤٣٧).

(٢) اللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين، ٢٣. ويُروى هذا الخبر عن عمر بن الخطاب، ويضاف إليه قوله: "لأنني إذا أخطأت رجعت، وإذا لحنت افتريت" .انظر الزجاجي: علل النحو، بتحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص٩٦.

(٣) انظر فك، يوهان: العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي -القاهرة، ١٩٨٠، ص٨٤-٨٥.

(٤) انظر في معاني لفظة (اللحن)، وتطور دلالاتها: القالي: الأمالي، ١/٤-٧. وفك: العربية، ٢٤٣-٢٥٥. وأنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة ،مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ط٧، ١٩٩٤، ص١٩٨-٢١١. وعبد التواب، رمضان: لحن العامة والتطور اللغوي، ٩-٢٩.

(٥) المفضل، محمد بن مسعر: أخبار العلماء النحويين، ١٦٦-١٦٧. ويُروى هذا الخبر عن زياد بن أبيه، انظر ابن النديم: الفهرست، ٦٠.

- **الفكاهة وبداية التفكير اللغوي:**

كان لامتزاج العرب بغيرهم من الشعوب، وما تبعه من انتشار اللحن تأثير في التفكير اللغوي عند العرب، ففي ظل هذا اللحن، كان لا بد من التفكير في وسيلة تضبط اللغة العربية، وتدرأ الخطر عن القرآن الكريم، من أن يتسلل إليه أي لحن.

إن بداية التفكير اللغوي عند العرب تتمثل في "النحو"، وقد تعدّدت أسماء من تنبّهوا إلى هذه الوسيلة، فتبرز أسماء علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي وزياد بن أبيه(ت٥٣هـ). وتباينت الروايات في تحديد السبب الذي دعاهم إلى ذلك[١].

كان لتعدد الروايات التي اقترنت بنشأة النحو أثر في زيادة الغموض الذي شاب هذه النشأة، ودعت ببعض الدارسين إلى التشكيك في صحتها؛ فقد عدّ بروكلمان هذه الروايات من قبيل الأساطير[٢]، ورفض أحمد أمين أن يكون أي من أبي الأسود وعلي بن أبي طالب قد وضع النحو، لطبيعة الزمن الذي عاشا فيه، ويرى أن إقحام اسم علي بن أبي طالب كان من وضع بعض الشيعة، أما عمل أبي الأسود، فاقتصر – كما يرى أمين– على وضع الأساس لهذا النحو[٣].

إن بداية نشأة النحو فترة يعتريها كثير من الملابسات، ولعل ذلك يعود إلى تعدد الروايات التي اقترنت بها. ومن الغريب أن نجد تشابهاً كبيراً بين بعض تلك الروايات، كالتي

---

(١) انظر في هذا الموضوع، مثلاً الجمحي: طبقات الشعراء، ١٢/١. والجاحظ: البيان والتبيين، ٢٢٢/٢. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٥٩/٢. والمبرد: الفاضل في اللغة والأدب، ٥. والسيرافي: أخبار النحويين البصريين، ٣٣-٣٦. والحموي: معجم الأدباء، ٣٥/١٢. والقفطي: إنباه الرواة، ٣٩/١ وما بعدها، والأغاني: ٢٩٨/١٢.

(٢) انظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ١٢٣/٢. وشبيه بهذا الرأي ما ذهب إليه إبراهيم أنيس. انظر من أسرار اللغة، ٢٤٧.

(٣) انظر أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ٢٨٥/٢-٢٨٩.

كانت بين أبي الأسود وابنته، وبين حكاية هندية، يوردها البيروني (ت٤٤٠هـ) في أولية النحو عند الهنود، وهي "أن أحد ملوكهم واسمه "سَمَلواهن" وبالفصيح "سَاتَباهَن" كان يوماً في حوض يلاعب فيه نساء، فقال لإحداهن: "ما وَدَ كَنْدَ هِي"، أي: لا ترشي عليّ الماء، فظنّت أنه يقول: "مُودَ كند هي"، أي: احملي حلوى، فذهبت فأقبلت به، فأنكر الملك فعلها، وعنّفت هي في الجواب، وخاشنت في الخطاب، فاستوحش الملك لذلك، وامتنع عن الطعام كعادتهم، واحتجب إلى أن جاءه أحد علمائهم وسلّى عنه، بأن وعده تعليم النحو وتصاريف الكلام، وذهب ذلك العالم إلى "مهاديو" مصلياً مسبحاً وصائماً متضرّعاً إلى أن ظهر له وأعطاه قوانين يسيرة كما وضعها في العربية أبو الأسود الدئلي ووعده التأييد فيما بعدها من الفروع، فرجع العالم إلى الملك وعلّمه إياها، وذلك مبدأ هذا العلم، ويتلوه "جَنْدُ" وهو وزان الشعر المقابل لعلم العروض."[1]

هذه الحكاية دفعت بأحمد أمين أن شكّك في القصة العربية، ورأى أنها موضوعة على نمط الحكاية الهندية[2]. غير أننا لا نستطيع متابعة أمين في ذلك، والأخذ بما ذهب إليه لمجرد التشابه بينهما، دون الاعتماد على أدلة تاريخية قوية.

إن الأخذ بما ذهب إليه أمين، والتسليم به، يعني التشكيك في حقائق هامة في الفكر اللغوي العربي، وإنكار جهود علمائنا السابقين، وجحد الفضل الذي قدموا.

وثمة ما يدل على عدم صحة ما ذهب إليه البيروني، وتابعه في ذلك أحمد أمين؛ فكتاب البيروني هذا، "كتاب حكاية" -كما يذكر هو نفسه في المقدمة-، والحكايات التي يوردها أكثرها "مسطور في الكتب منحول، وبعضها عن بعض منقول وملقوط مخلوط، غير مهذّب

---

(1) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ١٠٥.

(2) انظر أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ٢٤٥/١.

على رأيهم ولا مشذّب"[1]، كما أن علوم الهند نفسها غير مهذّبة؛ "فلا تكاد تجد لذلك لهم خاص كلام إلا في غاية الاضطراب وسوء النظام، ومشوباً في آخره خرافات العوام"[2].

أضف إلى ذلك أن البيروني قضى شطراً من حياته خارج الديار العربية، فلا يُستبعد أن يكون إعجابه بتراث الأمم الأخرى، قد دفعه إلى أن يضيف إليها كل الفضل. هذا إذا لم تثبت نزعته الشعوبية، كما تدل مواضع متفرّقة في الكتاب[3].

نلمح في الروايات التي اقترنت بنشأة النحو – بغض النظر عن صحتها– خيوطاً للفكاهة؛ فكثير من تلك الروايات لا يخلو من طرافة، من ذلك مثلاً، ما روي من أن رجلاً جاء إلى زياد بن أبيه، فقال:"إنّ أبينا هلك، وان أخينا غصَبَنا على ميراثنا من "أبانا"، فقال زياد: ما ضيَّعْتَ من نفسك أكثرُ مما ضيّعت من ميراثك، فلا رحم الله أباك حيث ترك ولداً مثلك!"[4].

ورُوي كذلك، أنه مرّ بأبي الأسود سعد الزندخاني الفارسي وهو يقود فرسه، فقال: "مالك يا سعد، لِمَ لا تركب، قال: إن فرسي ضالع، أراد: ظالعاً، فضحك به بعض من حضره، فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة فلسو علّمناهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول"[5].

هذه الرواية التي تصور بداية التفكير اللغوي، فيها جانب من الفكاهة، يدل على ذلك ردّة الفعل التي قابلت قول "سعد الزندخاني"؛ إذ قوبل خطؤه بالضحك، فهذا يدلّ على أن الخطأ اللغوي، كان يقابل بالتفكّه والتندّر.

---

(1) البيروني: مقدمة كتاب تحقيق ما للهند، ٤.

(2) المرجع نفسه: ١٩.

(3) انظر مثلاً: ص١٣٢.

(4) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ١٥٩/٢. وانظر الجاحظ: المحاسن والأضداد، ٢٥. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٥٩/٢. والزمخشري: ربيع الأبرار، ٢٤٨/٣. وابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٤٥٢/٩.

(5) ابن النديم: الفهرست، ٦٠.

صوّرت الفكاهة جوانب من بداية الحركة اللغوية عند العرب، بل صوّرت ما قبل هذه الفترة، أي الفترة التي كثرت فيها الانحرافات والأخطاء اللغوية، فكان غير العرب يقعون في أخطاء في أصوات الكلمة وفي بنية الكلمة وفي تركيب الجملة، وأثرت على العرب أنفسهم وإن كانت في صورة أخرى، أي في ضبط أواخر الكلم، مما استدعى إلى التفكير في وسيلة لضبط اللغة، ودرء الخطر عن القرآن، فكان النحو.

النظرة الإيجابية للنحو:

كان يُنظر إلى النحو نظرة إيجابية في بداية وضعه، ذلك أنه عُدّ علاجاً لآفة اللحن، إذ كان النحو أداة أُريد بها التخفيف من وطأة اللحن، فهو لذلك وسيلة لحفظ اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، إذ نجد أقوالاً كثيرة وأشعاراً، تمدح النحو، الذي به تُضبط اللغة العربية من اللحن، وتحفظ القرآن من أن يتسلل إليه أي خطأ. يقول المبرد(ت٢٨٦هـ): "أفضل ما قُصد له من العلوم كتاب الله.... وأفضل العلوم بعدُ علم اللغة وإعراب الكلام، فإن بذلك يُقرأ القرآن، وعليه تُروى الأشعار، وبه يزيّن كتابه، ويحلّى لفظه"[١].

هذه الحقيقة تفسّر لنا سبب وجود تلك الأقوال والأشعار التي تمدح النحو، بل تحضّ على تعلّمه، قال عمر رضي الله عنه: "تعلّموا النحو كما تتعلّمون السنن والفرائض"[٢]؛ وكان أيوب السختياني(فقيه أهل البصرة ت١٣١هـ) يقول: "تعلّموا النحو فإنه جمال للوضيع، وتركه هجنة للشريف"[٣]؛ ويقول إسحاق[٤] في مدح العربية:

---

(١) المبرد: الفاضل في اللغة والأدب، ٤.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/٢١٩.

(٣) المرجع نفسه: والصفحة نفسها.

(٤) هو اسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب، من شعراء المعتصم، كان من أحسن الناس إنشادا. مدح الملوك وكان له مذهب في التشيع (ت٢٣٠هـ) تقريباً. انظر ترجمته: الصفدي: الوافي بالوفيات، ٨/٤١١-٤١٢. والكتبي: فوات الوفيات، ١/١٦-١٧.

النَّحْــوُ يَبْــسُطُ مِــنْ لِــسانِ الأَلْكَــنِ		والمَــرْءُ تُكْرِمُــهُ إذا لَــمْ يَلْحَــنِ

وإِذا طَلَبْــتَ مِــنَ العُلُــومِ أَجَلَّهَــا		فَأَجَلُّهَــا مِنْهَــا مُقِــيمُ الأَلْــسُنِ[1]

كان للنحو شأن أي شأن، ويبدو أن هذه النظرة الإيجابية للنحو، وُجدت بوصف النحو خادماً للقرآن، معيناً على قراءته. ولعل أفضل من يصوِّر هذا، علي بن الحسين الضرير (جامع العلوم ت٥٣٥هـ)، إذ يقول:

أَحْبِــبِ النَّحْــوَ مِــنَ العِلْــمِ فَقَــدْ		يُــدْرِكُ المَــرْءُ بِــهِ أَعْلَــى الــشَّرَفْ

إِنَّمَــا النَّحْــوِيُّ فِــي مَجْلِــسِهِ		كَــشِهابٍ ثَاقِــبٍ بَــيْنَ الــسُّدَفْ

يخْــرِجُ القُــرآنَ مِــن فِيْــهِ كمــا		تَخْــرُجُ الــدُّرَّةُ مِــنْ بَــيْنِ الــصَّدَفْ[2]

هذه الفترة، أي بداية نشأة النحو، تكاد تخلو من الفكاهة اللغوية حول النحو؛ ذلك أن الفكاهة –في الغالب– تقوم على تصوير العيوب، أما النحو فقد وجد لهدف سامٍ، هو حفظ اللغة وضبطها، وحفظ القرآن، واستخدم وسيلة تعليمية لغير العرب، أما الروايات التي اقترنت بنشأة النحو وفيها جانب من الفكاهة، فهي تصور اللحن، وكان يُعدّ من العيوب.

- **الفكاهة واللحن في العصر الأموي:**

بقيت الدراسات اللغوية مقترنة بالقرآن الكريم حيناً من الدهر، وفي هذه الفترة كان يُنظر إلى اللحن بازدراء وامتعاض، فعُدّ الوقوع به من العيوب، ووردت أقوال ومواقف طريفة تعكس هذه الحقيقة، فمن ذلك قول أبي الأسود: "إني لأجد للّحن غمْزاً كغمْز اللحم"[3]؛ وقول عبد الملك بن مروان(ت٨٦هـ): "اللحن هجنة على الشريف"، وكذلك قوله: "اللحن في

([1]) ابن قتيبة: عيون الأخبار،١٥٧/٢. وانظر المبرد: الكامل، ٢٣/٢.

([2]) الفيروز آبادي: البلغة،١٥٥. وانظر القفطي: إنباه الرواة، ٢٤٩/٢. والسيوطي: بغية الوعاة، ١٦١/٢.

([3]) ابن قتيبة: عيون الاخبار: ١٥٨/٢.

المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه"[1]؛ وقد نفى الحجاج(ت٩٥هـ) يحيى بن يعمر(ت١٢٩هـ) إلى خراسان، عندما أخبره بلحن له في القرآن الكريم[2]؛ وكان معلم الرشيد يضرب على الخطأ واحداً وعلى اللحن سبعاً"[3]، حتى قُرن قبول الدعاء بالسلامة من اللحن[4].

هذه الأقوال والمواقف تدل على أن اللحن كان يعدّ من العيوب، فقد "عُدّ وصمة عار،وأصبح كافياً للحط من منزلة الخطيب أو الشاعر وللحط من مكانة الرجل في الهيئة الاجتماعية"[5]؛ وتدل كذلك على شيوع هذا اللحن وانتشاره، حتى استحق التنبّه إليه، والتحذير منه.

استمرت الفكاهة في العصر الأموي بتصوير الانحرافات والأخطاء اللغوية، ولم تقتصر تلك الانحرافات على الموالي، بل كانت من بعض العرب. ودارت هذه الفكاهات حول الخلفاء والقادة بشكل كبير، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى طبيعة العصر الأموي، الذي غلب عليه الطابع السياسي.

ولعل أبرز الأسماء التي اقترنت بها تلك الأخطاء من الخلفاء، الوليد بن عبد الملك(ت٩٦هـ)؛ فقد اشتهر بأنه يقع في اللحن كثيراً في مختلف المواقف، وقوبل هذا اللحن

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/٢١٦. وانظر ابن قتيبة: عيون الأخبار: ٢/١٥٨. وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/٤٧٩. والعاملي: المخلاة، ٢٢. واليغموري: نور القبس، ٣. وابن عبد البر: بهجة المجالس، ١/٦٦.

(٢) انظر المبرد: الكامل، ١/٢٧٩. والسيرافي: أخبار النحويين البصريين، ٤١. والحموي: معجم الأدباء، ٢٠/٤٢-٤٣. وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/٤٧٩.

(٣) الأصفهاني، الراغب: محاضرات الأدباء، ١/٥٥.

(٤) انظر الزمخشري: ربيع الأبرار، ١٦٢٤. والإبشيهي: المستطرف، ٣/٢٨٥.

(٥) أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، ٢٠١.

بازدراء من بعض أقربائه، فيُروى أنه قرأ: "يا ليتها كانت القاضية" (بالرفع)، فقال أخوه سليمان: "عليك"[1].

ووُصف عمر بن عبد العزيز بالفصاحة، فكان نموذجاً مختلفاً عن الوليد بن عبد الملك، وكانت له مواقف من اللحن الذي انتشر في ذلك العصر، ولا تخلو هذه المواقف من طرافة، فمن ذلك ما يُروى عن بشر بن مروان بن عبدالملك بن الحكم (ت٧٥هـ) قوله لغلام له، وعنده عمر بن عبد العزيز: ادع لي صالحاً، فقال الغلام: يا صالحاً. فقال له بشر: ألق منها ألفْ. فقال له عمر: وأنت فزد في ألفك ألفاً[2].

ويبرز في ذلك الوقت اسم الحجاج بن يوسف، فعلى الرغم مما وُصف به من بلاغة وفصاحة، إلا أنه لم يسلم من اللحن، كما صوّرته كثير من الفكاهات. ولعل هذا الطعن في الحجاج غير صحيح، أو على الأقل مبالغ فيه، لما عُرف عن الحجاج من الشدّة والحزم، ويُرجّح ذلك الروايات المتعددة في هذا المجال، وأغلبها في القرآن الكريم، فروُي أنه "قرأ من سورة (هود): "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ"(هود:٤٦)، فلم يدر كيف يقرأ: (عمل) بالضم والتنوين، أو(عمل) بالفتح، فبعث حرسيّاً فقال: ائتني بقارئ، فأتى به، وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه، فحبسه ونسيه حتى عَرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر، فلما انتهى إليه قال له: فيم حُبِستَ؟ قال: في ابن نُوح، أصلح الله الأمير، فأمر بإطلاقه"[3].

مهما يكن من أمر هذه الروايات التي دارت حول الحجاج، فإن ورودها حول شخصية كالحجاج، الذي اشتُهر بالخطابة والفصاحة، يدل على أن اللحن كان يعد في ذلك الوقت من العيوب، حتى إن خصومه وجدوا في هذا مجالاً للقدح في شخصيته وفصاحته.

---

(1) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٤٥٢/٩. (توفي سليمان بن عبدالملك ٩٩هـ)
(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٢١/٢. وانظر ابن عبد ربه: العقد الفريد،٤٧٩/٢، ٤٢٣/٤-٤٢٤.
(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣٦/٥. وانظر لحنه في آية من سورة العاديات في: عيون الأخبار، ١٦٠/٢.

أما الموالي، فلهم مواقف طريفة في ذلك، وتصوّر الفكاهة بعضاً من الانحرافات التي كانوا يقعون فيها، وهي انحرافات في الأصوات، كالتي كانت لفيل مولى زياد بن أبي سفيان[1]؛ وانحرافات صرفية، ومما يروى في هذا المجال أنه "مرّ رجل بدار ميّت فقال: من المتوفِّى؟ قال له رجل: الله. فقال له: يا كافر الله يموت؟ فقال: لعلك تريد المتوفَّى؟"[2]؛ وكذلك تركيبية، ومنها ما كان بين أبي الجهير الخراساني النخاس(وهو رجل من العجم) والحجاج، حين قال له الحجاج: "أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان؟ قال: "شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها، وكما تجي نكون"، قال الحجاج: ما تقول، ويلك! فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطاء، وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك، يقول: شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن، يبعثون إلينا بهذه الدواب، فنحن نبيعها على وجوهها"[3]، ويُروى بعد أن فسروا له ذلك، ضحك وكان لا يضحك.

كانت تلك الأخطاء والانحرافات اللغوية باعثاً على التفكّه والتّندر والتهكّم، وقد صوّرت الفكاهة جوانب من تلك الأخطاء، وهي تدل على أن اللحن قد انتشر واستشرى في تلك الفترة.

وثمة عوامل ساعدت على انتشار اللحن، منها أن "اللغة العربية لغة معربة، وهذا يجعلها من أصعب اللغات، ويجعل الفساد يسرع إليها"[4]، أضف إلى ذلك استخدام العرب للموالي في مجالات كثيرة، فكان ذلك دافعاً آخر لانتشار اللحن، فيروى أنه "اختصم رجلان

---

(1) نتجاوز هذه الفكاهة لما فيها من فحش .انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٣/١، ١٦٥. والحيوان: ٢٣٣/٧-٢٣٤. والمحاسن والأضداد: ٢٥.

(2) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٩٠/١.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ١٦١/١-١٦٢. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٦٠/٢. والأصفهاني: محاضرات الأدباء، ١/ ٨٩.

(4) أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ٢٥٢/٢.

إلى عمر بن عبد العزيز، فجعلا يلحنان، فقال الحاجب: "قما فقد أوذيتُما أميرُ المؤمنين". فقال عمر للحاجب: أنت والله أشدّ إيذاءً إليّ منهما!"[١].

تبدو الفكاهة إلى هذه الفترة قليلة، فلم تتّسع صورها، وتكاد تقتصر على تصوير بعض الانحرافات اللغوية المختلفة. وإذا أخذنا بالرأي السائد، الذي يرى في الفكاهة سلاحاً، وردة فعل للعيوب، أمكننا أن نفسّر قلّة الفكاهات، في بداية نشأة الدراسات اللغوية، إذ كان لتلك الدراسات أثر إيجابي، وهو حفظ النصوص وخدمتها. فاقتصرت الفكاهة في هذه الفترة على تصوير عيوب اللحن، وانحرافات الألسنة.

- **الفكاهة وجمع اللغة:**

أخذت الدراسات اللغوية تستقل بنفسها، وتنفصل عن النصوص، وأصبحت غاية لذاتها، وذلك عندما استدعت الظروف لضبط اللغة، فتنبه اللغويون إلى ضرورة البحث اللغوي، وبدأوا بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب. ويبرز في هذه المرحلة أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) والخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) والأصمعي (ت٢١٣هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) وأبوحاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ).

كانت الخطوة الأولى في عمل اللغويين، الخروج إلى البادية، ولقاء الأعراب الذين لم تتأثر لغتهم، والسماع منهم، وتدوين الملاحظات على تلك اللقاءات، قال الأصمعي: "رآني أعرابي وأنا أكتب كل ما يقوله، فقال: ما أنت إلا الحفْظَة، تكتب لفظ اللفظة"[٢].

هذه الظروف أثّرت في تطور الفكاهة اللغوية، وكانت عاملاً على زيادتها، فبدأت الفكاهة اللغوية في هذه المرحلة تتضح أكثر من ذي قبل، وأخذت تظهر صورها على نحو

---

(١) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ٢٥. وانظر البيهقي: المحاسن والمساوئ، ١٥٩/٢.

(٢) العاملي: الكشكول، ٢٦٠/٢. وترد هذه الرواية لابن الأعرابي ،انظر ابن قتيبة: عيون الاخبار،١٢٢/٢.

أوسع. ولعل أوضح صورة للفكاهة اللغوية في هذه المرحلة، تلك التي تصوّر اصطدام الأعراب بالمصطلحات اللغوية، التي كان اللغويون قد وضعوها دون معرفة الأعراب.

إن الفكاهات التي خلفّتها هذه المرحلة كثيرة، وأغلبها يدور حول سؤال يطرحه لغوي على أعرابي، فيُجيب الأعرابي بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي، الذي أراده اللغوي، فيؤول إلى معنى مضاد، فمن ذلك مثلاً ما روي أنه "قيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ فقال: الهرة تهمزها"[1]. وشبيه بذلك أن أعرابياً سُئل: "هل ينصرف إسماعيل؟ فقال: نعم، إذا صلى العشاء فما قعوده"[2].

تدلّ مثل هذه الفكاهات -أو على الأقل هكذا أُريد منها- أن الأعراب في البادية لم تتأثر لغتهم، لبعدهم عن الاختلاط الذي حدث إبّان مجيء الإسلام. ولا يُستبعد أن يكون بعض الأعراب قد تعمّد مثل هذه الأجوبة ليثبت أن لغته لم تتأثر، وذلك لحاجة اللغويين إليهم، وللأعطيات التي كان ينفقها اللغويون عليهم في بعض الأحيان.

وثمة فكاهات أُريد بها إثبات السليقة اللغوية، التي كان يمثلها الأعرابي-خير تمثيل-، إذ يروي أبو حاتم السجستاني(٢٥٥هـ) حادثة وقعت بينه وبين "أعرابي"، إذ يقول: قرأ عليّ أعرابي فقال: "طيبى لهم وحسن مآب" فقلت: طوبى فقال: طيبى، فقلت ثانياً: طوبى، فقال: طيبى، فلما طال عليّ قلت: طوطو، فقال الأعرابي: طي طي."[3].

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٥٧/٢.

(2) الأصفهاني، الراغب: محاضرات الأدباء، ٩٠/١. وانظر بعضاً من مثل هذه الفكاهات: الجاحظ: الحيوان، ١٨/٣. والبيان والتبيين: ٢٢٠/٢-٢٢٢. والمبرد: الكامل، ١-٣٩٠. وابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ٩٧. والتوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٥٧/٢. وابن عبد البر: بهجة المجالس، ١-١٠٤. وابن عاصم الأندلسي: حدائق الأزاهر، ٦٥. وابن حمدون: التذكرة الحمدونية: ٩-٤٠١. والزمخشري: ربيع الأبرار: ٢٥٦/٣.

(3) الحموي: معجم الأدباء، ١٠٣/١٢.

ويُروى كذلك عن السجستاني أنه "دخل بغداد فسئل عن قوله تعالى: "قوا أنفسكم" ما يُقال فيه للواحد؟ قال: قِ، فقال: فالاثنين؟ فقال: قيا، قال: فالجمع؟ قال: قوا، قال: فاجمع الثلاثة، قال: ق، قيا، قوا. قال: ومن ناحية المسجد رجل جالس ومعه قماش، فقال لواحد: احتفظ بثيابي حتى أجيء ومضى إلى صاحب الشرطة، وقال: إني ظفرت بقوم زنادقة يقرءون القرآن على صياح الديك. فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة، فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة، فسألنا، فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر"(١).

تعكس هذه الفكاهة عدم معرفة العامة للنحو وقضاياه، كما تبيّن تأخّر بغداد عن القيام بالدراسات اللغوية، حتى أن السجستاني قد دُفع للعودة إلى البصرة، وعدم القيام ببغداد والأخذ عن أهلها، كما توضحّه هذه الفكاهة.

صوّرت الفكاهة جوانب من مرحلة جمع اللغة، وما قام به اللغويون في تلك المرحلة إلى البادية، من لقاء الأعراب. ولعل أبرز سمات الفكاهة التي اقترنت بهذه المرحلة، هي تصوير الأعراب، وإثبات أن لغتهم لم تتأثّر، وذلك من خلال إبرازها لعدم معرفتهم للمصطلحات اللغوية، ومن الأمثلة كذلك ما يروى أنه "جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم، ثم جالس أصحاب النحو، فسمعهم يقولون: نكرة ومعرفة، فقال: يا أعداء الله يا زنادقة"(٢). وكذلك ما يروى أنه "وقف أعرابي على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو، وما يدخل معه فحار وعجب وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تقول يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا"(٣).

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ٦٠٦/١.

(٢) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١١٤.

(٣) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ١٣٩/٢.

غير أن شخصية الأعرابي هذه لم تبق على حالها، فقد تحوّل الأعرابي من جاهل باللغة ومصطلحاتها إلى عالم بهما، إذ يُروى أن أعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ) جادياً مستميحاً، فظنّ أبو زيد أنه جاء ليسأل مسألة في النحو، فقال أبو زيد: سل يا أعرابي عما بدا لك، فقال على البديهة:

لستُ للنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لا، ولا فيه أرْغَبُ

أنا مالي ولا مْرِئ أبَدَ الدَّهْرِ يُضْرَبُ[1]

إن شخصية الأعرابي وطبيعته تعد صورة للإلمام بمرحلة جمع اللغة، ووثيقة لقراءة تلك المرحلة؛ ويمكن عن طريق الفكاهة استيعاب بعض الجوانب من تلك الفترة؛ فالفكاهة عكست جوانب من عمل اللغويين، ورسمت جانباً من شخصية الأعرابي، والمواقف التي كانت بينه وبين اللغويين في هذه المرحلة.

- **تغير النظرة إلى الدراسات اللغوية:**

بدأت الدراسات اللغوية عند العرب بالنحو، وذلك في ظروف خاصة، ولغاية محددة، فكان أداة أُريد بها تعليم غير العرب العربية، وضبط الكلام العربي. ولعلّ أوضح من عبّر عن ذلك ابن جنى(ت٣٩٢هـ)، إذ عرّف النحو بأنه "انتحاء سمت كلام العرب ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدّ إليها"[2].

وعندما بدأ النحاة بوضع القوانين لتحقيق هذه الغاية، غالوا في ذلك، إذ كان ينبغي أن تكون تلك القوانين –كما يرى ابن خلدون– "وسائل للتعليم، لكنهم أجروها على غير ما قصد

---

(1) السيرافي: أخبار النحويين، ٦٩. واليغموري: نور القبس، ١٠٧.

(2) ابن جني: الخصائص، ٣٤/١.

بها، وأصاروها علماً بحتاً، وبعدوا عن ثمرتها"[1]. وظلّت الغاية التعليمية مقترنة بالنحو، على الرغم من تطوّر هذا العلم.

تَبيّن أن السبب في نشأة النحو هو اختلاط العرب بالموالي، وما تبع ذلك من انتشار اللحن، فهذا يعني أن الموالي هم السبب في ظهور النحو، ولم يقصد من النحو إذ ذاك لذاته، إنما خدمة للقرآن وعوناً لغير العرب، غير أنه أصبح غاية تقصد لذاتها، بل غدا علماً أبرز علماءه من الموالي كعيسى بن عمر(ت١٤٩هـ) وسيبويه(ت١٨٠هـ) وأبي علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) وغيرهم.

عقد ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) في مقدمته فصلاً بعنوان (في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم)، وعلّل ذلك بأن الملّة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة، وعندما كثر استخراج الأحكام من الكتاب والسنة، وفسد اللسان، نشأت العلوم وقوانينها، فاندرجت في جملة الصنائع التي هي منتحل الحضر، والعرب أبعد الناس عنها، وانشغلوا عن العلم بالرياسة[2].

يبدو ابن خلدون مغالياً في ذلك، غير أن المتأمل في الدراسات اللغوية عند العرب يجد في ذلك وجهاً للحقيقة، وربما كانت هذه الحقيقة بداية تغيّر النظرة إلى النحو، ولعلها ظهرت مبكرة، إذ يُروى أن عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) رأى قوماً من الفرس ينظرون في النحو، فقال: "لئن أصلحتموه لأنتم أول من أفسده"[3].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ١١٤٨/٣.

(2) انظر ابن خلدون ، المقدمة : ١١٢٢/٣-١١٢٤.

(3) المبرد: الفاضل، ٤. ويُروى هذا الخبر عن الشعبي في: البيان والتبيين، ٤٧٨/٢. والعقد الفريد: ٤٧٨/٢ وأخبار النحويين لأبي طاهر المقرئ: ٢٣.

وساعد على تغير النظرة إلى النحو ما دخله من قياس وعلل، ويُقال إن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ) هو "أول من بعج النحو، ومدّ القياس والعلل"[١]، وقد كان لهذا القياس "أثر كبير في تفريع المسائل وتنويعها"[٢]. وبتوالي الأيام ازداد اهتمام النحويين بالقياس والعلل، وما يلزم المناقشات من براهين وحجج، يقول الزجاجي(ت٣٣٧هـ): "إن النحو علم قياسي ومسبار لأكثر العلوم لا يُقبل إلا ببراهين وحجج"[٣].

فمغالاة النحويين وإسرافهم في دراسته أثّر في تغيّر النظرة إليه، فهذا عمار الكلبي يقول في هجاء النحويين:

ماذا لقينا من المُستَعْرِبِينَ وَمِنْ ... قياسِ نَحْوِهِمْ هَذا الذي ابْتَدَعُوا....

كَم بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلى إعْرابِهِمْ طُبِعُوا[٤]

أضف إلى ذلك، أنهم اعتمدوا في دراسته على تراث غيرهم من الأمم، فمنذ القرن الأول الهجري "درس السريان والفرس شروحات أرسطو، التي راجعها الرواقيون والأفلاطونيون المحدثون. كما أن ابن المقفع، الأديب الشهير الذي ارتدّ عن المزدكية إلى الإسلام، والذي كان صديقاً للخليل بن أحمد، يسّر للخليل هذا الاطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية"[٥]. ولعلّ العرب تأثروا بمثل هذه الدراسات، لا سيما في النحو، إذ يذهب بعض الدارسين إلى "أنهم نسجوا في تبويبة على منوال السريان....ويؤيد

---

(١) الجمحي: طبقات الشعراء، ١٤/١.

(٢) أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ٢٧٧/١.

(٣) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ٤١.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ١٠٣/١٢-١٠٤. والقفطي: انباه الرواة، ٤٢/٢. وبهجة المجالس: ٦٩/١-٧٠.

(٥) كوربان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ٢٢٠-٢٢١. (توفي ابن المقفع ١٤٥هـ)

السريان....ويؤيد ذلك أن العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان"[1].

في حين يخالف ذلك شوقي ضيف ويرى أنه وليد العقل العلمي العربي[2].

يرجّح تأثّر اللغويين العرب بغيرهم، وخاصة بالفلاسفة اليونانيين، أمثال أرسطو؛ فالمقارنة بين ما قام به اللغويون، وبين ما بحثه أرسطو تكشف عن تأثرهم به، فالاستقراء والقياس والحد، مسائل بنى اللغويون عليها دراساتهم اللغوية، وهي مسائل كان أرسطو قد بحثها في منطقه[3].

هذه الظروف كانت من أسباب صعوبة النحو، ومن عوامل تغيّر النظرة إليه، وقد عبّر عن ذلك (دماذ)[4]، إذ كتب لأبي عثمان النحويّ[5] يشكو من صعوبة النحو، قائلاً:

تَفَكّرْتُ في النَّحْوِ حَتى مَلَلْتُ وَأتْعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالبَدَنْ... [6]

وقيل في نحو هذا:

النَّحْوُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمه إذا ارْتَقَى فِيْهِ الذي لا يَعْلَمُهْ

([1]) زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، ١/٢٢١. وانظر تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ١٧٢.

([2]) انظر ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، ١٢١.

([3]) انظر بدوي، عبد الرحمن: أرسطو، ٧٩ وما بعدها.

([4]) هو رفيع بن سلمة أبو غسان، المعروف بـ(دماذ)، كاتب أبي عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه، كان شاعراً هجاء خبيث اللسان. انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٣/١٣٠٧-١٣٠٨.والوافي بالوفيات، ١٤/١٣٩.

([5]) هو بكر بن محمد المازني. من أهل البصرة، أستاذ المبرد، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وروى عنه المبرد والوراق. كان قديراً على الكلام، ومن كتبه: ما يلحن فيه العامة، وعلل النحو الصغير، وكتاب العروض، والتصريف وغيرها، توفي (٢٤٩هـ). انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٢/٧٥٧-٧٦٥.(اعتمدت لأغراض الترجمة طبعة إحسان عباس، ١٩٩٣م.)

وانظر الوافي بالوفيات، ١٠/٢١١-٢١٦.

([6]) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢/١٥٦. والبيهقي: المحاسن والمساوئ، ٢/١٥٧.

زلّــتْ بِــهِ إلــى الحَـضِيْضِ قَدَمُــه   يُرِيْــدُ أنْ يُعْرِبَــهُ فَيُعْجِمَــهُ"[1]

أصبح يُنظر إلى النحو باستصغار وسخرية، حتى قيل في النحويين: "أغـزرهم علمـاً أنزرهم فهماً"[2]؛ وقيل فيهم، وقد جرى مجرى المثل: "أضعف من حجّة نحـوي"[3]. وغـدا يُنظر إلى النحو بأنه سبب في التقصير في المعنى، إذ يُروى أن أبا موسى كلّم بعض قـوّاده فلحن، فقال: لِمَ لم تنظر في العربية؟ فقال: بلغني أن من نظر فيها قلّ كلامه، فقال: ويحك لأن يقلّ كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ"[4].

ويدل على هذه النظرة، كذلك، ما يورده التوحيدي؛ فذكر أن النحويين "يهرجوا كلمة بعد كلمة من ناحية الإعراب والصوغ"، لذلك فهو يورد على لسان أبي سـليمان قولــه: "إذا استقام لك عمود المعنى في النفس بصورته الخاصية، فلا تكترث ببعض التقصير في اللفظ". ثم يذكر بعد ذلك بأنه "متى جمح اللفظ ولم يوات.... فلأن تخسر اللفـظ الـذي يرجـع إلـى الإصلاح، أولى من أن تعدم حقيقة الغرض الذي يرتقي إلى الإيضاح"[5].

قد يكون رأي التوحيدي هذا، ناتجاً من المناقشات التي دارت بين النحويين والمناطقة في زمانه، غير أنه يصور جانباً مما آل إليه النحو.

صحيح أن كل هذه العوامل ساعدت في تغيّر النظرة إلى النحو، غير أنه كان للنحوي مكانته، على الأقل عند الخلفاء، فد تبوأ مكانة مرموقة عند الخلفاء، فكان بمثابـة المستـشار اللغوي عندهم، واتخذوه مؤدباً لأبنائهم، فلاقى لذلك حظوة كبيرة، وبُذل لأجله كثير من المال، يدل على ذلك ما يُروى أنه كان عند المهدي(ت١٦٩هـ)، مـؤدب يـؤدب ابنـه هـارون

([1]) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤٧٩/٢.
([2]) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٥٥/١.
([3]) السيوطي: بغية الوعاة: ٣٥٢/١.
([4]) الإبشيهي: المستطرف، ٨١/١.
([5]) التوحيدي: المقابسات، (مقابسة٩١)، ص٢١٠-٢١١.

الرشيد(ت١٩٣هـ)، فسأله كيف الأمر من السواك، ثم أرشده إلى الكسائي، فأجاب عنه بـ: سك... فأمر له بعشرة آلاف درهم[١].

ولعل مكانة اللغويين هذه، كانت سبباً في كُره اللغويين، وظهور الحسد لهم، فأصبحنا نرى كثيراً من الهجاء في اللغويين[٢]. وربما كان للتكبر والتعالي الذي أظهره بعض اللغويين أثر في بغضهم، والحقد عليهم، فمن ذلك ما يحكى عن ملك النحاة[٣](ت٥٦٨هـ) أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكروا واحدا منهم يقول: كلب من الكلاب، فقال له رجل يوماً – متهكماً ساخراً-: " فلست إذاً ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب"[٤].

يتّضح من كل ذلك أن النظرة إلى النحو قد تغيّرت، فبعد أن كان يُنظر إلى النحو نظرة إيجابية، أصبح يُذمّ، وغدا النحوي منبوذاً، وموضع تهكم وسخرية. وقد عكست بعض الفكاهات هذا التحول الكبير في النظرة إلى النحو، ومن ذلك ما يُروى "أن بعض الفصحاء كان يدخل على بعض عمال البصرة وهو يعرب في كلامه، فقال له يوماً: إن لم تترك الإعراب ضربتك، فقال: إني إذاً أشقى الناس به، ضُربت صغيراً لأتعلّم، وضُربت كبيراً لأترك"[٥].

هذا بالنسبة للنحو، أما التصريف فقد دُرس مقترناً بالنحو بداية، فلم ينفصل عنه إلا في مرحلة متأخرة. وعندما أخذ النحويون يدرسونه، وُجد صعوبة فيه، وكان غريباً، فلم يفهمه

---

(١) في هذه الرواية جانب من الفحش. انظر ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٣٤.

(٢) من الأمثلة على ذلك ما قاله ابن حجّاج في الكسائي، فقد أسرف في هجائه، وهي أبيات في غاية الفحش انظر الثعالبي: ثمار القلوب، ٦٤٧.

(٣) هو أبو نزار الحسن بن صافي، قيل إنه ولد سنة (٤٨٩هـ)، سمع الحديث وقرأ الفقه والخلاف، وقرأ النحو. من مصنفاته: الحادي في النحو، والعمد في النحو، والمقتصد في التصريف وغيرها، توفي(٥٦٨هـ). انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٨٦٦/٢-٨٧٣. ووفيات الأعيان،٩٢/٢-٩٤. والوافي بالوفيات، ٥٦/١٢-٥٩.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ١٣٢/٨. وانظر السيوطي: بغية الوعاة، ٥٠٥/١.

(٥) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٥٥/١. انظر ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٤٠٠/٩.

البعض. وربما ثورتهم على التصريف كانت من أسباب ترك النحو، يقول أبو مُسْلم، مؤدب عبد الملك بن مروان:

قَدْ كانَ أَخْذُهُمُ في النَّحْوِ يُعْجِبُني حَتى تعاطَوْا كَلامَ الزَّنْجِ والرُّوْمِ

لمّا سَمِعْتُ كَلاماً لَسْتُ أَحْسِنُهُ كَأَنّهُ زَجَلُ الغِرْبانِ والبُومِ

تركْتُ نَحْوَهُمْ والله يَعْصِمُني مِنَ التَّقَحُّمِ في تِلْكَ الجَرائِمِ[1]

وتُروى هذه الأبيات لأعرابي في مجلس الكسائي، وهي تعكس الصعوبة التي آلت إليها الدراسات اللغوية؛ وورودها يدل على تغيّر النظرة إلى تلك الدراسات.

إذن، كان لاشتغال الموالي باللغة والنحو، واعتماد اللغويين في دراساتهم على تراث الأمم الأخرى، وتأثرهم بالمنطق اليوناني، وما تبع ذلك من ظهور القياس والعلل، واختلافهم في كثير من المسائل، كان لكل ذلك أثر في تغيّر النظرة إلى الدراسات اللغوية. أضف إلى ذلك، أن إكرام الخلفاء اللغويين، والتكبّر الذي أظهره بعضهم، وتشدّدهم في دراسة اللغة والنحو، ومغالاتهم في ذلك، أدّى إلى بغضهم، فغدا اللغوي منبوذاً. وفي ظل هذه الظروف وجدت الفكاهة ضالّتها، فعكست جانباً من ذلك الصراع الذي كان بين اللغويين وغيرهم من طبقات المجتمع الأخرى.

---

(1) المفضل بن مسعر: تاريخ العلماء النحويين، ١٩٥-١٩٦. وانظر القفطي: إنباه الرواه، ٢٩٢/٣، ١١٢/٤. والسيوطي: بغية الوعاة، ٢٩٠/٢-٢٩١. والحموي: معجم الأدباء، ١٩٣/١٣-١٩٤. وابن عبد البر: بهجة المجالس، ٦٩/١.

- **الفكاهة والتطور اللغوي:**

كان للفتوحات الإسلامية، وانتشار اللغة العربية، أثر في اتّساع الهوّة بين الفصحى والعامية، فأصبحنا نسمع باللغة العربية الفصحى و اللغة المولّدة، "وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما انتقلت العربية بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة عن طريق الغزوات الكبرى في العهد الإسلامي الأول إلى خارج حدودها القديمة، وفي مواطن لغوية أجنبية"[١]، وبتقدم الزمن "تهيأت أسباب المعنى اللغوي، وصارت اللغة لغتين: العربية والمولدة. بل صارت العربية نفسها كأنها في الاعتبار العلمي لغتان"[٢].

لم يؤمن اللغويون بهذا التطور اللغوي، أو على الأقل تشدّدوا فيه، وفي فرضهم للنموذج العربي القديم، الذي كانوا يرون فيه روح الفصحى، فالتزموا به في مختلف الظروف، وفرضوه على كل الطبقات الاجتماعية، كل ذلك كان من بواعث الفكاهة، فكان رفضهم للتطور اللغوي وعدم إيمانهم به يُقابل بالتّفكه والتّندر. ومما يُروى في هذا المجال أنه "ضُرب بعض النحويين، فكان المطوّف يقول: "هذا جزا" ! فقال: والله لو خيّرت بين طريحة أخرى وبين أن لا أسمع صوت هذا الفاحش اللحن لاخترت ذلك! ثم التفت للمطوّف وقال له: يا محروم، بيّن الإعراب وقل: "هذا جزاءٌ" لأنه مبتدأ وخبر! فقال له المطوّف: اسكت واتخل رأسك! فقال له: بالدال قلها واقطع الهمزة لأنه فعل أمر! فقال له: والله ما ضربت أبرد منك! فلما دخل داره، وكانت له قطة، فجاءت تلعق الدم وتصيح "ميو" فقال لها: قولي "مئو" بالهمز! ثم أخذها ورمى بها، فقيل له في ذلك فقال: لئلا يُقال قطة أبي عبد الله لحّانة!"[٣].

---

(١) فك: العربية، ١٧.

(٢) الرافعي: تاريخ آداب العرب، ١/٣٢٦.

(٣) الأندلسي، ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ١٣٧.

يعد الالتزام بالنموذج العربي القديم من توابع القومية، التي تدفعنا إلى ذلك النموذج والحفاظ عليه، احتراماً لتراثنا العربي. غير أن المدقّق في الواقع اللغوي يدرك بأن التطور اللغوي حقيقة لا تُنكر، وقد أخذ بهذه الحقيقة أغلب الباحثين، يقول علي وافي مثلاً: "اللغة عرضة للتطور المطّرد في مختلف عناصرها. وإن تطورها هذا لا يجري تبعاً للأهواء والمصادفات، ولا وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما تخضع في سيرها لقوانين جبرية ثابتة، مطّردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، لا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه"(١).

وعلى الرغم من هذا التطور الذي حدث في اللغة العربية، فمن المرجّح أن اللغويين لم يدرسوا هذا التطور الذي حدث بعد الإسلام، ويعزو (برجستراسر) ذلك إلى مداومتهم على السؤال الجائز في اللغة وضده، فهذه وظيفة تعليمية لا علمية. كذلك اعتقادهم بأن أوضح صورة للغة العربية تتمثل في الشعر الجاهلي، وهذا -كما يرى- مقياس خاطئ(٢).

صوّرت الفكاهة جانباً من التطور الذي حدث في اللغة العربية، فمن ذلك ما يرويه أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن اليتيم، إذ يقول: "كنت أُمَاشي أبا جعفر بن النحاس، حتى وقفنا على بائع تمر، فقال له أبو جعفر: كيف تبيعني؟ قال: ثلاثة ونصّ بدرهم. قال له: قل ثلاثة ونِصف بدرهم. قال: ثلاثة ونُصف بدرهم. فقال له: قل ثلاثة ونِصف (بالكسر)، فضجر وقال: ونِصف، أفرغ لسانك، فنحن في بيع وشراء، لسنا في نحو. قال: فاجعله أربعة؟ قال: أفعل يا بغيض، فوزن له بدرهم. فقال له أبو جعفر: أدر الصنجة من الكفّة إلى الكفّة، فقال: أنا أعرف أبي النحاس فإنه أحمقكم. قال ابن اليتيم، فقلتُ له: أبيت أن تنصرفَ إلاّ مصفوعاً"(٣).

---

(١) وافي، علي عبد الواحد: اللغة والمجتمع، ٩١. وانظر فندريس: اللغة، ٤١٩. وعبد التواب، رمضان: لحن العامة، ٣٧٢.

(٢) انظر برجستراسر: التطور النحوي، ١٣٧-١٣٨.

(٣) الحصري: جمع الجواهر، ١٣٩-١٤٠. (توفي أبو جعفر النحاس ٣٣٨هـ).

أثّرت المدنيّة التي عاشها العباسيون في افتراق الفصحى عن العامية، إذ أثّرت في أسلوب كلامهم، فكان لها دافع آخر للتطور اللغوي، فالتطور اللغوي "يعتمد اعتماداً وثيقاً على الظروف التاريخية، فبين التطور اللغوي والظروف الاجتماعية التي تتطور فيها اللغة صلة وثيقة؛ إذ إن تطور المجتمع يتبع تطور اللغة في طريق معينة"[١].

فالعباسيون لطبيعة العصر الذي عاشوا فيه "لم يكونوا يستطيعون – حتى ولو استخدموا العربية– أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون، بل صبّوا أفكارا حديثة في قوالب اللغة القديمة، وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة."[٢]. ولعل هذه اللغة السهلة الواضحة اتُخذت نموذجاً، إذ "سرعان ما احتذاها المثقفون جميعاً واستعملوها في الأدب في العالم الإسلامي"[٣].

وما أن نصل إلى القرن الثالث الهجري، حتى نجد افتراقاً واضحاً بين الفصحى والعامية. في هذه الفترة تبدو صورة الفكاهة اللغوية بيّنة، فبالإضافة إلى توسع العوامل لظهور مثل هذه الفكاهات، فقد ساعد على وصول كثير منها اهتمام أديب –كالجاحظ– بهذا المجال؛ فقد صوّر جوانب متعددة منها، واهتم بكثير من الظواهر والعلاقات اللغوية التي صورتها الفكاهة، كالتغيّرات الصوتية التي خلّفتها اختلاط اللغات، وأخطاء النطق الناتجة عن عيوب اللسان.

أصبح احتذاء اللغة الفصحى، والالتزام بها إلى عهد الجاحظ غريباً. وقد حاول بعضهم أن يسير على نهجها، غير أنهم اصطدموا بالواقع المتطوّر للغة، فكان التزامهم ذلك باعثاً على التفكه والتندّر، وربما السخرية. يُروى في هذا المجال أنه "اعترض أعرابي أبا جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين اقشعرّت المدن، وقفّ الشجر، فلم أر سارحة ولا رائحة، ولا ولاية لسانها على

---

(١) فندريس: اللغة، ٤٢٧.

(٢) فك، يوهان: العربية، ٦٣.

(٣) المرجع نفسه: ٦٧.

عود. فقال الحرسي: كلّم أمير المؤمنين بالعربية. قال: بها تكلمت"[1]. ويُروى كذلك أن أبا علقمة النحوي قال لجارية كان يهواها: "يا خريدة، إخالُك عَرُوباً، فما بالُنا نَمِقُكِ وتَشْنَئينَا؟ فقالت: ما رأيت أحداً يحبُّ أحداً ويشتمه سواك"[2].

ظهرت في هذه الفترة آراء حول الفصحى والعامية، فأصبحنا نجد قواعد لاستخدام الفصحى، وأقوالاً تحث على مراعاة المقام والحال، يقول بشر بن المعتمر(ت٢١٠هـ) في صحيفته المشهورة في البلاغة: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار السامعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً"[3]. ويقول الجاحظ: "إنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل، ولكل مقام مقال، ولكل صناعة شكل"[4].

ولعلّ فرْض اللغويين الفصحى على مختلف الطبقات الاجتماعية، هو السبب في ظهور مثل هذه الأقوال، وقد عكست الفكاهة جانباً من ذلك الصراع، إذ يُروى عن أبي زيد، أنه قال: "وقفت على قصّاب وعنده بطون، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بدرهمان يا ثقيلان"[5].

يدل كل ذلك على التطور اللغوي للعربية، ومما يدل على ذلك التطور أيضاً، الوقوع في اللحن من مختلف الطبقات، فلم يقع العوام باللحن فحسب، بل تعداهم إلى الخاصة، فظهرت

---

(1) المبرد: الفاضل في اللغة والأدب، ٦.

(2) الحصري: جمع الجواهر، ٢٢٥. (الخريدة: الناعمة . والعروبة: المتحببة إلى زوجها. وتشنئينا: تبغضينا).

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٣٨-١٣٩.

(4) الجاحظ: الحيوان، ٣/٣٦٩.

(5) ابن الجوزي: أخبار الحمقى ، ١٤٠. وانظر القفطي: إنباه الرواة، ٢/٣٢.

نتيجة لذلك مجموعة كبيرة من المؤلفات تتبع ما يقع به كل من العوام والخواص، فوُجِدت كتب لحن العامة، أو لحن العوام، ولحن الخاصة، وتقويم اللسان[1].

فبعد أن قام المؤلفون يصنّفون في لحن العامة، نجد في فترات لاحقة من يؤلف في لحن الخاصة، فهذا يدل على أنه كلما تقدّم الزمن زادت الهوّة اتساعاً بين الفصحى والعامية، مما يدل على التطور اللغوي الطبيعي. وبتوالي الأيام، كان لا بد من الإيمان بأنه لا بد لأحد لوقف تطور اللغة، فخفّ التأليف في اللحن، وربما اكتُفي بإيراد بعض الأخطاء الشائعة التي تظهر بين الفينة والأخرى.

---

(1) انظر قائمة لهذه المصنفات .عبد التواب، رمضان: لحن العامة والتطور اللغوي، ص٩٧-١٠٠. وقد تحدّث عبد التواب عن كل مصنف منها من حيث ترجمة مؤلفه ووصف هذه المصنفات، وأهم سمات كل منها (انظر ١٠١-٣٧١) من هذا الكتاب.

عوامل نشأة الفكاهة اللغوية:

ظهرت بوادر الفكاهة اللغوية بتأثير عوامل محددة، واتّسعت صورها ومظاهرها بتعدد تلك العوامل، ونتيجة لظروف متباينة، فكانت تلك العوامل مجتمعة سبباً في ظهور الفكاهة اللغوية. ويمكن إيجاز أبرز العوامل والظروف التي أثرت في نشأة الفكاهة اللغوية بما هو آت.

- **امتزاج الشعوب بالعرب في ظل الإسلام:**

جمع الإسلام شعوباً وقبائل مختلفة، ووحّد بينها، فامتزجت تلك الشعوب مع العرب، إذ كانت العربية آنذاك لغة الدين والدولة، فأصبحت غاية كل من دخل في الإسلام، وغدت العربية لذلك لغة عالمية. وقد عبّر عن هذه الحقيقة كثير من المستشرقين، يقول نولدكه مثلاً: "إن العربية لم تصر لغة عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام"(١).

كان الداخلون في زمرة العرب يجدون صعوبة في النطق كما ينطق العربي، فظهرت أخطاء في بعض الأصوات، وانحراف في بنية كثير من الكلمات، واضطراب في تركيب عدد من الجمل. وأثّرت هذه الأخطاء والانحرافات اللغوية على اللغة العربية، فقد امتدّ تأثيرها إلى بعض العرب، وإن كانت أغلب تلك الأخطاء في ضبط أواخر الكلمات.

اتُّخذت الأخطاء التي وقع بها غير العرب موضع تندّر، وفتحت آفاقاً للسخرية والتهكم، ذلك أن تلك الأخطاء كانت تحرّف الكلام، وتنحرف به إلى معنى آخر، غير الذي قصد منه، فكان العرب يجدون في ذلك موضعاً للتفكه أحياناً، ومجالاً للنقد وإبراز عيوب غير العرب اللغوية أحياناً أخرى.

---

(١) نولدكه: اللغات السامية، ٧٩. وانظر بروكلمان: فقه اللغات السامية، ٣٠، و فك: العربية، ١٣،٢٤٢. وولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ٢١٤-٢١٥.

ظهرت بسبب ذلك الامتزاج، ونتيجة لذلك الصراع، صراع لغوي بين العربية وغيرها، خاصة الفارسية، فظهرت نزعة معادية للعرب، سميّت فيما بعد بحركة الشعوبية التي ظهرت في العصر الأموي، وبرزت في العصر العباسي، وهي "نزعة ليست في حقيقة أمرها سوى صراع بين اللغتين العربية والفارسية"[1].

صوّر الجاحظ بعضاً من الأخطاء التي كان غير العرب يقعون بها، وبيّن أصلها. ولا يُستبعد أن يكون إيراد الجاحظ لهذه الروايات نابعاً من اهتمامه بما فيها من فكاهة وطرافة.

بيّن الجاحظ عدداً من تلك الأخطاء، فذكر أن لكنة صهيب بن سنان النمري[2] صاحب رسول الله ﷺ كانت لكنة رومية، إذ يُروى أنه كان يقول: "إنك لهائن"، يريد: إنك لحائن[3]. وكانت لكنة ازدانْقاذار لكنة نبطية، فيُروى أنه "أملى على كاتب له، فقال: اكتب الهاصل ألف كُرّ، فكتبها الكاتب بالهاء كاللفظ بها، فأعاد عليه الكلام، فأعاد الكاتب، فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال: أنت لا تهسن أن تكتب وأنا لا أهسن أن أملي، فاكتب الجاصل ألف كر، فكتبها بالجيم المعجمة"[4].

كانت تلك الأخطاء مجالاً واسعاً للتفكه والتّندر، وكان كثير ممن وقعوا بتلك الأخطاء من البلغاء، فلم تقتصر اللكنة على العوام، كالتي كانت لفيل مولى زياد بن أبي سفيان

---

(1) أنيس، إبراهيم: اللغة بين القومية والعالمية، ١٩٨.

(2) هو أبو يحيى صهيب بن سنان بن مالك، يعرف بصهيب الرومي، مولى عبدالله بن جدعان، من متقدمي الاسلام، شهد بدراً والمشاهد كلها (ت٣٨هـ).انظر ترجمته: الوافي بالوفيات، ١٦/٣٣٥-٣٣٨ .

(3) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ١/٧٢.

(4) المرجع نفسه: والصفحة نفسها.

وغيره[1]، بل وقع بها كثر من البلغاء، فمنهم من كان شاعراً، ومنهم من كان خطيباً، أو رئيساً أو صاحب دعوة.

ومن الشعراء أصحاب اللكن زياد الأعجم[2] (ت١٠٠هـ)، فكان يجعل السين شيناً، والطاء تاء، إذ يُروى أنه أنشد:

فَتـىً زادَهُ السُّلطان في الوُدِّ رِفعةً إذا غَيَّرَ السلطانُ كلَّ خليلِ

فيقولها: فتى زاده الشُّلْتان[3].

كما يُروى أنه "دعا غلاماً له ليرسله في حاجة، فأبطأ، فلما جاء قال له: منذ لَدُنْ دأوتُكَ إلى أن قلت لبّيْ ما كنت تَسنأ؟ يريد: منذُ لدُنْ دعوتُك إلى أن قلتَ لبَّيك ماذا كنتَ تصنع"[4].

دعت تلك اللكنة التي كان يقع بها البلغاء، ببعضهم إلى اتخاذ راوية لهم، لرواية أشعارهم، كما فعل أبوعطاء السندي[5] (١٨٠هـ)، إذ اتخذ راوية له، للصعوبة التي واجهها في نطق بعض الأصوات، وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت له مواقف طريفة، من ذلك ما

---

(1) انظر في لكنة العوام بعض الفكاهات، وهي فكاهات فيها جانب من الفحش، الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٣/١-٧٤.

(2) هو زياد بن أبي سلمى، أبو أمامة العبدي، مولى عبدالقيس، يعرف بزياد الأعجم للكنة كانت فيه. من شعراء الدولة الأموية، وفد على هشام بن عبدالملك، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، (توفي١٠٠هـ). انظر ترجمته: معجم الأدباء، ١٣٢٩/٣-١٣٣٠. والوافي بالوفيات، ٢٤٤/١٤-٢٤٥. وفوات الوفيات، ٣٣٢/١-٣٣٣.

(3) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٧١/١.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5) هو أفلح بن يسار الشاعر المشهور، مولى بني أسد، كان سندياً عجمياً لا يفصح، وفي لسانه عجمة ولثغة، من مخضرمي الدولتين، مدح بني أمية وبني هاشم، (ت١٨٠هـ).انظر ترجمته: فوات الوفيات، ١٣٤/١.

يرويه علي بن محمد النوفلي عن أبيه، إذ قال: "كنت جالساً مع سليمان بن مجالد[١] وعنده أبو عطاء السندي، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلّم، إذ قال الرواية في إنشاده:

فمـــا فـــضلت يمينُـــك مـــن يمـــين ولا فـــضلَتْ شـــمالُك عـــن شـــمال

هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدهته إذاً! إنما هزوته، يريد: فما مدحتُه إذاً، إنما هجوته، ثم أنشده أبو عطاء:

فمـــا قَـــدلت يمينَـــك عـــن يمـــين ولا فـــدلت شـــمالَكَ عـــن شـــمال

فكدتُ أضحك، ولم أجسر، لأني رأيتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون؛ خوفاً منه"[٢].

سبّبت اللكنة التي كان يقع بها أبو عطاء السندي حرجاً له في كثير من المواقف، وقد صرّح بذلك عندما أنشد سليمان بن سليم قوله:

أعْـــوَزَتْني الـــرُّوَاةُ يـــا بْـــنَ سُـــلَيم وأبـــى أنْ يقـــيم شِـــعْرِي لـــِساني

وغَلَـــى بالـــذي أُجَمْجِـــمُ صَـــدْرِي وَجَفَـــاني بعُجْمَتِـــي ســـلْطاني

وازْدَرَتْنِـــي العيـــونُ إذ كـــان لَـــوْني حالِكَـــاً مُجْتَـــوىً مِـــنَ الألـــوان

فَـــضَرَبْتُ الأمـــورَ ظَهْـــراً لـــبَطْن كيـــف أحْتَـــالُ حِيلَـــةً لِلِـــسَاني![٣]

---

(١) هو سليمان بن مجالد بن أبي مجالد، وزير المنصور، وأخوه بالرضاعة، من أهل الأردن. انظر ترجمته: الوافي بالوفيات، ٤٢١/١٥.

(٢)الأصفهاني: الأغاني ، ١٧/٣٣٨-٣٣٩.

(٣) المرجع نفسه: ٣٢٨/١٧.

يبدو أن الانحراف اللغوي بمختلف صوره ومظاهره، كان باعثاً على التفكه، سواء أكان ذلك الانحراف في الأصوات أم في التركيب، وربما كان استخدام بعض المفردات الأعجمية كذلك، إذ يُروى أن ابن مناذر[1](ت١٩٨هـ)، قال يهجو محمد بن عبد الوهاب:

إذا أنتَ تَعَلَّقتَ	بحَبْلٍ من أبي الصَّلْتِ
تعلَّقتَ بحبلٍ وا	هنِ القُوَّة مُنْبَتٍّ
وقال الشيخُ سَرْجُويهُ:	داء المَرْء من تحت

فبلغ ذلك سَرْجُويه، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوته وجيرانه، فسلم عليه وكان أعجمياً لا يفصح، ثم قال له: "بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت". فكاد القوم أن يفتضحوا من الضحك، وصاح به محمد: اغرب قبحك الله."[2].

هذه الانحرافات اللغوية، اتّسعت باتّساع الفتوحات الإسلامية، فقد "كانت الأمة الإسلامية جملة أمم وجملة نزاعات، وجملة لغات تتحارب"[3]. ولم يقتصر أثر الاختلاط على هذه الصورة، إذ حدث تطور آخر، وهو أن "العرب عمدوا إلى استخدام تعبيرات مبسطة حتى يفهم عنهم الموالي ويلوكوا ما يلفظونه بسهولة"[4].

---

(1) هو محمد بن مناذر مولى بني صبير بن يربوع، يكنّى أبا جعفر، شاعر فصيح وإمام في علم اللغة وكلام العرب، صحب الخليل وأباعبيدة وأخذ عنهما، وله معرفة بالحديث، (ت١٩٨هـ). انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٢٦٤٨/٦-٢٦٥١. والوافي بالوفيات، ٦٣/٥-٦٥.

(2) الأصفهاني:الأغاني، ١٨٩/١٨-١٩١. (يريد سرجوية أن يقول لابن عبد الوهاب إن ما قاله ابن مناذر منسوباً إليه غير صحيح) "المحقق".

(3) أمين، أحمد: فجر الإسلام، ٩٥.

(4) ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ١٧٠.

صحيح أن الاختلاط تحت راية الإسلام كان بدافع ديني، وهو الدخول في هذا الدين، وبهدف استنباط تعاليمه، وقراءة كتابه المقدس، غير أن الاختلاط سبب كثيراً من الانحرافات، فظهرت بعض المواقف والمفارقات الطريفة، نتيجة لذلك، كما اتُّخذت الانحرافات نفسها موضع تندّر وسخرية في كثير من الأحيان.

- **الخصومة والصراع اللغوي:**

الخصومة تربة خصبة لنمو الفكاهة؛ إذ تنتج الفكاهة – في كثير من الأحيان– من الخصومات وبسببها، فالفكاهة "مظهر من مظاهر العدوان"، وهي "تمد أهلها بإحدى الوسائل الفنية البارعة في محاربة العدو"[1]. لمّا كانت الفكاهة كذلك، فينبغي تتبع جوانب من الخصومات التي كانت بين اللغويين وغيرهم من الطبقات، فلعل تلك الخصومات كانت وراء ظهور بعض الفكاهات.

تعددت الخصومات اللغوية، وتباينت صورها ومظاهرها، فثمة خصومات بين اللغويين والشعراء، وخصومات بين اللغويين والقُرّاء، وأخرى بين اللغويين والمناطقة، حتى وُجدت خصومات بين اللغويين أنفسهم. وفيما يلي إيجاز لأبرز تلك الخصومات.

الصراع اللغوي:

قامت خلافات بين اللغويين حول مسائل كثيرة، وتعد تلك الخصومات من صور الصراع اللغوي، ومن مظاهر الخصومات اللغوية، حتى غدت تلك الخلافات سمة بارزة، ارتبطت في كثير من الأحيان باللغويين، يقول عيسى بن عمر، هاجياً النحويين:

إذا اجْتَمَعُوا عَلَى أَلِفٍ وَبَاءٍ   وَتَاءٍ هَاجَ بَيْنَهُمُ قِتَالُ[2]

([1]) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٩٨.

([2]) الحريري: درة الغواص، ٢٣٣. والبغدادي: خزانة الأدب، ١/١١٠.

ومن تلك الخلافات ما كان بين عيسى بن عمر(١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ)، وبين الخليل(ت١٧٠هـ) والرؤاسي[١]، وبين سيبويه(ت١٨٠هـ) والكسائي(١٨٩هـ)، وبين ابن دريد(ت٣٢١هـ) ونفطوية(ت٣٢٣هـ)...، ولعل أشهرها تلك التي كانت بين سيبويه والكسائي في مسألة سُميت بالزنبورية، وقيل إنها كانت سبباً في موت سيبويه!![٢].

نجد في الاختلاف في بعض المسائل اللغوية مفارقات لا تخلو من طرافة وفكاهة، فمن ذلك ما يروى أنه "اختصم أبو إسحاق مع خصم له، فتنازعا في جواز اجتماع الألفين المدتين، ومدّ الرجل الألف في نحو (هذا) وأطال، فقال له أبو إسحاق: لو مددتها إلى العصر ما كانت إلا ألفاً واحدة"[٣].

إن الكتب المؤلفة في الخلافات النحوية واللغوية تكشف جانباً من تلك الخلافات، كما تكشف الكتب التي حملت عنوان (الردّ) عن عمق تلك الخلافات، ومنها: كتاب الرد على سيبويه للمبرد(ت٢٨٦هـ)، وكتاب الرد على الفراء وكتاب الرد على ثعلب في النحو لابن درستويه(ت٣٤٧هـ)، وكتاب الرد على الخليل للمفضل بن سلمة(ت٢٣٠هـ)[٤].

---

(١) هو أبوجعفر محمد بن أبي سارة بن أخي معاذ الفراء المتوفى(١٨٧هـ)، سمي الرؤاسي لكبر رأسه، وهو أول من وضع كتاباً في النحو من الكوفيين، كان أستاذ الكسائي، من مصنفاته: معاني القرآن، وكتاب الوقف، والابتداء الكبير، وكتاب التصغير، توفي الرؤاسي في أيام الرشيد. انظر نزهة الألباء، ٥٠-٥١ .

(٢) انظر أمثلة من تلك الخصومات، الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ١/١٩-٢٠. وابن الأنباري: الإنصاف، مسألة (٩٩) . والحموي: معجم الأدباء، ١/٦٤، ١٧/ ٤٧، ١٨/ ١٣٨. وابن النديم: الفهرست: ٢٤٥. والسيوطي: بغية الوعاة، ١/٤٢٩.

(٣) ابن جني: الخصائص، ١/٨٩. (وأبو اسحاق الوارد، هو الزجاج النحوي، أستاذ أبي علي الفارسي، من كتبه: الاشتقاق، ما ينصرف وما لا ينصرف، ومعاني القرآن وغيرها، ت٣١١هـ)

(٤) انظر هذه القائمة من الكتب، ابن النديم: الفهرست، ٩٤ وما بعدها.

تباينت تلك الخصومات بين الرد الهادئ إلى الهجاء اللاذع، والسخرية والتهكم. ولا يخلو ذلك الصراع من فكاهة، فمن ذلك ما كان بين ابن دريد(ت٣٢١هـ) ونفطويه(ت٣٢٣هـ)، إذ قال نفطويه في ابن دريد عندما ألّف كتاب (الجمهرة):

ابنُ دُرَيدٍ بَقَرَهْ وَفِيهِ لُؤمٌ وَشَرَهْ

قَدِ ادَّعَى بِجَهْلِهِ جَمْعَ كِتَابَ الجَمْهَرَهْ

وَهْوَ كِتَابُ العَيْنِ إلا أنَّهُ قَدْ غَيَّرَهْ

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه:

لَوْ أُنْزِلَ الوحي على نِفْطَوَيْهْ لكانَ ذاكَ الوَحْيُ سُخْطَاً عَلَيْهْ

وشَاعِرٍ يُدعى بِنِصْفِ اسمِهِ مُستأهِلٌ للصَّفْعِ في أَخْدَعَيْهْ

أَحْرَقَهُ اللهُ بِنِصْفِ اسمِهِ وصَيَّرَ الباقي صُرَاخَاً عَلَيْهْ[1]

كانت تلك الخلافات بين اللغويين من الأسباب التي أدت إلى صعوبة النحو وتفرّع مسائله وتعدد قضاياه، فثار عليه العلماء في عصور لاحقة، ففي القرن السادس الهجري صنّف ابن مَضاء القرطبي(ت٥٩٢هـ) كتاب (الرد على النحاة)، الذي قصد منه حذف ما يستغني عنه النحوي، والتنبيه على ما أجمعوا على الخطأ فيه[2]، فدعا في هذا الكتاب إلى إلغاء نظرية العامل، وإلغاء العلل الثواني والثوالث، وإلغاء القياس والتمارين غير العملية، وإلغاء كل ما لا

---

(1) الحموي: معجم الأدباء، ٢٦٤/١. وانظر ٤٧/١٧، ١٣٨/١٨. وانظر الثعالبي: ثمار القلوب، ٣٠٩-٣١٠. والسيوطي: بغية الوعاة، ٤٢٩/١.

(2) انظر ابن مضاء :مقدمة كتاب الرد على النحاة ، وانظر ص٧٦.

كل ما لا يفيد نطقاً، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول، وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها، مما لا يفيد نطقاً كاختلافهم في رافع المبتدأ وناصب المفعول."[1].

أما في العصر الحديث فقد ألّف إبراهيم مصطفى (إحياء النحو)، لما لاحظه من صعوبة في النحو ووحشة سبله والضجر بقواعده[2]؛ ورأى عباس حسن أن من المشكلات التي واجهت النحو "تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة، واختلاف الأحكام فيها"، ويذهب إلى أن "هذا الاختلاف والتفرّق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكبر العقبات في تحصيلها"[3].

والواقع أن ثمة أسباباً في اختلاف اللغويين، فيرى ابن جني أن أصل الخلاف الشاجر بين النحويين هو " تقاود السماع وتقارع الانتزاع، أي أن يكثر الشيء فيسئل عن علته، كرفع الفاعل ونصب المفعول، فيذهب قوم إلى شيء ويذهب آخرون إلى غيره..."[4]. كما أن من الأسباب في اختلافهم القياس، إذ عدّه بعض الدارسين "موضع الجدل والخصومة بين اللغويين في كل العصور"[5].

هذه أهم الأسباب الموضوعية التي أدت إلى الخلاف بين اللغويين، ومن ثم نشوب الخصومات بينهم، غير أن هناك أسباباً أخرى، أثرت في تلك الخلافات، كالخلاف الذي دار بين المدرستين البصرية والكوفية، ويبدو أن ذلك الخلاف كان تابعاً لخلافاتهم القديمة، النابعة من التحيّز والتعصب، كلٌ لبلده، يدل على ذلك ما أورده الهمذاني في كتابه (كتاب البلدان)، فقد

---

(1) المرجع السابق، ١٤١.

(2) انظر مقدمة إحياء النحو.

(3) حسن، عباس: اللغة والنحو بين القديم والحديث ،٦٦-٦٧.

(4) ابن جني: الخصائص، ١/١٠٠.

(5) أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، ١٦.

ذكر جانباً من خصوماتهم ومناظراتهم وافتخار بعضهم على بعض. وهي مناظرات ظريفة، لا سيما تلك التي كانت في مجلس المأمون(ت٢١٨هـ)[١].

إن النزاع الذي دار بين المدرستين، كان سبباً في ذهاب بعض الدارسين إلى رفض تقسيم العلوم إلى مدارس، ذلك أنه "يعطي إحساساً بمحلية العلوم، ويخلق جواً من التحيز والتعصب"[٢].

امتد أثر تلك الخصومات إلى العصر الحديث، إذ نجد الشدياق(ت١٣٠٤هـ) يعكس المسألة الزنبورية، بأسلوب ساخر، إذ يقول: "قد كنت أظن أني إذا تركت الفارياق وأخذت في وصف مصر أستريح، فإذا هو هي أو إياها"[٣]. كما بقي الصراع اللغوي قائماً، يقول الشدياق: "لا ينبغي إعادة هذا العلم – أي النحو– في كل بلد، لأنك حيثما سرت وأيّان توجّهت وجدت أناساً ينتقدون عليك كلامك، فإن عبّرت بالواو مثلاً قالوا الأفصح هنا الفاء. أو (با) وقالوا الأولى (أم)..."، ويرى أن هذا "هو سبب قلة التأليف في عصرنا فإن المؤلف والحالة هذه يعرّض نفسه للطعن والقدح والبلاء، ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحكم، إلا إذا كان مشتملاً على جميع المحسّنات البديعية والدقائق اللغوية"[٤].

هذه الأجواء المليئة بالخصومة والتعصب، كانت باعثاً على التفكه، فوجدت الفكاهة نفسها في هذه الأجواء، إذ حدث في بعض تلك الخلافات مفارقات لا تخلو من طرافة، كما اتُّخذت تلك الخلافات المبالغ فيها موضع تندر وسخرية وتهكم.

---

(١) انظر الهمذاني: البلدان، ٢٠٠ وما بعدها.

(٢) عمر، أحمد مختار: البحث اللغوي، ١٣٥-١٣٦.

(٣) الشدياق: الساق على الساق، ٤١/٢.

(٤) المرجع نفسه، ٥٥/١.

الخصومة بين اللغويين والشعراء:

قامت خلافات بين اللغويين والشعراء، فقد شرع اللغويون يتتّبعون الشعراء، ويُبرزون سقطاتهم اللغوية، فكان لذلك أثر في نشوء تلك الخصومات. وقد صرّح الخليل بذلك عندما قال لابن مناذر: "إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتهم، وإلا كسدتم، فقال ابن مناذر: والله لأقولنّ في الخليفة قصيدة أمتدحه فيها ولا أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك"(1).

نشأت تلك الخلافات على الرغم أن ثمة أقوالاً تبيح للشعراء ما لا تبيح لغيرهم، فهم "أمراء الكلام"، كما "يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"(2). وقد عُدّ الشعر "موضع اضطرار وموقف اعتذار، وكثيراً ما يحرّف فيه الكلم عن أبنيته وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله"(3).

وتبرز من تلك الخصومات، ما كان بين بشار بن برد(ت١٦٨هـ) والأخفش الأكبر(ت١٧٧هـ)، إذ يُروى أن الأخفش طعن على بشار أبياتاً في شعره، فبلغ ذلك بشاراً، فقال: "ويلي على القصّار ابن القصّارين متى كانت اللغة والفصاحة في بيوت القصّارين!"(4).

وتُروى خصومة كانت بين سيبويه وبشار، فقال بشار يهجوه، عندما أخذ عليه شيئاً من شعره:

أسيبَوَيْهِ يا ابنَ الفارسيَّةِ ما الذي　　تَحَدَّثْتَ مِنْ شيمتي وما كُنْتَ تَنْبِذُ

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ١٨/١٨٣-١٨٤. إن قول الخليل هذا مناقض لقول آخر له إذ يقول: "الشعراء أمراء الكلام، ليعرفونه أنّى شاءوا، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم." انظر الحصري: زهر الآداب، ٥٢/٣.

(2) سيبويه: الكتاب، ٢٦/١.

(3) ابن جني: الخصائص، ١٨٨/٣. وانظر أمثلة لذلك، سيبويه: الكتاب، ٢٦/١-٢٩. والمرزباني: الموشح، ١٢٢، ١٢٥-١٣١.

(4) المرزباني: الموشح، ٣١٤. (والقصّار : من يقصّر الثوب وقصّره كلاهما حوّره ودقّه) .

أظَلَّتَ تُغَنِّي سادِراً بمساءتي   وأُمُّكَ بالمِصرَينِ تُعطي وتأخُذُ[1]

ويُقال إن سيبويه قد اتّخذ شعر بشار حجة، خوفاً من هجائه، غير أن بعض الدارسين يرفض هذه الرواية لخلوّ (الكتاب) من اسم بشار، ولورود اسم الأخفش في هذه الرواية[2].

ولعل أشهر تلك الخصومات، ما كان بين الفرزدق(ت١١٠هـ) وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي(ت١١٧هـ)، إذ اشتدت بينهما الخصومة، فكان الحضرمي يتتبع شعر الفرزدق، ويُكثر الرد عليه، فمن ذلك أنه أخذ عليه قوله:

مستقبِلينَ شمالَ الشام تضربُهُم   بحاصِبٍ كنَديفِ القُطنِ منثُور

على عمائمنا تُلقى وأرحُلِنا   على زواحِفَ تُزجَى مُخُّها رِير

فقال له ابن إسحاق: أسأت، إنما هو "رِيرٌ"، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع. فلما ألحّوا على الفرزدق قال: *"على زواحِفَ نُزْجِيها محاسير"*.

وقال الفرزدق في الحضرمي:

فلو كان عبدالله مولى هجوته   ولكن عبدالله مولى مواليا[3]

وقد اشتدت الخصومة بين الفرزدق وابن أبي إسحاق، حتى وصلت إلى حد الكلام الفاحش أحياناً؛ فعندما بلغ الفرزدق أن الناس يقولون: قد أقوى الفرزدق، ردّ على ابن إسحاق ردّاً قاسياً[4].

---

(1) انظر المرزباني: الموشح، ٣١٣-٣١٤.(المقصود بـ"سادر" :هو المتحيّر غير المتثبت من كلامه.) والأصفهاني: الأغاني، ٢٠٩/٣-٢١٠.

(2) انظر فك: العربية، ٦١.

(3) انظر المرزباني: الموشح،١٣٢-١٣٣. وابن النديم: الفهرست، ٦٢.

(4) انظر المرزباني: الموشح، ١٣٤.

فرض اللغويون قيوداً على الشعراء في شعرهم، ولم يكن جائزاً للشعراء والأدباء أن يستعملوا إلا اللغة العربية الكلاسيكية، إذ كان النقاد يثبتون – في غطرسة المفتخر بعلمه– حتى على الشعراء المشهورين في العصور المتأخرة (مثل المتنبي في القرن العاشر) سقطاتهم وعثراتهم ضد قواعد اللغة"[1].

كان ذلك باعثاً على هجاء اللغويين، فمن ذلك أنه عيب على عمار الكلبي بيت من شعره، فامتعض لذلك، فقال:

ماذا لَقِيْنَا مِنَ المُستَعْرِبيْنِ ومِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمِ هذا الذي ابتَدَعوا

إنْ قُلْتُ قافيةً بِكْراً يكونُ بها ... بيتٌ خلافَ الذي قاسُوه أو ذَرَعوا

قالوا لحَنْتَ، وهذا ليسَ منتصِباً ... وذاكَ خَفْضٌ، وهذا ليسَ يرتفِعُ...[2]

لاقى تتبّع اللغويين للشعراء تهكماً وسخرية، وكان في ذلك طرافة أحياناً، فمن ذلك ما قاله يزيد بن حرب الضبّي في حفص بن أبي بردة يهجوه، وقد لحّن مرقشاً[3] في شعر له، إذ يقول:

لقد كان في عَينيكَ يا حفصُ شاغلٌ ... وأنفٌ كَمثلِ العودِ عما تتبَّعُ

تتبع لحناً في كلام مرقّشٍ ... وَخَلْقُكَ مبنيٌّ على اللحْنِ أجمَعَ

---

(1) نولدكه: اللغات السامية، ٨٣. (توفي المتنبي ٣٥٤هـ).

(2) الحموي: معجم الأدباء،١٢/١٠٤. وانظر ابن جني: الخصائص، ١/٢٣٩-٢٤٠. والقفطي: إنباه الرواة، ٢/٤٢.

(3) كان حفص مرميا بالزندقة، وكان أعمش أفطس مقبح الوجه فجعل يعيب شعر المرقش . والمرقش هو المرقش الأكبر، شاعر جاهلي اسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة،أحد المتيمين كان يعشق ابنة عمه أسماء بنت عوف. وهو عم المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد، ولكن الأصغر أشعر منه وأطول عمراً، وقد كانا على عهد مهلهل بن ربيعة، وشهدا حرب بكر وتغلب. انظر خزانة الأدب، ٨/٣١٢-٣١٤.

فعينُـــكَ إقْـــواءٌ وأنْفـــكَ مكفـــأ   ووجهــك إيطــاءٌ وأنــتَ المرقَّـــعُ[1]

كل تلك الخصومات كان سببها فرض اللغويين قواعدهم على مختلف الطبقات، ومنهم الشعراء، الذين لم يلتزموا بالقيود التي وضعها اللغويون؛ فالشاعر- كما يرى ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)- "لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراها. وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن، المتّصفين بصفة الفصاحة والبلاغة، ولهذا لم يكن اللحن قادحاً في حسن الكلام"[2].

يبدو ابن الأثير مغالياً فيما ذهب إليه، فقد ثار على النحاة، ورأى أنهم "لا فُتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة، ولا عندهم معرفة بأسرارهما، من حيث أنهم نحاة"[3]. لذلك، فقد ردّ على ابن الأثير بعض العلماء، ومنهم ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر)؛ والصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابه (نصرة الثائر على المثل السائر)، فقد وضعا كتابيهما لما رأوا إنكار ابن الأثير لجهود بعض العلماء، وإعجابه بنفسه وبرأيه، ومغالاته وإسرافه في ذلك، فطفقا يردّون عليه بعض الآراء[4].

إذن، حاول اللغويون فرض قواعدهم على الشعراء، فراحوا يتتبعون سقطاتهم اللغوية، غير أن الشعراء لم يلتزموا بتلك القيود، فنشأت لذلك الخصومة بين الفريقين، وكان في تلك الخصومة، وفي ردّ كل فريق على الآخر مواضع تندر وتفكّه أحياناً، ومواطن سخرية وتهكم في كثير من الأحيان.

---

(1) الثعالبي: خاص الخاص، ٦٨. وانظر الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٣٥١، ١٨/١٥٠. وابن عبد ربه: العقد الفريد،٢/٤٨١-٤٨٢. (وانظر معاني المفردات الواردة في الأبيات في حاشيةص "٢٦"من هذه الدراسة).

(2) ابن الأثير: المثل السائر، ١/٤٩.

(3) المرجع نفسه: ٣/١٣.

(4) انظر مثلاً، ابن أبي الحديد: الفلك الدائر(وهو كتاب صدر ضمن كتاب المثل السائر)، ٤/٣٨-٤٣، ٨٦-٨٨، ١٧٢-١٧٣، ٢٤٥-٢٤٦، ٢٥٧ وما بعدها. والصفدي: نصرة الثائر، ٩٠، ١٧٤، ٢٦٢.

الخصومة بين اللغويين وعلماء الدين[*]:

قام نزاع بين **اللغويين والقرّاء**[١]، وكان الباعث على ذلك الصراع هو تخطئه اللغويين لبعض القراءات القرآنية، التي تخالف قاعدة من القواعد النحوية، يقول الجزري(ت٨٣٣هـ): "فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كإسكان (بارئْكم ويأمرْكم) ونحوه"[٢].

كانت تخطئه اللغويين لبعض القراءات موضع استغراب واستنكار، يقول أبو حيان[٣] (ت٧٤٥هـ) راداً على الزمخشري(ت٥٣٨هـ): "أعجب لعجمي ضعيف في النحو، ردّ على عربي صريح محض قراءة متواترة موجوداً نظائرها في كلام العرب، وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذي تخيّرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً ومغرباً، واعتمدهم المسلمون لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم"[٤].

يبدو أن ذلك النزاع ناتج من اختلاف المعيار بين الفرقين، فبينما يرى اللغوي القراءة بمرآة القياس، ويقيسها بمعيار القاعدة النحوية، نجد أن أئمة القرّاء -كما يقول الداني[٥]- "لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت

(*) يُقصد بعلماء الدين هنا، القرّاء والمحدّثين والفقهاء.

(١) تناول أحمد الجندي هذا الصراع في مجموعة من الأبحاث في مجلة مجمع اللغة العربية-القاهرة. انظر مثلاً: ج٣٣/١٩٧٤م. ج٣٤/١٩٧٤م. ج٣٥/١٩٧٥م. ج٣٦/١٩٧٥م. ج٣٧/١٩٧٥م. ج٣٨/١٩٧٦م. ج٣٩/١٩٧٧م.

(٢) الجزري: النشر في القراءات العشر،١/١٠.

(٣) هو أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي، إمام النحاة وقارئ القرآن بالروايات، له يد في التفسير والحديث والتراجم، له مصنفات كثيرة منها: تفسير البحر المحيط، وكتاب التقريب، والمبدع في التصريف، وغيرها. انظر ترجمته: الوافي بالوفيات، ٥/٢٦٧-٢٨٣.

(٤) العاملي: الكشكول، ١/٤٦-٤٧.

(٥) هو أبو عمرو المقرئ عثمان بن سعيد، ولد ٣٧١هـ وتوفي ٤٤٤هـ. انظر معجم الأدباء، ٤/١٦٠٤.

في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[١].

ومن الأمثلة على هذا النزاع، أن المازني قد أخذ على نافع بن أبي نعيم[٢] أنه قال في (معايش) معائشٍ بالهمز، فقال المازني لذلك: إن نافعاً لم يدر ما العربية.. [٣].

ولا يُستبعد أن يكون الخلاف بين اللغويين والقرّاء تابعاً للخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية؛ فـ"القراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم."[٤] فيكون البصريون -بذلك- خالفوا الكوفيين، حتى في هذا المجال.

وتنطبق نظرة اللغويين هذه، على **المحدّثين**، ذلك أن منهج المحدثين هو نفسه منهج القراء "كل ما عندهم نقل صحيح، أو رواية موثوق بسندها، فإذا سلم السند بسلامة رواته قبلوه"[٥].

الخصومة بين اللغويين والمناطقة:

تأثرت الدراسات اللغوية بالأبحاث المنطقية، فغلب التفكير المنطقي على المناقشات اللغوية، وقد بيّن الفارابي(ت٣٣٩هـ) وجه الشبه بين النحو والمنطق، ووجه الاختلاف بينهما، فرأى أن المنطق "يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين الألفاظ، ويفارقه في أن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما، وعلم المنطق إنما يعطي قوانين مشتركة تعم

---

(١) الجزري: النشر في القراءات، ١/١٠-١١.

(٢) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي النعيم المقرئ، أحد القرّاء السبعة، كان إمام أهل المدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، (ت٥٩هـ) بالمدينة. انظر وفيات الأعيان، ٥/٣٦٨-٣٦٩.

(٣) انظر ابن الأثير: المثل السائر، ١/٤٦.

(٤) المخزومي: مدرسة الكوفة، ٣٣٧.

(٥) المرجع نفسه: ٥٠.

ألفاظ الأمم كلها، فإن الألفاظ أحوالا تشترك فيها جميع الأمم"[1]؛ كما رأى التوحيدي أن بين النحو والمنطق مناسبة غالبة ومشابهة قريبة[2].

غير أن ثمة مناظرات تعكس صراعاً بين اللغويين والمناطقة، وتصور بعض الخصومات التي دارت بينهم، فيرى التوحيدي أن النحويين كانوا "قد بهرجوا الكلمة بعد الكلمة بالإعراب والصياغة"[3]؛ وكان يحيى بن عدي يقول: "النحو والشعر واللغة ليس بعلم"[4]؛ وقال أبو شمّر عندما بلغه قول الخليل: "ليس يتعلم أحد في النحو ما يحتاج إليه حتى يبلغ ما لا يحتاج إليه"، فقال: "فقد صار ما لا يحتاج إليه ذريعة إلى ما يحتاج إليه"[5].

تلك المناظرات والمناقشات التي دارت بين اللغويين والمناطقة بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري، وتصوّره تلك المناظرة التي جرت بين السيرافي(ت٣٦٨هـ) ومتّى بن يونس في بغداد (٣٢٦هـ)[6].

(١) الفارابي: إحصاء العلوم، ٧٦.

(٢) انظر التوحيدي: المقابسات، (مقابسة ٢٢)، ص٦١.

(٣) المرجع نفسه، ٢١٠-٢١١.

(٤) المرجع نفسه: ١١٦.

(٥) ابن أبي عون الكاتب: الأجوبة المسكتة، ٨٥. والزمخشري: ربيع الأبرار، ٢٤١/٣.

(٦) انظر هذه المناظرة وما تحتويه من أسئلة طريفة ، التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ١١١-١٣٠. والحموي: معجم الأدباء، ١٩٠/٨-٢٢٩. وانظر تعليق إبراهيم أنيس على هذه المناظرة (من أسرار اللغة، ١٣٥-١٤٩).

• **جمود الدراسات اللغوية:**

غلب على الدراسات اللغوية عموماً، والنحوية علـى وجـه الخـصوص، الجمـود والجفاف، فكانت هذه الصفة باعثاً على السخرية والتهكم بـاللغويين، فثـار علـيهم الأدبـاء والمناطقة والفقهاء وغيرهم من طبقات المجتمع الأخرى. وطفقوا يتّخذون من هذا الجمود سبباً لوضع الفكاهات والنوادر حول اللغويين.

ويدل على جمود الدراسات اللغوية تراكم الحواشي والـشروح والتعليقـات، فـأكثر الدراسات المتأخرة إنما تدور حول ما بحثه سيبويه. ومن مظاهر هذا الجمود كذلك ومما يدل على جفاف تلك الدراسات خلوّها من الفكاهة، وإذا صحّ القول بأن أهل العراق كـانوا أشـد صرامة من غيرهم، كما تشير مواضع متفرقة من كتاب الأغاني[1]، أقول: إذا صح ذلك، يبدو من السهل تفسير خلوّ الدراسات اللغوية من الفكاهة؛ ذلك أن الدراسات اللغويـة نـشأت فـي العراق، وتطورت في هذا المِصْر. أضف إلى ذلك أن هذه الدراسات قامت خدمـة للقـرآن، وبدافع منه، وبقيت هذه النظرة حتى بعد استقلال الدراسات اللغوية بنفسها.

والمتتبّع للدراسات اللغوية، والمدقّق في أبحاث اللغويين يجد أن ثمة أسباباً وراء ذلك الجمود والجفاف، ولعل في مقدمة هذه الأسباب ما دخلها من تأثر بالمنطق وبالفلسفة، وما تبع ذلك من قياس وتعليل، وتقدير وتأويل، فهذه أمور أقرب إلى المنطق والفلسفة منها إلى اللغة. يقول ابن خلدون: "أصبحت صناعة العربية عندهم كأنها من جملة قـوانين المنطـق العقليـة والجدل، وبعدت عن مناحي اللسان وملكته "[2].

---

(1) انظر مثلاً ، ٥/١٣٧ ، ٨/٩٦ ، ١٧/١٢١-١٢٢ .

(2) ابن خلدون: المقدمة، ٣/١١٤٨.

ومن أسباب جمود الدراسات اللغوية تشدّد اللغويين، واختلاف لغتهم واستغلاقها، يدل على ذلك ما رواه الجاحظ أنه سأل أبا الحسن الأخفش فقال له: "أنت أعلم الناس بالنحو، فلِمَ لا تجعل كتبك مفهومه كلها، وما بالنا نفهم بعضاً ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟! قال: أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجتهم إليّ فيها، وإنما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس ما لم يفهموا"[1].

كانت طريقة عرْض اللغويين لأبحاثهم طريقة مختلفة، وكانت لغتهم التي صِيغت بها تلك الأبحاث لغة يشوبها الغموض، حتى وُصفت لغة النحاة مثلاً بأنها "لغة ما ورائيّة للغة العرب"[2]. ولعل سبب ذلك يعود إلى أنهم "خلطوا في هذه القواعد بين الواقع اللغوي، والمنطق العقلي، وبعدوا عن وصف هذا الواقع بالمحاكات اللفظية، وامتلأت كتبهم بالجدل والخلافات العميقة"[3].

عرض (عباس حسن) عدداً من المشاكل التي اقترنت باللغة والنحو، ومن المشاكل التي عرضها مشكلة اللغة التي صيغ بها النحو، والطريقة التي أُلِّفَ بها؛ فقد رأى بأن النحاة اشتهروا بلغتهم المميزة التي تدل عليهم، "حيث لا بد للمتن من شرح يفك رموزه، ويوضّح إبهامه، ويفصّل مجمله، ويزيده بعض مسائل، وللشرح حاشية تزيل غموضه، وتتناول بالتصويب أو التخطئة بعض ما فيه، وتكمل بعض قواعده. وللحاشية (تقرير) هو بمثابة حاشية

([1]) الجاحظ: الحيوان، ١/٩١-٩٢.

([2]) الجابري: بنية العقل العربي، ٤٢٨.

([3]) عبد التواب، رمضان: فصول في فقه اللغة، ٤١٧.

للحاشية"[1]. ويتعجب حسن "أن يكون للنحاة لغتهم المميّزة التي تجافي لغة الأدباء، ولسانهم الذي يُفصح عنهم، ويعلن أنهم نحاة وإن لم يصرّحوا"[2].

كان لمغالاة النحويين وإسرافهم في دراسة اللغة، وتشددهم في القواعد المختلفة وفرضها أثر في نشوء الفكاهة اللغوية، فتشدّدوا في القياس، حتى قيل: "من أنكر القياس فقد أنكر النحو"[3]. وبسبب هذا القياس نجد بعض اللغويين يخطئون العرب فيما ينطقون، فقد أكثر سيبويه من تضعيف بعض الأشعار التي لا توافق القواعد[4]؛ وعقد ابن جنى في خصائصه باباً (في أغلاط العرب)، يقول: " كان أبو علي -رحمه الله- يرى وجه ذلك، ويقول: إنما دخل هذا النحوُ في كلامهم؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجُمُ بهم طباعهم على ما ينطقون به؛ فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد"[5].

وكان لنظرية العامل أثر في جمود هذه الدراسات، فثار عليها عدد من العلماء والدارسين في عصور لاحقة، يقول إبراهيم مصطفى مثلاً: "أكبّ النحاة على درس الإعراب فوق ألف عام. وألّفوا فيه الأسفار الطوال، وأكثروا من الجدل والمناقشة في تعليله وفلسفته حتى تركوا نحو العربية أوسع الأنحاء أسفاراً وتأليفاً، وفلسفة وجدلاً. أساس كل بحثهم فيه أن الإعراب أثر يجلبه العامل"[6].

---

(1) حسن، عباس: اللغة والنحو، ٢١٣-٢١٤.

(2) المرجع نفسه: ٢١٨.

(3) ابن الأنباري: لمع الأدلة، ٩٥.

(4) انظر مثلاً: باب ما يكون الاسم مبنياً على الفعل قُدّم أو أُخّر. وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم. وباب ما يجري مما سيكون ظرفاً هذا المجرى. وانظر الكتاب، ١/٨٥-٨٨.

(5) ابن جني: الخصائص، ٣/٢٧٣.

(6) مصطفى، إبراهيم: إحياء النحو، ٢٢.

ثمة فكاهات تصوّر نظرية العامل هذه، وتعكسها بأسلوب ساخر متهكم، فمن الفكاهات التي تصور العامل واقترانه بالأذهان، ما يروى أنه "تقدم رجل إلى معلم ابنه فسأله أن لا يعلّمه سوى النحو والفقه، فعلّمه مسألتين من النوعين (ضرب زيد عمراً) ارتفع زيد بفعله وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه، والأخرى من الفقه (رجل مات وخلف أبويه فلأمه الثلث ولأبيه الباقي). فقال له: أفهمت؟ قال: نعم، فلما انصرف إلى البيت قال له أبوه ما تقول في (ضرب عبد الله زيداً ؟) قال: أقول ارتفع بفعله، وما بقي للأب"[1].

على الرغم من أن هذه الفكاهة تعكس حمق قائلها، إلا أنها تصور نظرية العامل، حتى انه استحضرها، ولم ينس هذه القاعدة، فربما وضعت هذه الفكاهة تهكماً على نظرية العامل.

- **القياس الخاطئ:**

كان للقياس في اللغة سلطان كبير على العقل العربي، إذ أثّرت الأقوال الكثيرة المطالبة باتخاذ القياس على الفكر اللغوي، فتولّد عن هذا القياس بعض الانحرافات اللغوية؛ فقولهم: "عليك بباب من النحو ينطرد وينقاس" و "إنما النحو قياس يتّبع" ، وكذلك "من أنكر القياس فقد أنكر النحو" ، وأيضاً "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب". وغيرها من الأقوال التي جرت مجرى المثل في اللغة والنحو، كلها أثرت في نشوء بعض الفكاهات.

تولّد عن هذا القياس فكاهات كثيرة، إذ شرع بعضهم في اتخاذ القياس معياراً للحكم، دون دربة، ومع عدم النظر إلى أركان القياس ومظاهره، فكان ذلك عاملاً في نشوء التفكه والتندّر، فمن ذلك ما "يُحكى أن رجلاً لقي آخر، فقال له: من أين أقبلت؟ فقال له: من عند

---

(1) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٨٠.

(أهلونا)! فتعجّب السائل من فصاحته، ثم قال له: قد علمت من أين أخذت هــذا، مــن قولــه تعالى: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا/[1](الفتح: ١١).

كان العامل في هذه الفكاهة، هو قياس الرجل الخاطىء لكلمة (أهلونـــا)، فقــد قـــاس الأولى على الثانية، دون النظر إلى موقعها في الجملة، فكان ذلك باعثاً على التفكــه. وممـــا يُروى في هذا المقام ما رواه ميمون بن هارون[2] إذ قال: "قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحماره؟ قال: باعهِ. قال: قُل باعَهُ. قال: فَلِم قلت: بحمارِهِ؟ قال: الباء تجر. قال: فمن جعــل باءك تجر وبائي ترفع"[3].

وشبيه بهذه الفكاهة ما رواه أبو القاسم الحسن إذ قال: "كتب بعض الناس: كتبت مــن طيس يريد (طوس)، فقيل له في ذلك، فقال: لأن (من) تخفض ما بعدها، فقيل إنمـــا تخفــض حرفاً واحداً، لا بلداً له خمسمائة قرية"[4]. وكذلك ما يرويه أبو عبد الله الـــشقنطري إذ قـــال: "كان إبراهيم يقرأ على الأعمش، فقال: {قَالَ لِمَنْ (حَوْلِه) أَلَا تَسْتَمِعُونَ } (الشعراء:٢٥) .فقـــال الأعمش: "لمن حَولَه". فقال: أليس أخبرتني أن (من) تجرّ ما بعدها؟!"[5].

([1])الأندلسي، ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ١٤٦.

([2]) هو ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان، راوية وكاتب. عاصر الجاحظ وروى عنه، وهو أخو محمد بــن هارون المتوفى (٢٥٠هـــ). انظر الوافي بالوفيات، ١٤٦/٢٦.

([3]) الأندلسي: حدائق الأزاهر، ١٤٦ . وانظر ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٣.

([4]) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٣-١٢٤.

([5])المقرئ ، ابو طاهر: أخبار النحويين، ٣١-٣٢. (توفي الأعمش ١٤٨هـــ)

• مقياس الخطأ والصواب:

اتّخذ اللغويون مقياس الخطأ والصواب معياراً، يُقاس به الأفراد، ومقياساً يُحكم به القدرة على اللغة، فقد "فكروا في اللغة تفكير من يخضع الصواب والخطأ في استعمالها لا لمقياس اجتماعي، بل لمجموعة من القواعد يفرضها عليها فرضاً"(١).

تشدّد اللغويون في هذا المقياس، وأسرفوا في اتخاذه معياراً يُحكم به على الأفراد، يدل على ذلك ما روي أنه "استَأذَنَ رجلٌ على إبراهيم النَّخْعِيِّ، فقال:"أبا"عمرانَ، فلم يُجِبْهُ. فقال: أبي عِمْران في الدار، فناداه: قُلِ الثالثةَ وادْخُل"(٢).

هذا التشدّد كان له أثر كبير، إذ عُدّ اللحن من العيوب، فكان الأفراد يخشون الوقوع في اللحن، حتى لا تطالهم السخرية. وربما سبّبت هذه الخشية، والخوف من الوقوع في اللحن بعض المفارقات، إذ يُروى أن رجلاً "لقي رجلاً من أهل الأدب، وأراد أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا، لي، لو، ما هو حضر"(٣).

كان المستوى الصوابي قيداً فرضه اللغويون على كافة طبقات المجتمع، ويعدّ هذا المقياس من عوامل نشأة الفكاهة اللغوية، إذ نشأت بعض الفكاهات بسبب هذا المقياس، فمن ذلك ما يُروى أن رجلاً قال للحسن البصري(ت١١٠هـ): "ما تقولُ في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباهُ وأخاه !! فقال له: فما لأباه وأخاه ؟ فقال له الحسن: إنما هو فما

---

(١) حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ٦٨/١، ٧٩. (والنخعي هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد، الفقيه الكوفي وأحد الأئمة المشاهير، ت٩٦هـ). انظر وفيات الأعيان، ٢٥/١-٢٦ .

(٣) ابن الجوزي: أخبار الحمقى،١٢٣. وانظر الزمخشري: ربيع الأبرار، ٦٣٥/١.

لأبيه وأخيه، فقال الرجل للحسن: يا أبا سعيد، ما أشدُّ خلافك عليّ، قال: أنت أشدّ خلافاً عليّ، أدعوك إلى الصواب وتدعوني إلى الخطأ؟!"[1].

سبّب مقياس الخطأ والصواب هذا، السخرية باللغويين، وربما امتد ذلك إلى الهجاء اللاذع، وذلك عندما غالى اللغويون في اتخاذ هذا المقياس، وأسرفوا في التقدير والتأويل، يدل على ذلك ما ذكره ابن عبد ربه في عقده الفريد، إذ يقول: "كان أبو الحسن التمّار ماهراً، فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد جعل ينظر بفقه الكلام، ولا يفهم التأويل، فقلنا له: ما تقول يا أبا الزهراء؟ فقال: يا ابن أخي، إن كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تتعلمونه له، فقال أبو الحسن: إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها، فقال له: ثَكِلْتَ وأُثْكلت، وهل تُخْطيء العرب؟ قال: بلى، قال: على أولئك لعنة الله، وعلى الذين أعتَقوا مثلَك". وقال في ذلك أبياتاً من الشعر، منها:

.... فَمَنْ ذا الرُّؤاسي الذي تَذْكُرونه ... ومن ذا الكِسَائي سالحٌ في كِسائه

وَمَنْ ثالثٌ لم أسمع الدَّهْرَ باسمه ... يُسمّونه من لُؤمِه سيبوائه

فكيف يُحيل القوم من كان أهلَه ... ويُهْذي له من ليس من أوْليائه[2]

الواقع أن اللغويين لم يراعوا المستوى الاجتماعي، ففرضوا قواعدهم على مختلف الطبقات الاجتماعية، رغم التطور اللغوي، لذلك فإن المستوى الصوابي "يستند إلى ضغط اجتماعي هائل، لا يستطيع الفرد أن يخاطر باحتماله، ويتمثل هذا الضغط الاجتماعي في أمور تتدرج من السهولة إلى الصعوبة، من السخرية الضاحكة، أو عدم استجابة السامع للكلام، إلى

---

(1) الحموي: معجم الأدباء، ١/٨٧. وانظر الحصري: جمع الجواهر، ١٠

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣/٤٩٣-٤٩٤.

أقصى العقوبات الاجتماعية، التي منها الابتعاد عن صحبة من يتعوّد خرق المستوى الصوابي"[1].

- **المصطلحات اللغوية:**

وضع اللغويون مصطلحات للمسائل اللغوية المختلفة، وأرادوا من هذه المصطلحات تصوير القضايا اللغوية، غير أن هذه المصطلحات اتخذت مجالاً للقدح باللغويين، وفتحت آفاقاً للسخرية بهم أحياناً، وكانت باعثاً للتفكه في كثير من الأحيان.

تعد المصطلحات اللغوية من عوامل نشأة الفكاهة، وكان ذلك في صورتين، صورة غير مقصودة، وأخرى مقصودة؛ وتمّت الأولى عندما خرج اللغويون إلى البادية لجمع اللغة، فصادفوا الأعراب الذين لم يعرفوا مصطلحات اللغويين، فكانوا يجيبون عن تساؤلات اللغويين بالمعنى اللغوي، بعيداً عن المعنى الاصطلاحي، فأدى ذلك إلى الابتعاد عن المعنى الذي أراده اللغويون، فسبب ذلك الفكاهة والنادرة، ويدخل في هذه الصورة بعض الفكاهات التي كانت بين اللغويين والعوام.

أما الصورة الثانية، فلم تكن عاملاً مباشراً إلى نشوء الفكاهة، بل كانت عاملاً مساعداً؛ ذلك أن كثيراً من المصطلحات اللغوية، لا سيما النحوية منها، وُضعت قريبة من المعاني التي تستحضرها الأذهان لأغراض أخرى، كالفاعل والمفعول والنصب والجر...الخ. مثل هذه المصطلحات سهّلت من نشوء الفكاهة، واتُّخذت سلاحاً للرد على اللغويين، وخاصة في مراحل

([1]) حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، ٦٢.

لاحقه، عندما اتّخذ اللغويون موقفاً حازماً إزاء التطور اللغوي، وقد وصلت بعض تلك الفكاهات إلى حدّ الفحش[1].

وكان اقتباس المصطلحات اللغوية، في بعض المواقف، لا يخلو من طرافة، فمن ذلك ما رواه ابن بصّخان[2](ت٧٤٣هـ)، إذ "دخل يوماً هو والشيخ نجم الدين القفخازيّ في درب العجم، وبه ظروف زيت، فعثّر في أحدها، فقال الشيخ نجم الدين: تعسنا في **ظرف المكان**، فقال له الشيخ بدر الدين: لأنك تمشي بلا **تمييز**، فقال: إن ذا **حال** نحس"[3].

ومما يروى من فكاهات، سببتها المصطلحات اللغوية، أنه "قرأ بعض المغفلين (في بيوتٌ)، فقال له شخص: يا أخي، إنما القراءة (في بيوتٍ) في الجر، فقال: يا مغفل، إذا كان الله سبحانه وتعالى قال: "ِفي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ"، تجرها أنت لماذا؟!"[4].(النور:٣٦)

- **تشدد اللغويين إزاء التطور اللغوي:**

تشدد اللغويون في التزامهم الفصحى، ورأوا في تلك اللغة نموذجاً يجب أن يُحتذى. غير أن الواقع الاجتماعي يأبى مثل هذا التشدد، فـ"كل سلوك لغوي لا بد أن يراعى فيه عنصران هامان لا يستغنى عنهما: عنصر الوضوح الذي يسد الحاجة اللغوية أو المعنى الوظيفي، وعنصر المطابقة الذي يسد الحاجة الاجتماعية أو المعنى الاجتماعي"[5].

---

(١) انظر أمثلة على هذه الفكاهات، الحموي: ثمرات الأوراق، ٤٤. والتوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٥٧/٢. والحصري: زهر الآداب، ٣٢٧/١. وجمع الجواهر، ١٥٩-١٦٠. والثعالبي: خاص الخاص، ٦٦. الكاتب، ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ١٥٨، ١٧٥.

(٢) هو بدرالدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بصخان ابن عين الدولة الدمشقي، المقرئ النحوي، ولد ٦٦٨هـ وتوفي ٧٤٣. انظر ترجمته: نكت الهميان، ٢٣٩-٢٤٠. وبغية الوعاة، ٢٠/٢-٢١.

(٣) الصفدي: نكت الهميان، ٢٤٠. والسيوطي: بغية الوعاة، ٢٠/١.

(٤) العاملي: الكشكول، ٣٤٢/١.

(٥) حسان، تمام:اللغة بين المعيارية والوصفية، ٥٩.

لم يؤمن اللغويون بالتطور اللغوي، ولم يتنبهوا إلى ذلك الواقع الاجتماعي، فأدى تزمتهم إلى الثورة عليهم أحياناً، وإلى السخرية منهم في كثير من الأحيان.

كانت طبيعة اللغة -بوصفها متطورة- عاملاً من عوامل نشأة كثير من الفكاهات، فلم تعُد الفصحى لغة متداولة، ولم يعُد اللحن معيباً، بل أصبح الحديث بالفصحى يعد ضرباً من التقعّر والتشدّق، وغدت القاعدة العامة، كما يرى الجاحظ، أن "مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتها والحمل عليهم على أقدار منازلهم"(١).

اللغة متطورة باستمرار، غير أن اللغويين لم يؤمنوا بهذه الحقيقة، فحدث صراع بينهم وبين غيرهم، أو قُل بين الفصحى والعامية، فاللغويون التزموا بالنموذج العربي القديم وغالوا في ذلك، أما العامية فإنها "لا تلتفت إلى معنى الكلمة، ولكن إلى ما جرت به العادة في استعمالها في الظاهر"(٢).

إن الصراع بين الفصحى والعامية، ليس وليد المصادفة، بل هو واقع فرضه تشدّد اللغويين إزاء التطور اللغوي، فالإطار الاجتماعي يرفض التشدّد والإسراف في استخدام قوالب محددة. إن الإصرار على ذلك النموذج قوبل بالسخرية والتهكم، فقد روي أنه "وقف نحوي على زجاج، فقال: بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما خضراوتان؟ فقال الزجاج: ﴿مُدْهَامَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾"(٣).(الرحمن٦٤-٦٥)

تلك السخرية التي واجهها اللغويين، نتيجة فرضهم الفصحى على كافه فئات المجتمع، ربما أثنت بعضهم عن التشدد ذاك، إذ روي أن الكسائي قال: "حلفت ألّا أكلم عامياً إلا بما

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٩٣/١. وانظر في هذا المعنى: الحيوان، ١٣٨/١-١٣٩، ١٤٤/١، ٣٦٨/٣-٣٦٩.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٥٦/٤.

(٣) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٦. والأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٨٧/١.

يوافقه، ويشبه كلامه، وذلك أنني وقفت على نجار فقلت له: بكم هذان البابان؟ فقال بسلحتان يا مصفعان. فحلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يصلح"(١).

ظهر نتيجة لهذا الواقع، ما عرف بالتقعّر والتشدّق، فتولّد عن هذا الاصطدام كثير من الفكاهات، ويبرز في هذا المجال أسماء عرفت بالتقعر، والتشدد في التزام الفصحى، كعيسى ابن عمر وأبي الأسود، وأبي علقمة، فقد اقترنت أسماؤهم بكثير من الفكاهات.

غدا الالتزام بالإعراب في كل الأوقات، وفي مختلف الظروف، من العيوب الاجتماعية، فقد ذكر ابن عبد ربه بأن الإعراب يُستقبح في غير موضعه، ومثّل على هذا بقول عيسى بن عمر الثقفي إذ "قال وابن هبيرة يضربه بالسياط: والله إن كانت إلا أُثياباً أُسيفاط قبضها عشّاروك"(٢).

ولعل أشهر من عرف بالتقعّر، وأكثر الأسماء ارتباطاً بالفكاهات الناتجة عن ذلك، أبي علقمة النحوي، فكان استخدامه لمفردات غريبة موضع سخرية، فمن ذلك ما يرويه ابن جني أن أبا علقمة مرّ يوماً على عبدين حبشي وصقلّبي، وقد ضرب الحبشي الصقلّبي، فطلب الصقلبي من أبي علقمة أن يشهد له عند الأمير، فشهد أبو علقمة بما رآه، غير أن شهادته هذه كانت قد ملئت بالغريب، حتى إن الأمير لم يستطع فهمها، فقال للصقلّبي: شجني خمساً، وأعفني من شهادة هذا(٣).

---

(١) ابن الجوزي: أخبار الظراف، ١٨٢. والحموي: معجم الأدباء، ١٣/١٩٧.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/٤٨١. وانظر فكاهة في التقعر لمحمد بن الحسن الجرجاني، التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٢/٥٢. (ابن هبيرة هو الوزير أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد، قرأ القراءات والنحو واطلع على أيام العرب، وقرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي، وتفقه على أبي الحسن الفراء، وسمع منه ابن الجوزي، ولد ٤٩٩هـ وتوفي ٥٦٠هـ.) انظر وفيات الأعيان، ٦/٢٣٠-٢٤٣.

(٣) انظر السيوطي: بغية الوعاة، ٢/١٣٩.

صورت الفكاهة جانباً من شخصية أبي علقمة، وعكست صراعات متعددة بينه وبين كثير من فئات المجتمع، فقد مُلئت كتب الأدب بفكاهات حول هذه الشخصية، فمن ذلك ما يُروى أنه "مرّ ببعض الطرق فهاجت به مرّة، فوثب عليه قوم، فجعلوا يعصرون إبهامه، ويؤذنون في أذنه، فأفلت من أيديهم، فقال: ما بالكم تتكأكأون علي تكأكؤكم على ذي جِنّة؟ افرنقعوا عني، فقال رجل منهم: دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية"(١).

يبدو أن أبا علقمة اتُّخذ نموذجاً للتفكه والتندّر، وربما لم تكن تلك الفكاهات حقيقية في جملتها، غير أنها أُضيفت إليه أو اختُلقت عليه، فغدا نموذجاً في التقعّر اللغوي، يدل على ذلك الفكاهات الهائلة التي زخرت بها كتب الأدب حول هذه الشخصية، والمفارقات التي واجهها مع مختلف الطبقات الاجتماعية، سواء مع طبيب أو حجّام أو مع جارية أو جـرّار، أو مع زجاج أو حذّاء(٢).

وربما كان أبو علقمة وأسلوبه في الكلام لا يمثّل الفصحى، فلعلّه تكلّف استخدام الفصيح والغريب، وكوّن منه جملاً، ليثبت فصاحته، لأنه من الموالي، فإذا صحّ ذلك، فكأنه يريد بأسلوبه هذا أن يدفع عنه تهمة القصور اللغوي التي عرفت عن الموالي.

كل تلك الفكاهات تعكس صراعاً بين اللغويين وغيرهم من الطبقات الاجتماعية، فأغلب تلك الفكاهات تتضمن صراع نحوي أو لغوي مع فئة من فئات المجتمع، كالنجّار والزجّاج والحدّاد وغيرهم، فهذا يدل على أن التزام الفصحى مرفوض ضمن الإطار

---

(١) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ٣١. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٦٣/٢.

(٢) انظر فكاهات حول شخصية أبي علقمة في: الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٨٠/١. والمحاسن والأضداد، ٣٠-٣١. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٦٣/٢. والبيهقي: المحاسن والمساوئ: ١٨٥/٢-١٨٦. والحموي: معجم الأدباء، ٢٠٥/١٢، ٢٠٧، ٢٠٨-٢٠٩. والحصري: جمع الجواهر، ١٣٩، ١٨٠ وابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٤١. وأخبار الظراف، ١٨٤. وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤٨٩/٢-٤٩٠. والأندلسي،ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ٩٣. والسيوطي: بغية الوعاة، ١٣٩/٢، ٢٣٨.

الاجتماعي العام. وكثيراً ما تكتفي تلك الفكاهات بذكر (نحوي) أو (لغوي) دون تعريف، فهذا يدل أيضاً على أن اللغويين حاولوا فرض الفصحى على كافة الطبقات الاجتماعية[1].

أصبح الكلام بالفصحى في العصر الحديث تصنّعاً، واستمرّ تكلّفه يُقابَل بالسخرية والتهكم، وربما بالتفكّه والتندّر، إذ يروي طه حسين في كتابه (الأيام) أنه أحبّ أستاذين حباً شديداً، الأول لا يتكلّف ولا يتصنّع، والآخر كان يتكلّف، ولا يتكلّم إلا العربية الفصحى فغدا مضحكاً التلاميذ لذلك، إذ "كان يقدّم السيجارة إلى الفتى، فإذا همّ الفتى أن يشعلها، قال له: انتظر حتى أُلفّها لك! ولم يكد الطلاب يسمعون هذه الكلمة حتى يغرقوا في ضحك لا يستخفّون به"[2].

إن تشدّد اللغويين إزاء التطور اللغوي، وعدم مراعاتهم للمقام، وإغفالهم للإطار الاجتماعي، ولّد صراعاً بينهم وبين غيرهم من الطبقات الاجتماعية، فظهر نتيجة لذلك صراع بين الفصحى والعامية، فواجه اللغويون مفارقات لا تخلو من طرافة، وتباينت ردود الفعل التي واجهوها بين السخرية والتّهكم، إلى الهجاء اللاذع، وكثيراً ما كانت الفكاهة سلاحاً يواجه به اللغويين نتيجة لتشدّدهم ذاك.

(1) انظر بعضاً من هذه الفكاهات في، ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٣٩. والأندلسي: حدائق الازاهر، ١٤٥. والإبشيهي: المستطرف، ٣/٢٢٤، ٢٤٢.

(2) حسين، طه: الأيام، ٤٢.



الفصل الثالث:

الفكاهة اللغوية، صورها وأغراضها

صور الفكاهة اللغوية

جاءت الفكاهة اللغوية في صور شكلية وأخرى موضوعية؛ فالشكلية هي القوالب التي انتظمت فيها الفكاهة، أما الموضوعية فهي المضامين التي تضمنتها هذه الصور، وقد جاءت على هيئة قضايا عامة أو ظواهر خاصة، وستركز الدراسة في هذا المجال، على أبرز ظاهرتين في الفكر اللغوي العربي. وفيما يأتي أبرز القوالب التي جاءت عليها الفكاهة اللغوية:

الطرفة اللغوية:

للطرفة بنيه خاصة، تقوم في أشهر صورها على الرواية أو الحكاية، وغالباً تُروى دون تحديد؛ فتكتفي بذكر طبقة ما، كالمعلمين أو النحويين أو التجّار وغيرهم، وربما تكتفي بنسبة الشخص إلى بلده أو موطنه.

تتكوّن الطرفة أو النادرة من راوٍ، وغالباً ما يكون مرحاً فكهاً، وشخص تُحكى عنه هذه النادرة، ويكون في الغالب نموذجاً للتفكّة، وشخص مستمع لهذه النادرة؛ ومن مكونات النادرة كذلك، الموضوع الذي تدور حوله، كالحمق أو الفحش أو التقعّر... الخ.

تعد النوادر اللغوية صورة من صور الفكاهة اللغوية، فتأتي على هيئة النكتة أو الطرفة المشهورة، وتعتمد على قواعد عامة، كالاختصار والتكثيف، والحفاظ على اللهجة كما هي، كما أن الأشخاص فيها يُتّخذون كنموذج في الغالب، ويمثّلون طبقة اللغويين، فكثير من الفكاهات تكتفي بذكر (نحوي) أو (لغوي)، إضافة إلى الفكاهات المشتملة على قضايا لغوية دون ذكر للغويين فيها.

تضمنت النوادر اللغوية أقوالاً تبعث على الضحك، وأجوبة تثير بعض القضايا اللغوية، وآراء للغويين فيها كثير من الطرافة، ومما يروى أن بعض الأدباء كتب:(الحمام التي)، فقيل له: إن الحمام مذكر فقال: هو حمام النساء[١].

قد تكون الطرفة اللغوية مقصودة أو غير مقصودة، ولكنها عموماً تقوم على تنظيم الأفكار والقضايا اللغوية، وترتيبها بصورة تعكس الغرض منها، وبطريقة طريفة تهيئ للهدف العام الذي قيلت من أجله، وهو إثارة جو من المرح والمزاح. فقد قيل: "إن رجلاً سأل آخر من أهل الأدب عن أخيه، وخاف أن يلحن فقال: أخاك أخوك أخيك هاهنا؟ فقال الرجل: لا، لو، لي ما هو حضر[٢]".

استهدفت النوادر اللغوية إذن فئة اللغويين، فأبرزت الجوانب السلبية في شخصياتهم، وأغلب ما تصوّره تلك النوادر هي جدّية اللغويين وتقعّرهم وتحذلقهم، وتصنّعهم وتكلفهّم. وتندرج الفكاهات التي وردت حول شخصية أبي علقمة النحوي وأمثالها تحت هذه الفكاهات.

كانت هذه النوادر سلاحاً يواجه به اللغويين، وينتقص من شأنهم، فكان يُنظر إلى اللغويين نظرة دونيّة، فوُضعت مثل تلك الفكاهة سخرية وتهكماً عليهم؛ ذلك أنهم التزموا في جميع المواقف والمواطن لغة واحدة، دون إيمان بالتطور اللغوي، ومن غير مراعاة لمقتضى الحال.

وكانت الفكاهة كذلك وسيلة وأسلوباً، تضفي جواً من المرح واللهو؛ فالضحك قد يصيب هدفه الأعلى وهو تقويم بعض العيوب، أو ما يراه المتفكّه عيباً، ولكن إذا لم يصل إلى هذه الغاية، فعلى الأقل يُخرجنا من حياة الجد إلى جو من المرح الذي نحتاجه.

---

[١] انظر ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٦٠.

[٢] الزمخشري: ربيع الأبرار، ٦٣٥/١. وانظر ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٣.

الاقتباس اللغوي:

الاقتباس فن بديع، تأنس به النفس وتطرب له الأذن، ويندرج هذا الفن تحت أبواب البلاغة، ويمكن ربطه باللغة، من خلال العلاقة القائمة بين الدراسات اللغوية والبلاغية، ونعني هنا أخذ المصطلحات اللغوية، والاستعانة بها للتعبير عن الأغراض المختلفة[١].

وقد اشتهر بهذا الفن عدد من الشعراء والأدباء، منهم: الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، وديك الجن (ت ٢٣٥هـ) والمتنبي (ت٣٥٤هـ) وأبو الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ) وابن عُنين (ت ٦٣٠هـ)، والبهاء زهير (ت ٦٥٦هـ)، ومحمد بن علي السبتي (ت ٧٣٣هـ)، وصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ)، وبدر الدين الغزي (ت ٧٥٣هـ)، وحافظ إبراهيم (ت ١٣٥١هـ)، والرُّصافي (ت ١٣٦٤هـ) وغيرهم.

حاول بعض الدارسين البحث في هذه الظاهرة، غير أن دراسته تلك لم تُجاوز الجمع والتبويب وقليلاً من التعليلات، فافتقرت إلى التحليل والمناقشة، أضف إلى ذلك خلوّها من التوثيق وإحالة كل قول إلى مرجعه[٢].

وُجد الاقتباس اللغوي غالباً في الشعر والنثر، وغدا أسلوباً يتّخذه كل من الشعراء والأدباء لتقريب صورهم الفنية، وأغراضهم البلاغية، وظهرت أكثر الاقتباسات في فنيّ الشعر

---

(١) اطّلعت في مرحلة متأخرة من هذه الدراسة، على بحث للدكتور حسن الملخ بعنوان(استخدام المصطلحات النحوية في الشعر)، وقد بحث في هذه الظاهرة، وحلّلها بمنهج تاريخي نقدي. فرأى أن هذه التجربة تبرز إشكالية تشكيل الصورة الشعرية، باستعمال المصطلح النحوي. كما رأى أن هذا المصطلح أصبح مفتاحاً لفهم فكرة الشاعر، وتحليل صوره الشعرية، ووظّفه الشعراء توظيفاً فنياً فغدا ظاهرة أدبية. (انظر هذا البحث، المجلة العربية للعلوم الانسانية، مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت،عدد٨٩، سنة٢٣، ٢٠٠٥م، ص٣١-٧٩.

(٢) انظر الفضلي، عبد الهادي: أعراف النحو في الشعر العربي، وانظر تبويبه لتلك الأبيات حسب الأغراض الشعرية، ص ٧-٩.

والرسائل تحديداً، مما يوحي أن تلك الاقتباسات كانت لغايات محددة، يصلح الشعر والرسائل إطاراً لها.

استُغلّت المصطلحات اللغوية في كثير من الأغراض، فمنها العاطفية أو الوصفية أو لأغراض المدح والهجاء، فكان اقتباس هذه المصطلحات محبّباً للقائل والمستمع، بل أضحت مجالاً للمسامرة والمنادرة، في كثير من الأحيان(١).

ويبدو أن أكثر الأغراض التي صوّرها هذا الفن هي الغزل والوصف ثم الشكوى من الزمن، وكذلك المدح والرثاء والهجاء. وفسّر بعض الدارسين ذلك أن "الغزل والوصف أقرب إلى مجال الظرف، وأكثر توفيراً لجو الطرافة الأدبية"، أما الشكوى من الزمن فإنه عائد -كما يرى- إلى "أن أكثر النحويين من البائسين"، وفيما يتعلّق بالمدح والرثاء والهجاء فيعتقد أنه "ناشئ من مقتضى المناسبة للقائل أو المقول فيه"(٢).

مهما يكن من أمر، فقد اشتملت كثير من الاقتباسات على طرائف لغوية، ونوادر نحوية، ونكت مختلفة الألوان متعددة المحاور، وتضمّنت كثيراً من أبواب اللغة والنحو، فكان لهذا الفن فائدة، ولنظمه مغزى.

مُلئت كتب التراث بالأبيات والرسائل المتضمّنة للقضايا اللغوية ومصطلحاتها، فمن ذلك قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في رسالة كتبها شفاعة على يد شخص كبير، فقال: " لا زال علَم عِلمه مرفوعاً أبداً، وبناء مجدِه منصوباً بخفض العِدى، ولا برِحتْ حروف أقلامه لأفعال الشك جازمة، ووفودُ السّعود عن أعدائه متعدّية، ولأوليائه لازمة"(٣).

---

(١) وردت بعض الاقتباسات في معان فكاهية فاحشة، انظر مثلاً العاملي: الكشكول، ١/١٧٣.

(٢) الفضلي: أعراف النحو، ٦.

(٣) الصفدي: نصرة الثائر، ٣٧٣. وانظر باقي هذه الرسالة التي ملئت بالمصطلحات اللغوية في إطار الدعاء والثناء لغرض الشفاعة، ٢٧٣- ٣٧٤.

ووردت بعض القضايا اللغوية في هذا الإطار، كقضية الرتبة مثلاً، يقول بعضهم:

إنَّ الجَهُـــولَ إذا تـــصدّرَ بـــالغِنَى في مجلسٍ فـــوقَ العلـــيمِ الفاضـــلِ
فهو المـــؤَخَّرُ فـــي المعـــاني كلِّهـــا كتـــأخّرِ المفعـــولِ بعـــدَ الفاعِـــلِ[1]

وتناول أبو الفتح البستي قضية (حذف نون جمع المذكر السالم عند الإضافة)، فقال:

عُزلتُ ولَـــمْ أُذنِـــبْ ولَـــمْ أكُ خائنـــاً وهـــذا لإنْـــصافِ الـــوزيرِ خِـــلافُ
حُذفت وغَيري مُثْبَـــتٌ فـــي مكانِـــهِ كأنّيَ نونُ الجَمْـــعِ حـــينَ تُـــضافُ[2]

وقال محمد بن طيفور[3]:

أزالَ اللهُ عـــــنكم كـــــلَّ آفـــــةْ وســـدَّ علـــيكم سُـــبُلَ المخافـــةْ
ولا زالـــــتْ نـــــوائبكُم لـــــديكُمْ كنون الجمعِ فـــي حـــالِ الإضـــافةْ[4]

ومن القضايا اللغوية كذلك، جزم الفعل، كقول المتنبي، مادحاً سيف الدولة:

إذا كانَ ما تَنوِيـــه فعـــلاً مـــضارعاً مضى قَبْلَ أن تُلقى عليه الجـــوازم[5]

وقال أبوعبد الله محمد بن عبدالله العربي العقيلي قصيدة طويلة، في التوسّل إلى الإمام سلطان فاس، ومنها :

وناصِرَ الدينِ في الإقبالِ فاق وفـــي مَحبَّة العلم أزرَى بابنه والحَكَمِ

---

(1) العاملي: المخلاة، ٢٨٩.

(2) الثعالبي: خاص الخاص، ٦٨. وانظر التمثيل والمحاضرة، ١٦٢. والحصري: زهـر الآداب ١٤٥/٣، وجمع الجواهر، ١٨٢.

(3) هو محمد بن طيفور، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير للقرآن وكتاب علل القراءات، والوقف والابتداء، ت٥٦٠هـ. انظر الوافي بالوفيات، ١٧٨/٣.

(4) القفطي: إنباه الرواة، ١٥٣/٣.

(5) المتنبي: الديوان، ٣٨٢/٣. أي أن الأفعال التي ينوي سيف الدولة فعلها، تصبح بحكم الماضي، حتى قبل أن يُجزم ذلك الفعل لفظياً، بدخول إحدى حروف الجزم عليه.

أفعـــال أعدائِـــهِ معتلّـــةٌ أبـــداً   متى يَرُمْ جَزْمها بالحـذف تَنْجـزم[1]

تناول بعض الشعراء أو الكتّاب قضية التبعية، مثل تبعية الصفة للموصوف والعاطف للمعطوف، ومن ذلك قول اليازجي في المقامة (الأنطاكية): "إني لك أتبع من الصفة للموصوف، وألزم من العاطف للمعطوف"[2].

كما ورد كثير من القضايا الصرفية في إطار الاقتباس، كالممنوع من الصرف والتصغير والجموع والتقاء الساكنين، وغيرها من القضايا. من ذلك قول مهلّب بن الحسن بن بركات أبو المحاسن البهنسيّ النحوي، وقد كان قاضياً بالبهنسا فصُرِف في الدولة الصلاحية الملكية الناصرية، فقال في ذلك:

صُرِفْتُ أنّـــي صُـــرِفْتُ مـــن عِلَـــلٍ   تـــسع وأنّـــى أغــــرِبُ الحَرْفَـــا
فليـــت لـــي خـــصلتين: معرفـــة   وعُجمة تمنعـاني مـــن الـصّرْفا[3]

فقد تناول بعض الأمور التي تمنع الاسم من الصرف. وذكر غيره علامة الجر في ذلك الاسم، فقال الشيخ حسن بن زين الدين العاملي(ت١٠٠٣هـ):

إن الزّمَـــــانَ لَـــــمْ يَـــــزَلْ   يَفتـــك فـــي أهْـــل الحَـــسَبْ
وصـــــرفُه مِـــــنْ جَـــــوْزه   بجـــــرِّهم قـــــد انتـــــصبْ[4]

إذن، جمعت بعض الأبيات الشعرية والرسائل النثرية كثيراً من القضايا اللغوية، كعلامات الإعراب، والتعدي واللزوم، والتمييز والحال، والصحيح والمعتل والترخيم والتصغير، والتقاء الساكنين والإدغام، وغيرها من القضايا. كل ذلك بأسلوب شائق قريب إلى

---

(١) التلمساني: أزهار الرياض، ٧٩/١.

(٢) اليازجي: مجمع البحرين، ١٦١.

(٣) القفطي: إنباه الرواة، ٣٣٤/٣.

(٤) العاملي: الكشكول، ١١٤/١.

النفس. وقد تفاوتت طولاً، فمنها الأبيات والقطع المتفرقات، ومنها القصائد والمقامات الكاملات[1].

تفاوتت الآراء حول هذه الظاهرة، وتباينت وجهات النظر فيها، فذهب فريق إلى أنه لا يجوز استخدام مصطلحات بعض المهن والعلوم عند الخوض في الكلام، ويمثل هذه النظرة ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) وبيّن سبب ذلك، وهو أن "الإنسان إذا خاض في علم وتكلّم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة"[2].

عارض هذا الرأي ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، وبيّن فساد ما ذهب إليه ابن سنان، فرأى أن "صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة، لأنها موضوعة على الخوض في كل معنى، وهذا لا ضابط يضبطه ولا حاصر يحصره، فإذا أخذ مؤلف الشعر و الكلام المنثور في موضوع معنى من المعاني وأدّاه ذلك إلى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك، فليس له أن يتركه ويحيد عنه، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده"[3].

ولخّص ابن الأثير رأيه في الاقتباس قائلاً: "إذا استُعمل على الوجه المرضيّ كان حسناً، وإذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحاً"[4]؛ وكذا كان موقف الصفدي (ت ٧٦٤هـ) من الاقتباس، فقبل الحسن وردّ القبيح[5]، وإن اختلفا في بعض الأمثلة على الحسن والقبيح.

---

(١) انظر مثلاً قصيدة كاملة وضعها شرف الحصني في رثاء ابن مالك النحوي على هذا الأسلوب، السيوطي: بغية الوعاة، ١/١٣٤- ١٣٥.وانظر المقامة النحوية للزمخشري :مقامات الزمخشري، ٢١٨-٢٢٣.

(٢) الخفاجي:سر الفصاحة، ١٥٨.

(٣) ابن الأثير: المثل السائر، ٣/٢١٢.

(٤) المرجع نفسه، ٣/٢١٦. وانظر رأيه في بعض الاقتباسات الحسنة والقبيحة، ٣/٢١٤- ٢١٦.

(٥) انظر رأي الصفدي في بعض الاقتباسات الحسنة والقبيحة: نصرة الثائر، ١٠٣، ١١١، ٢٢٢، ٣٢٦-٣٢٧، ٣٧٢- ٣٧٤.

نعم، قد يكون الاقتباس مكروهاً منبوذاً إذا كان مبالغاً فيه، فيخرج بذلك عن غايته، ويبتعد عن المحور الرئيس الذي جيء من أجله، وهذا يوحي إلى عجز الشخص الذي يقتبس، فيأتي بالألفاظ دون تغيير وتحوير.

غير أن هذا لا يقلّل من شأن الاقتباس اللغوي، فاستثمار المصطلحات اللغوية في مختلف الأغراض والتشبيهات له أهمية كبيرة، بل يجب الاهتمام فيه والعناية به، لما يقدّمه من وسيلة طريفة وشائقة لتناول القضايا اللغوية ودراستها. أضف إلى ذلك فإن تضمن الغزل والوصف والمدح والرثاء وغيرها من الأغراض، في كثير من القواعد اللغوية يؤدي إلى شيوع هذه القواعد، ويساعد على اشتهارها والتعرّف إليها، وفهمها بطريقة طريفة، قريبة إلى الأذهان، وقد يدفع لطافة التعبير السامع أو القارئ إلى البحث في القضايا اللغوية غير الواضحة، فيكون الاقتباس بمثابة المحفّز لتعلّم تلك القضايا.

أما دلالة الاقتباس اللغوي، فيدل على أن المصطلحات اللغوية تصلح للتعبير عن كافة العواطف والمشاعر، وتقرّب كثيراً من الأغراض المراد إبرازها، إضافة إلى ما تحمله من دلالات لغوية. يقول الصفدي: "لو شاء كُتّاب هذا العصر أن يستعملوا أبواب النحو وألقاب الإعراب من أول الفن إلى آخره في أي معنى أرادوا لفعلوه"[1].

يعد الاقتباس اللغوي من مظاهر الرقيّ في الفكر والتأمل، ويدل أيضاً على انتشار الدراسات اللغوية، وما تبعه من تشبّع العقل العربي بمصطلحات اللغة والنحو. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن من يقتبس مثل هذه المصطلحات، فكأنه يجد فيها خير معين له على التعبير؛ لأنها تسعفه في الإفصاح عمّا في داخله من عواطف وأخيلة ومعان متعددة. أضف إلى ذلك، فإن هذه الظاهرة تعكس ذكاء من يستعين بهذه المصطلحات، لتقريب الأغراض التي

---

(1) الصفدي: نصرة الثائر، ٣٧٣.

يعبر عنها، وعلى الذوق الرفيع الذي يتمتع به العربي، فقد غلبت المصطلحات والقضايا اللغوية على أذهان من اقتبسها، مما يدلّ على أن مخيلتهم كانت مستحضرة لها وأذهانهم مشبعة بها.

الألغاز اللغوية:

تعددت الأسماء الدالة على الألغاز، وتباينت المصطلحات التي تصورها، لعل في مقدمتها الأحجية والتعمية والمغالطة والكناية والتعريض والملاحن وغيرها[١] . فهذه الأبواب -كما ذكر العلوي اليمني-(ت٧٥٠هـ) "كلها مشتركة في كونها دالة على أمور بظاهرها، ويفهم عند ذكرها أمور أُخَر غير ما تعطيه بظواهرها"، فرأى العلوي أنها "تدل على تصرّف بالغ، وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعاني، فهي غير خالية عن فن من فنون البلاغة وعلم البديع"[٢].

غير أن اليمني عاد ليفرّق بين عدد من هذه الأبواب، ففرّق بين المغالطة والألغاز مبيّناً أن "المغالطة إنما تكون بالألفاظ المشتركة، وهي دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعاً، وقد يُرادان جميعاً بالقصد والنية بخلاف الإلغاز، فإنه ليس دالاً على معنى بطريق الاشتراك، ولكنه دال على معنى من جهة لفظه، وعلى المعنى الآخر من جهة الحدْس لا بطريق اللفظ"[٣]؛ وفرّق طاش كبرى زاده(ت٩٦٨هـ) بين المعمّى واللغز، فرأى أن "المدلول إذا كان ألفاظاً وحروفاً فإن قصد بها معان أُخَر يكون معمّى، وإن قصد ذوات الحروف على أنها من الأشياء الذوات يكون لغزاً"[٤].

---

(١) انظر أسماء اللغز كاملة، وتوضيح شامل لها في، النويري: نهاية الأرب ، ٣/١٦٢-١٧٢ .

(٢) العلوي اليمني:الطراز ، ٣/٦٢- ٦٣.

(٣) المرجع نفسه: ٣/٦٣.

(٤) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ٢٧٤.

حاول بعض الباحثين تفسير السبب الذي يضفي على الألغاز تفكهاً، ويدفعنا إلى الضحك والانشراح تبعاً لذلك، فذهب زكريا إبراهيم- معلّقاً على التلاعب اللفظي- إلى أنه "الدليل على انحراف اللغة انحرافاً مؤقتاً، وكأن الألفاظ تريد هي الأخرى أن تلهو وتعبث، وهذا اللهو وذلك العبث هو الذي يضحكنا"[١].

ولعل التفكّه والطرافة اللّذين تأتي بهما الألغاز، من المفارقة التي يتضمّنها اللغز، ومن المفاجأة التي يسبّبها، فهو يوحي بداية بالخروج عن المألوف، غير أن التفكّر فيه ولدى الوصول إلى حلّه، يُلاحظ صحته وسلامة مضمونه.

مهما يكن من أمر، فقد جاءت كثير من الفكاهات بقالب لغز أو أحجية، كما جاءت مجموعة من الفكاهات اللغوية عن طريق الإلغاز، فكانت غايتها تلبية لحاجة الفكاهة من جهة، ومن جهة أخرى لتؤدي أسلوباً جديداً في طرح القضايا اللغوية بطريقة مختلفة، طريقة طريفة تقوم على التلاعب بالألفاظ، فتدفع الذهن إلى التفكّر فيما يتضمنه هذا اللغز، ليبقى راسخاً في الأذهان.

صوّرت الألغاز كثيراً من القضايا اللغوية، حتى إن بعض العلماء عدّ علم الأحاجي والأغلوطات من فروع اللغة والصرف والنحو، فعرّفه طاش كبرى زاده بأنه "علم يُبحث فيه عن الألفاظ المخالفة لقواعد العربية بحسب الظاهر، وتطبيقها عليها، إذ لا يتيسّر إدراجها فيها بمجرد القواعد المشهورة"، ويرى بأن غاية هذا العلم هو "حفظ القواعد العربية عن تطريق الاختلال[٢]".

---

(١) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ١٨٦.

(٢) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ١/ ٢٧٢- ٢٧٣.

قدّمت الألغاز مادة غنية للقارئ، وفائدة ذهنية كبيرة، واتخذت مثل هذه الألغاز آفاقاً للمرح، وفتحت مجالاً للتسلية، ذلك أن الأذهان تستمتع بهذا الفن وتستحسنه، يقول طاش كبرى زاده:"الألغاز دلالة الألفاظ على المراد، دلالة خفية في الغاية، لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة، بل يكون بحيث تستحسنها وتنشرح إليها".[١]

يضاف إلى ذلك، أنها من الفنون التي تحفّز الذهن على التفكير، ومن العلوم التي تنير العقل، بما فيها من خفايا والتواءات في الظاهر، وبما تنطوي عليه من دقائق لغوية في الباطن.

ولأهمية الألغاز اللغوية في خدمة اللغة والنحو، نجد أن كثيراً من علماء اللغة قد اهتموا بهذا الفن، وفي مقدمتهم الأصمعي(ت٢١٣هـ)وابن دريد(ت٣٢١هـ) والرماني(ت٣٨٤هـ)والزمخشري(ت٥٣٨هـ)وابن هشام(ت٧٦١هـ) والسيوطي(ت٩١١هـ) وغيرهم، يقول ابن هشام مثلا: "لمّا نظرت في علم العربية، ووقفت على دقائقه وراجعت كتب العلماء وتصانيفهم وجدتها مشتملة على أبيات الشعر مصعبة المباني مغمضة المعاني، وقد ألغز قائلها إعرابها ودفن في غامض الصفة صوابها، وهي في الظاهر فاسدة قبيحة وفي الباطن جيدة صحيحة"[٢].

وممّن صنف في هذا الفن الزمخشري، فقد ألّف كتاب "المحاجاة بالمسائل النحوية" وتناول فيه خمسين أحجية ومسألة لغوية ونحوية، وكان مسلكه في ذلك أن يبدأ كل مسألة منها بـ(أخبرني عن)، ثم يعطي الجواب على ذلك. يقول في مقدمته: "هذه مسائلٌ نحويّة مسوقةٌ في مسالكِ المحاجاةِ، منسوقةٌ في سلوك المعاياة، لا تستملي منها مسألةٌ إلا سقطتَ على أملوحةٍ

---

[١] طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ، ١/ ٢٥١.

[٢] ابن هشام: مقدمة ألغاز ابن هشام في النحو، ١٢.

من الأماليحِ العلميّةِ، وأفكوهةٍ من الأفاكيهِ الحكميّةِ، تُراضُ بشكائمِها ريِّضات الأذهان، حتى ترْجعَ بعد جمحات الإباءِ سلسات العنان، فتلقّها تلقّيَ الهائمِ المستَهْتَرِ،واعتنقْها اعتناقَ الغائبِ المنتظر" (١).

وصنّف السيوطي كتاب (الألغاز النحوية)، فجمع فيه كثيراً من الألغاز النحوية ولخّص عدداً من المؤلفات في هذا الفن. أضف إلى ذلك ما ألّفه كثير من العلماء في هذا المجال، وما تفرّق في كتب اللغة والأدب حوله(٢).

ربما ظهرت الألغاز اللغوية أسلوباً جديداً في تناول القضايا اللغوية المختلفة ومناقشتها بصورة شائقة، فإذا صح هذا، فكأنها تريد بذلك الأسلوب الابتعاد عن جفاف الدراسات اللغوية من جهة، ولترسيخ تلك القضايا في الأذهان من جهة أخرى؛ ذلك أن تناول الأبواب اللغوية من خلال الألغاز فيه طرافة وفائدة في آن معاً؛ ففيه تنشيط للفكر وانشراح للنفس، كما أنه يرسّخ كثيراً من القواعد اللغوية من خلال التفكير العميق فيما يتضمنه اللغز.

يتضمن اللغز إيجازاً وتكثيفاً؛ فهو في ظاهره قد يكون جملة قصيرة، غير أن التفكّر فيه يحتاج إلى تكثيف الجهد للوصول إلى حلّه، وقد يتبع حلّه مسائل متعددة، ذات فائدة كبرى.

تقوم الألغاز على عناصر مختلفة، فثمة عناصر لغوية وبلاغية وإملائية وغيرها(٣)، وغالباً تقوم على التلاعب بالألفاظ، والتلاعب بالرسم الإملائي، كل ذلك من خلال التعمية، والتفكير العميق للوصول إلى الحل، ثم الرد على ذلك اللغز.

---

(١) الزمخشري: المحاجاة بالمسائل النحوية، ٧٠.(ريِّضات الأذهان ، من قولهم: فرسٌ ريضٌ للذي هو في ابتداء الرياضة ولم يرتض بعد . وسلسات العنان: أي منقاده. أما المستهتر: فهو من استهتر الرجل بكذا، أي صار مولعاً به، ولا يفعل غيره.) "المحقّقة"

(٢) انظر المؤلفات المطبوعة والمخطوطات التي تتعلق بالأحاجي والألغاز وتحليل واف لها، أحمد محمد الشيخ: كتب الألغاز والأحاجي، الدار الجماهيرية ليبيا، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) انظر هذه المكونات في المرجع السابق: ٢١١- ٢٢٠.

أما صور الألغاز المتضمنة مسائل لغوية، فقد تكون في صورة سؤال مباشر، غير أن صياغة هذا السؤال بطريقة طريفة، ونظمه نظماً أدبياً لا يخلو من سجع، مع جَودة في سبكه وتركيبه، كل هذا يضفي عليه تفكهاً، فيكون سؤالاً طريفاً في حد ذاته، يقول الحريري(ت٥١٦هـ): "ما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله؟"، وتفسيره (يا) في النداء فإنه عامل النصب في المنادى، وهو حرف ،فآخره يتصل بأوله ومعكوسه هو (أي) حرف نداء أيضاً[١].

وكذلك معظم الألغاز التي تناولها الزمخشري في كتابه (المحاجاة بالمسائل النحوية) ومنها قوله: "أخبرني عن مذكر لا يُجمع إلا بالألف والتاء، وعن مؤنث لا يُجمع إلا بالواو والنون من غير العقلاء". والجواب: (سرادق) و (حمام) و (بوان) في الأسماء. وقد بيّن السبب في جواز جمعها بالألف والتاء؛ ذلك أنها "تعتبر إلى معنى التأنيث إذا جمعت، وإنما قصر جمعها على ذلك استغناء به عن التكسير كما استغنوا بأشياء عن أشياء، أما المؤنث الذي لا يجمع بالواو والنون، فهو (ستون) و (مئون) و (أرضون)[٢].

وقد يسأل عن أمور عامة، من خلال إيراد بعض المصطلحات اللغوية والنحوية وتناوُل بعض القضايا اللغوية، كقول السّبتيّ في (مزدلفة):

ما اسمٌ لأرض فريـــد	**وإن تشأ فهو جَمْـــعُ**
وفيه للفعـــل وَقْـــفٌ	**وفيه للحـــرف رَفْـــعُ**
وفيه للجمع صَـــرْفٌ	**وفيه للصَّرْف مَنْعُ**[٣]

(١) انظر السيوطي: الألغاز النحوية، ٩-١٠.

(٢) انظر الزمخشري: المحاجاة بالمسائل النحوية ،١٧٦-١٧٧. وانظر أمثلة على تلـك الأسـئلة الطريفـة، السيوطي:بغية الوعاة ١/ ٤٧٠ .واليازجي: مجمع البحرين، ٤٢-٤٣، ٥٣- ٥٤، ١٧٤، ١٩٧.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ١/٢٠٠.

ومن ذلك قول أبي عثمان الجُذاميّ الأندلسيّ ملغزاً في (لَدُنْ غَدْوة) واختصاصها بنصبها:

ما لفظةٌ ليســـتْ بفعْلٍ ولا حَرْفٍ ولا هيَ مُشْتَقٌ وليستْ بمَصْدَرِ

وتَنْصِبُ اسماً واحداً ليس غيــره لها حالةٌ مَعْــه تَبــينُ لمُخْبِــرِ

ومنصوبها صَدْرٌ لما هُوَ ضِدٌ ما أتانا لِباساً في الكتاب المطهّرِ[(١)]

فهذه الصورة من الألغاز قامت على التساؤل عن أمور مختلفة، من خلال طرح بعض القضايا اللغوية، ويدل ذلك على استحضار الذهن لتلك المصطلحات والقضايا اللغوية في مختلف المواضيع. ولعل التساؤل عن تلك الأمور العامة، كان لغاية أهم وهي الوصول إلى القضايا اللغوية ومناقشتها.

وقد يكون في صياغة السؤال وفي سرعة الرد عليه جانب من الطرافة، ودافع للتفكّه، لا سيما إذا كان في ذلك الردّ مفارقة واضحة، كقول الشيخ زين الدين بن الوردي[(٢)]:

وَشَـــادِنٍ يَـــسألُني ما المبتدا والخبَــرُ ؟

مثّلْهُما لي مُـسرِعاً فقلت: أنت القَمَــرُ[(٣)]

ولعل الصورة الأبرز في الألغاز اللغوية، هي القائمة على التحوير في السؤال، والتلاعب في ألفاظه وتراكيبه، كقول بعضهم:

أكَلْـــتُ دَجَاجَتَـــانِ وَبَطّتَـــانِ كَمَـــا ركِـــبَ المُهلّـــبُ بَغْلَتَـــانِ

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ٥٧٧/١.

(٢) هو عمر بن المظفر، القاضي الإمام الفقيه الأديب الشاعر، تفنّن في العلـوم، وأجـاد فـي المنظـوم والمنثور، من مصنفاته: "البهجة الوردية في نظم الحاوي"، و"شرح ألفية ابن مالك"، و"قصيدة اللباب في علم الإعراب"، (ت٧٤٩هـ). انظر فوات الوفات، ٢٢٩/٢-٢٣٢.

(٣) الحموي: ثمرات الأوراق، ٤٥. وانظر بعض الأمثلة على هذه الصورة، غير أنهـا تتـضمن جوانـب فاحشة، العاملي: المخلاة ٤٥٥- ٤٥٦. والحموي: ثمرات الأوراق، ٤٥.

فينبغي -في الظاهر- نصب (دجاجتان) و (بطتان) و (بغلتان)، لأنها تبدو مفعولاً به، غير أنها -في الباطن- كلمات مفردة مضافة إلى (تان): التاجر، من (التناءة) وهي التجارة[1].

ومن ذلك قول الشاعر:

جَـاءكَ سَـلْمَانَ أبُـو هَاشِـماً فَقَـدْ عَـدَا سِـيدَها الحـارِثُ

فـ (جاء) فعل ماضٍ، و(الكاف) حرف جر، و(سلمان) اسم مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف، للعلمية وزيادة ألف ونون، وقد كُتبت الكاف متصلة بـ(جاء) ليتمّ الإلغاز، و(أبوها) فاعل الفعل (جاء)، و(شما) فعل أمر بمعنى انظر، ألحقت به نون التوكيد الخفيفة، وقلبت ألفاً للإلغاز،وترسم"شمن"، و(سيدها) مفعول به مؤخر للفعل (شمن)،و(الحارث) فاعل مؤخر. فيكون المعنى: جاء أبوها وكأنه سلمان، فانظر سيدها لأن الحارث قد جاوز حده وعدا حقوقه[2].

ومنه قول الفرزدق:

يُفَلِّقْن هامن لـم تَنَلْـه سُـيوفنا بأسيافنا هـامَ الملـوكِ القَمـاقِمِ

فالهاء: حرف تنبيه و(من) استفهام. أي: من لم تنله سيوفنا؟ فيكون التقدير: يفلّقن بأسيافنا هام الملوك القماقم[3].

اشتملت الألغاز اللغوية إذن، على قواعد مختصرة وموجزة، وقد صيغت صياغة أدبية، كما اشتملت على بعض الخلافات النحوية، وعلى مناظرات لغوية، وبعض القواعد

---

(١) انظر ابن هشام: ألغاز ابن هشام في النحو، ١٩.

(٢) انظر ألغاز ابن هشام، ١٩. وانظر باقي الألغاز النثرية للسيوطي ص ٥٣- ٥٥، وألغازاً متفرقة لبعض العلماء ٥٥ وما بعدها.

(٣) السيوطي: المزهر، ١/٥٨٦- ٥٨٧. وانظر من محاسن الألغاز قصيدة بنيت على السؤال على ألفاظ من اللغة على جهة الامتحان لمعرفته ١/٥٩١ -٥٩٢.

المنتظمة في الشعر، وكذلك في النثر. فوُجد في اللغز والأحجية أسلوباً مناسباً، وفناً طريفاً، قبِلَه الذوق العربي، وأقبلت عليه مختلف الطبقات.

وبشكل عام، فقد ظهرت مجموعة من الألغاز كمناظرات، وإبراز للقدرات الذهنية واللغوية، من خلال التفكّر في كوامن اللغز وبنيته العميقة، سواء في تركيب ذلك اللغز وبنائه، أم في الرد عليه وتحليله، وإيجاد الحل له، وفي كل هذا تبرز الفوارق بين مختلف الأذهان، وبذا يكون اللغز هو المميّز بين تلك القدرات. وربما عكست تلك الألغاز جانباً في لغة العرب القائمة على التورية والإلغاز في كثير من أغراضها.

التصحيف:

كانت الحركة العلمية قائمة في الغالب على التلقين، لذا فمن البديهي أن تقع أخطاء من المتكلم وأخرى من المستمع، وربما نسيان بعض الأفكار أو المضمون التي تحويها.

ثم ظهرت في مراحل لاحقة الكتابة، ومهما يكن من أمر ظهور الكتابة العربية زمانياً، إلا أن ما يعنينا في هذا المقام، أنه استدعت الظروف في العصر الأموي إلى ضبط الحروف العربية، فأحدث التنقيط وبرزت ظاهرة سُميّت بالتصحيف.

انتشر هذا التصحيف في العراق، واتّسع في العصر العباسي الثاني تحديداً، وقد عُرّف بـ"أن يُقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه، وعلى غير ما اصطُلح في تسميته.... وأصله في ما زعموا، أنّ قوماً كانوا أخذوا العلم عن الصُحُف، من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير، فيقال عندها: قد صحّفوا فيه ،أي رَوَوْه عن الصُحُف"[1].

---

(1) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ٧١.

ارتبطت ظاهرة التصحيف كثيراً في القرآن الكريم، فقيل:"لا تأخذوا القرآن من مُصْحَفِيّ ولا العِلمَ من صَحَفِيّ"[1]، وقرئت كثير من الآيات القرآنية بخلاف الأصل وكثيراً ما تغيّر معناها تبعاً لهذا التصحيف[2]، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر التي "تركت آثاراً أو ندوباً فيما يروي لنا من ألفاظ اللغة، بل قيل إنها شوّهت بعض القراءات القرآنية، حين اعتمد على المصاحف وحدها"[3].

ولخطورة هذه الظاهرة فقد كان بعض العلماء شديدي الحذر منها، لعل أشهرهم خلف الأحمر(ت١٨٠هـ)، الذي رثاه أبو نواس(ت١٩٨هـ) بقوله:

لا يَهِمُ الحاء في القـراءة بالـــ ـــخَاءِ، ولا لامها مـع الألـف[4]

فهذا يدل على أن الاحتراس من التصحيف، ميّزة للعلماء، ومن المناقب التي يمتدح بها. كما كان مأخذاً على كثير من العلماء، ومن المثالب التي يُهجى بسببها، وممّن هُجي به أبو خالد النميري وشبيب بن شبّة[5] وغيرهما.

ولعلّ من الأسباب التي كانت وراء ظهور (التصحيف)، عدم معرفة الكاتب بالرموز الكتابية معرفة تامة، أو السهو والالتباس فيها، أو حتى عدم وضوح تلك الرموز أثناء الكتابة،

---

(١) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف، ١٠/١.

(٢) انظر أمثلة لتلك التصحيفات في بعض الآيات القرآنية، العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف، ١٢/١. والراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ١٣٩/١، والصفدي: تصحيح التحريف، ٩-١٤.

(٣) أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، ٨٤.

(٤) أبو نواس: الديوان، ٥٧٦. (والمقصود بـ "لا يَهِمُ": لا يخلط)

(٥) أبو خالد النميري هو صاحب الغريب، أما شبيب بن شبة فهو الإخباري الأديب الشاعر، صاحب خالد بن صفوان، وقد كان له أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء، توفي بعد المائتين هجرية. انظر البيان والتبيين، ٤٧/١. أما خالد بن صفوان بن الأهتم البصري، فهو أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راوية للأخبار، (ت١٣٥هـ). انظر معجم الأدباء، ١٢٣١/٣-١٢٣٦.

وربما عدم صلاحية الوسائل الكتابية، كالكتابة بالحبر السائل فقد توضع نقطة على حرف غير منقوط، أو تحذف نقطة لحرف منقوط، فيتغير المعنى تبعاً لكل ذلك.

وقد أرجع بعض العلماء وقوع التصحيف، إلى عدم الدقّة في وضع الرموز للكتابة العربية[1]؛ ذلك أن عدداً من الحروف وُضعت على صور متقاربة، فكانت لأغلب الحروف العربية متشابهات في الكتابة، كالباء والتاء والثاء والنون، والجيم والحاء والخاء، والراء والزاي، والفاء والقاف...الخ. وكما يقول أرسطو، فإن "كل كتابةٍ تتشابه صُوَر حروفها، فهي على شرف تولُّد السهو والغلط والخطأ فيها، لأنّ ما في الخط دليل على ما في القول، وما في القول دليل على ما في الفكر، وما في الفكر دليل على ذوات الأشياء"[2].

هذه أهم الأسباب التي كانت وراء ظهور التصحيف، ومن أبرز الأسباب تماثل الحروف وتشابهها. أضف إلى ذلك التبدلات الصوتية التي تحدث في اللغة العربية، مع إمكانية اختلاف المعنى تبعاً لذلك.

كثر التصحيف وشاع، وكان يترك تفكّها في كثير من الأحيان، ومما يُروى في ذلك، أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى ابن حزم أمير المدينة: "أن أحْصِ مَنْ قِبَلك من المخنّثين"، فصحّف كاتبه، فقرأ "أخْصِ" من قِبَلك من المخنّثين، فدعا بهم فخصاهم"[3].

---

(1) انظر الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ٧٣- ٧٤.

(2) المرجع نفسه : ٧٢- ٧٣.

(3) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف، ١/ ٥٤-٥٥. وانظر العسكري:أخبار المصحّفين، ٥٣ والأصفهاني:الأغاني، ٤/٢٧٣- ٢٧٤. والصفدي :تصحيح التصحيف، ١٧.

واستُغلّت ظاهرة التصحيف -فيما بعد- للتلاعب بالألفاظ والتوريات، لبعض الأغراض، كالمدح والهجاء الوصف وغيرها. يقول المتنبي مادحاً كافور الإخشيدي[1]:

جَرَى الخُلْفُ إلاَّ فيك أنَّـك وَاحـدٌ   وَأنَّـكَ لَيْـثٌ والمُلُـوكُ ذئـابُ

وأنَّكَ إن قُويِسْتَ صَحَّفَ قارئٌ   ذِئاباً، ولَمْ يُخْطِئْ فَقَـالَ ذُبـابُ[2]

كما اتخذت هذه الظاهرة لغرض الهجاء، ومما يُروى في ذلك، أن أبان اللاحقي[3] هجا المعذّل بن غيلان[4] في بعض الأبيات، فوجد المعذّل في التصحيف خير جواب له، إذ ردّ عليه قائلاً:

صحّفتْ أمُّكَ إذْ سَمَّـ   ـتْكَ بالمَهْـدِ أبَانـا

قَدْ علِمْنا مـا أرادتْ   لَـمْ تُـرِدْ إلا أتانـا

صَيَّرتْ باءً مكان الـ   ـتاء واللهِ عِيانـا[5]

أما في الوصف، فقد قال محمد بن فرج في وصف نعل الرسول ﷺ :

كنتُ الذَّليلَ فمُذْ تملّـك مجـدُه   نفسي بما قد كان مِـنْ إفْـضالِهِ

---

(١) هو أبو المسك كافور بن عبدالله، كان أسود اللون، أخذ حكم مصر بعد أبي الحسن علي المتوفى(٣٥٥هـ)، واستمرت ولايته سنتين وثلاثة أشهر تقريباً، وتوفي بمصر (٣٥٧هـ). مدحه المتنبي بقصائد كثيرة، قبل أن يفارقه إلى عضد الدولة بن بويه بشيراز. انظر ترجمته: وفيات الأعيان، ٩٩/٣-١٠٥. والوافي بالوفيات، ٣٠٥/٢٤-٣١٠.

(٢) المتنبي: الديوان، ١٩٩/١.

(٣) هو أبان بن عبدالحميد، شاعر أديب ظريف منطقي، مطبوع في الشعر مقتدر عليه، صاحب البرامكة وشاعرهم المتوفى(٢٠٠هـ) وهو الذي نقل كتاب كليلة ودمنة شعراً، وحمله إلى يحيى البرمكي. وكانت بينه وبين أبي نواس عداوة بسبب هذا الكتاب. وكان صديقا للمعذل بن غيلان ومع ذلك كانت بينهما أهاجي ومناقضات (وابن غيلان هو الأديب الشاعر وله ابنان شاعران هما عبدالصمد وأحمد). انظر ترجمته: خزانة الأدب، ١٧٣/٨-١٧٤. طبقات الشعراء، ٢٤٠-٢٤١.والوافي بالوفيات، ٣٠٢/٥-٣٠٣.

(٤) هو المعذل بن غيلان بن الحكم بن أعين العبدي، من عبد القيس من عمرو، من أهل الكوفة، كان أديباً شاعراً، وكان له من الولد أحد عشر ابنا وكلهم أديب شاعر. انظر معجم الشعراء، ٣٠٤-٣٠٥.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٢٧.

ما زال يسعى في عَزازة عَبْــده حتى محا بالــعِزِّ نُقْطَةَ ذالِـــهِ
فأنا الذّليلَ لأَعْبُــدِ ذَلُّــوا علـــى أنْ يُصْبحوا مِثْلي عَبيدَ جَلالِـــهِ[1].

واتُّخذ التصحيف كذلك للتندر والمسامرة، فكان أسلوباً يُخرج القوم من الجد، إلى جو من المرح واللهو. ومما يروى في ذلك، "أن أبا حاتم حكى عن نفسه أنه كان يقرأ شعر المتلمّس على الأصمعي، وأراد أن يقول:

أغنيتُ شاني فأغنوا اليوم شَــانَكُمُ واستَحمِقوا من مراس الحرب أوكيسوا

فقال: (أغنيت شاتي). فقال الأصمعي بالعجلة: "فأغنوا اليوم تيسكم" إذاً، وأشار إلى أبي حاتم، فأضحك منه الحاضرين"[2].

ويروي إبراهيم الدباغ أن من أساتذته (الإمبابي) و(القصّاب)، ويذكر أنهما لم يضحكا طيلة لزومه لهما (خمسة أعوام). باستثناء مرة ضحك الإمبابي، في درس النبراوي على الأربعين النووية في شرح هذين البيتين (في البخل):

كتبنا له حيفــاً علـــى بـــاب داره فصحّفه ضيفاً وقام إلـــى الـــسيف
وقلنـــا لـــه خيـــراً فظـــن بأننـــا نقول له خبزاً فمات من الخوف[3].

---

(١) التلمساني: أزهار الرياض، ٣/٢٤٣.

(٢) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ٤١-٤٢. وانظر أبي طاهر المقرئ: أخبار النحويين، ٧٦.

(٣) الدباغ، إبراهيم: حديث الصومعة، مكتبة الطاهر، يافا، ٤٢. وانظر هذه الأبيات، العسكري: شرح مـا يقع فيه التصحيف، ١/٢٦. والعاملي: الكشكول ، ١/٣٨٤.

إن المقوّم الأساسي للتفكّه في ظاهرة التصحيف، هو تغيّر المعنى، لذا سمّي التصحيف أحياناً بـــ(التغيير والتبديل)، وقد لا يُعاب قائل التصحيف، أو ربما يقل لائموه عليه، إذا لم يتغيّر معنى الكلام، وذلك مثل قول الشاعر:

ما زال وَقْـــعُ ســـيوفنا ورماحنـــا فـــي كـــل يـــوم تخايُـــلٍ ورِجـــامِ

فلو رواه راوٍ (وزِحامِ) لما لحق عليه بأس [١].

قد يكون التصحيف صورة من صور الإلغاز، بل هو مقوّم أساسي للغز في كثير من الأحيان، فاللغز يقوم في جانب منه على التصحيف. يقول ابن الأثير في التصحيف، إنه "إنما وُضِع واستعمل لأنه مما يشحذ القريحة ويُحدّ الخاطر، لأنه يشتمل على معان دقيقة، يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريج الكلام"[٢].

إذن، مع ظهور التدوين وبروز التصحيف، ظهرت بوادر جديدة للفكاهة اللغوية فكانت في كثير من الأحيان باعثاً على الفكاهة، وكانت التصحيفات اللغوية مقصودة أحياناً، لغرض التندّر والمسامرة، وربما التهكم والسخرية[٣]؛ لذا عُدّ التصحيف من صور الفكاهة اللغوية. أضف إلى ذلك أن تبدّل الأصوات اللغوية وتحويرها، يؤدي إلى تغيّر المعنى في أغلب الأحيان، مما ينتج عنه تفكّه وتندّر.

---

(١) انظر الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ٨٨.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر، ٨٦/٣.

(٣) انظربعض الأمثلة، العسكري: شرح ما يقع منه التصحيف، ٢٧/١، ٦١- ٦٢. والصفدي: تصحيح التصحيف،١٧، ٥٨، ٥٩ .

الكاريكاتير

يندرج تحت صور الفكاهة اللغوية فن الكاريكاتير، أو ما يسمى بـ(الرسم الساخر)، وهو فن يقوم على تجسيد الكلمات والأفكار في رسوم وصور، بطريقة تهكميّة ساخرة. وقد تبلور هذا القرن في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وازدهر في أوروبا، وإن كان له جذور قديمة، لا سيما عند المصريين القدماء[١].

يصوّر الكاريكاتير مختلف القضايا والمشكلات التي تظهر في المجتمع، سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم لغوية...الخ، لذا فهو يصلح لأن يكون وثيقة لمختلف العصور، وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز تاج[٢]؛ فتناول من خلال رسوماته مشكلات كثيرة، كتغير القيم الاجتماعية، والإسكان والفقر وارتفاع الأسعار، والاستغلال والجشع والرشوة، وغيرها من المشكلات.

كما حاول الفنان (رمسيس) تصوير عدد من القضايا، من خلال رسوماته الساخرة، مثل قضية الانتخابات والتعليم والإسكان والغش، وكذلك عدداً من المشكلات الاقتصادية والصحيّة[٣].

تكمن أهمية هذه الصورة بالمعنى الذي تحمله وتريد أن تعكسه، وهو النقد؛ وكذلك بالهدف الذي تسعى إليه، وهو التقويم، وذلك بتسليط الضوء على ظاهرة أو قضية معينة أو مشكلة ما، فتقوم بتضخيمها بطريقة تهكميّة، نستطيع استخلاص العبرة من هذا التضخيم.

ويقوم فن الكاريكاتير بتجسيد المعاني المختلفة على هيئة رسوم، بطريقة تهكمية ساخرة، فتحمل أفكاراً لا تقل عما تحمّله اللغة والكلمات من معان ودلالات، حتى عُدّ هذا الفن

---

(١) انظر حمادة، ممدوح : فن الكاريكاتير من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة ، ص ٩-١١.

(٢) انظر تاج، عبدالعزيز: هكذا يتحدث الكاريكاتير، ٩.

(٣) انظر رمسيس: يا تلفزيون يا...

"أحد أشكال اللغة التشكيلية،وبالتالي فهو وسيلة للاتصال بين الفنان والجمهور أولاً، وبين الصحيفة والقراء ثانياً، وبين المجموعات البشرية ثالثاً"[١].

إن سبب إدراج الكاريكاتير تحت صور الفكاهة اللغوية يعود إلى أن هذا الفن، أولاً قد يحلّ مكان اللغة المنطوقة، فالصور قد تنوب عن الكلمات في إيصال الفكرة؛ وثانياً قد تكون أبلغ من الكلام؛ ذلك أنها مشرعة لكل الناس، ومهيأة لمختلف الطبقات والفئات، ولا تنحصر في لغة دون أخرى.

وقد اعتمدت بعض الرسومات الكاريكاتيرية على المصطلحات اللغوية لتصوير قضية معينة، ففي رسم للفنان عبدالعزيز تاج، تناول فيه (قانون العقوبات الجديد: غرامة ٣٠٠ جنية للأفعال العلنية الفاضحة)، ظهر فيه مدرس اللغة العربية، يشرح أنواع الأفعال، وطالب يريد من هذا المدرس أن يشرح تلك الأفعال العلنية الفاضحة[٢]، فربط الفنان بين (الأفعال) الاجتماعية، و(الأفعال) كمصطلح نحوي، بصورة طريفة.

وشبيه بهذا المشهد، رسم للفنان المصري (رمسيس) يظهر فيه مفتش اللغة العربية، حيث يُطلِع أحد مدرسي اللغة العربية على تعديل جاء من الوزارة (للنحو)، مفاده إضافة شيك إلى أدوات النصب[٣]، فقد استغلّ مصطلحات النحو، فاستخدم (النصب) استخداماً اقتصادياً بمعنى (الاحتيال)، ووضع كلمة (نحو) بين قوسين ليدل على ذلك.

ومن الطبيعي أن يكون "للطرفة المضحكة والنكتة الظريفة مواطن حبكة، فإذا وقف المتلقي على مواطن الحبكة، استطاع أن يتفاعل معها ويضحك"[٤]. ويبدو في بعض الرسومات

---

(١) حمادة، ممدوح : فن الكاريكاتير، ٨٢.

(٢) انظر تاج، عبدالعزيز : هكذا يتحدث الكاريكاتير.

(٣) انظر رمسيس: ياتلفزيون يا...

(٤) استيتيه، سمير: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ٤٩.

الكاريكاتيرية تركيز على النقطة المراد التعبير عنها وإبرازها، فيجسّدها بوضعها بين قوسين مثلاً، أو رسمها بصورة بارزة، ليدل على موطن الحبكة فيها.

تُقبل النفس على الصورة أكثر من إقبالها على الكلمة، ربما لأن الصورة أقرب إلى القلب وأسهل تصوراً وفهماً، وأكثر تعبيراً من الكلمة، كما أنها أسهل تناولاً منها، أضف إلى ذلك فإن "للصورة تكثيف وتلميح أكثر من الكلمات"[1].

إن استخدام الكلمات في الرسم الساخر له أهميته، فهي تُستخدم غالباً محافظة على تطورها اللغوي، وكذلك فهي "أسلوب إبداعي، تتحول فيه الكلمة المكتوبة لتكون جزءاً من الصورة"[2].

فالكلمة المستخدمة في الرسم الساخر لها وظيفة هامة معبرة، غير منفصلة عن الرسم، أي أن الكلمة والصورة تعمل معاً "ويعطي كل منها جواً تلميحياً للآخر، وإن قوة الكلمة لتأتي مما تتضمنه استعمالها من صور، أما الصورة فتدل على محيطها الكلامي بنفسها"[3].

وجدير بالذكر، أن بعض الرسومات الكاريكاتيرية استُغلّت لإبراز ظاهرة التطور اللغوي، وعدم امتلاك السليقة اللغوية؛ ففي كاريكاتير للفنان عبدالعزيز تاج، جسّد مذيعة تلفزيونية تخبر أن (غرامة كسر إشارة المرور ١٠٠ جنية)، وشاهد يعلّق على هذا الخبر، ويطالب بأن يقع على هذه المذيعة غرامة كذلك، "لأنها نازلة تكسير في قواعد اللغة العربية"[4] فاستخدم مصطلح (كسر) بمعنى: قطع وتجاوز، وقابله بكلمة (تكسير)، المراد منه هنا، عدم امتلاك السليقة اللغوية، أو عدم المعرفة بقواعد العربية، فيعد مثل هذا نقداً لغوياً.

---

(١) لويس: اللغة في المجتمع، ٢٣١.

(٢) استيتيه: اللغة وسيكولوجية الخطاب، ١٣٥.

(٣) لويس: اللغة في المجتمع، ٢٣٠.

(٤) تاج: هكذا يتحدث الكاريكاتير.

إن للكاريكاتير أهمية كبيرة في المجتمع، وتأثير قوي على الفرد والجماعة، وللدلالة على ذلك فقد سُئل مرة (هاري نورمان)، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق، عن أكثر شيء يخافه في حياته، فقال: "إنني لا أخاف في حياتي إلا من الموت ورسامي الكاريكاتير"[1].

إذن، الكاريكاتير فكاهة بصريّة، يقوم برسم الشخصيات وتجسيد الكلمات، كما يقوم بالتعبير عن المشكلات المختلفة، ونقدها نقداً ساخراً، وربما تنضم الكلمات إلى تلك الصور لتعطي بعداً إضافياً، وجانباً ممتعاً طريفاً.

ظواهر فكهة في الفكر اللغوي العربي:

نشأت قضايا عامة عند العرب، حتى غدت أقرب إلى الظواهر، فأثرت في الفكر اللغوي العربي، بما ترمز إليه، أو بما تؤديه من معان ودلالات. ومن تلك الظواهر مثلاً ظاهرة اللحن، التي تدل على الانحراف اللغوي؛ وظاهرة الأعرابي، وكان يُراد منه سلامة اللغة، إضافة إلى أن ذلك الأعرابي كان مساعداً للبحث اللغوي؛ وكذلك ظاهرة التحذلق والتقعّر في الكلام، لتدل على التطور اللغوي، لأن الأشخاص الذين عُرفوا بذلك، دارت بينهم وبين غيرهم صراعات لا تخلو من طرافة؛ وكذلك ظاهرة زيد وعمرو التي ترمز إلى المثال في اللغة.

إن هذه الظواهر وغيرها ظواهر هامة، وهي طريفة في جانب منها، لما تتضمنه من نواح ذات فائدة، وبما تقدّمه من معان فكهة. وفي ما يأتي تناولٌ لظاهرتين من هذه الظواهر، لعلّهما الأبرز، وهي (ظاهرة الأعرابي) و (ظاهرة زيد وعمرو). ويمكن اتّخاذ مثل هذه الظواهر صوراً موضوعية للفكاهة اللغوية عند العرب.

---

(1) عادل ثابت: فن الفكاهة والسخرية، مجلة الهلال، ع ٨ سنة ٨٢، ١٩٧٤، ص ٨٣.

الأعرابي:

إذا أرادت الفكاهة أن تصل إلى غايتها بدقّة، ينبغي عليها أن تتخذ شخصية (نموذجاً) لتحقيق ذلك، يقول الجاحظ: "لو أن رجلاً ألزق نادرة بأبي الحارث جمّين والهيثم بن مظهر وبمزبد وابن أحمر ثم كانت باردة لجرت على أحسن ما يكون، ولو ولد نادرة حارة في نفسها سليمة في معناها، ثم أضافها إلى صالح بن حُنين وإلى ابن النوّاء وإلى بعض البغضاء لعادت باردة ولصارت فاترة"[١].

واللغة العربية، في مراحل لاحقة، من ظهور اللحن، قد اتّخذت للصواب معياراً، وهو شخصية (الأعرابي)، فكان الأعرابي نموذجاً للصواب، وأصبحت شخصيته ملازمة لمختلف الظواهر اللغوية ودليلاً عليها، بل غدا الأعرابي هو الحكم الفصل في كثير من الخلافات، فإذا أراد لغوي إثبات حكم ما، أحاله إلى هذا الأعرابي، ليكون حكمه صحيحاً، ورأيه مقبولاً.

يعدّ الأعرابي مصدراً خصباً للنوادر والفكاهات، إضافة إلى أنه عُدَّ مصدراً هامّاً من مصادر العربية[٢]، ويبدو أن مجرّد كلامه كان باعثاً على الفكاهة والطرفة، يقول الجاحظ: "أنا استظرف أمرين استظرافاً شديداً: أحدهما استماع حديث الأعراب، والأمر الأخر احتجاج متنازعين في الكلام وهما لا يحسنان منه شيئاً، فإنهما يثيران من غريب ما يُضحِك كل ثكلان وإن تشدّد، وكل غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب"[٣].

---

(١) الجاحظ: البخلاء، ٧.

(٢) انظر الشلقاني:الأعراب الرواة، ٨.

(٣) الجاحظ: الحيوان، ٣/٦.

كان كلام الأعراب جافاً، فحاول بعض الأشخاص تقليدهم، ولكنهم اصطدموا بالواقع اللغوي. وبعبارة أخرى، "كانت هذه الأعرابية الكاذبة تمثيلاً مضحكاً عند العامة، وثقيلاً مبغضاً عند العلماء"[1].

نُظر إلى الأعرابي بأنه قاضٍ لغوي، شُغِف كثيرون بشخصيته، بل غدا نموذجاً صالحاً للنطق الصحيح، وبقي الاعتراف به إلى مرحلة متأخرة، يقول الجاحظ: "ليس الأعرابي بقدو إلا في الجر والنصب والرفع، وفي الأسماء، وأما في غير ذلك فقد يخطئ وقد يصيب"[2].

غير أن الأعرابي قد اتُخذ موضع نقد، لدى كثير من الدارسين؛ فقد أفرد الجابري مثلاً، في مشروعه لنقد العقل العربي، وفي دراسته لمكونات العقل العربي فصلاً أسماه (الأعرابي صانع العالم العربي)، فحاول أن ينظر في الكيفية التي يتحدّد بها العقل العربي، من خلال اللغة التي ينتسب إليها، وتنتسب إليه، إذ يقول: "لقد أدى التهافت على الأعراب والاعتماد عليهم في ضبط اللغة وتقعيدها، أن أصبح العلماء يعتبرونهم معصومين من الخطأ اللغوي، ليس بسبب إيمانهم بذلك، بل من أجل أن لا ينسحب الخطأ إلى القواعد التي شيّدوها انطلاقاً من نطقهم وكلامهم"[3]، ثم انتهى إلى أن ""جمع اللغة من الأعراب، دون غيرهم، معناه جعل عالم هذه اللغة محدوداً بحدود عالم أولئك الأعراب"[4].

ولعل التقعّر الذي عُرف عن الأعراب لم يكن دقيقاً، بل ربما كان ادّعاؤهم بعدم معرفة المصطلحات اللغوية غير صحيح كذلك، لاسيما إذا تصوّرنا اهتمام علماء اللغة بهم،

---

(1) الرافعي: تاريخ آداب العرب، ٢٤٢- ٢٤٣.

(2) الجاحظ: الحيوان، ٢/١٥٠- ١٥١.

(3) الجابري، محمد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت،ط٥، ١٩٩١، ص ٨٤.

(4) المرجع نفسه، ٨٦.

وإذا عرفنا أن أولئك العلماء كانوا يُنفقون أموالاً لأولئك الأعراب، فقد "أبَوْا إلا أن يكون لهم نصيبهم في تلك الحركة العلمية الجليلة، فتوالت موجاتهم إلى الأمصار فرادى وجماعات، يحملون معهم ثروة البادية اللغوية، ويتلقاهم العلماء للسماع منهم، ويتنافسون في الأخذ منهم، حتى أصبحت اللغة سلعة غالية يبيعها الأعراب ويشتريها الرواة"[1].

إن التفكّه المتأتّي من (شخصية الأعرابي) يكمن في تقعّره وإصراره على الغريب، ثم في عدم معرفته لمصطلحات اللغة، وكان هذا أبرز ما عُرف عن ذلك الأعرابي، فقد لاقت أجوبة بعض الأعراب، لدى طرح الأسئلة عليهم، مفارقة واضحة. وقد كان حرص بعض الأدباء والشعراء على لقاء أولئك الأعراب نابعاً من التسلية واللهو والمتعة، التي تتركها لقاءاتهم[2].

زيد وعمرو:

إن تناول ظاهرة (زيد وعمرو) في الفكر اللغوي العربي، إنما هو تناول للمثال في اللغة، وأهميته في تكوين سليقة وملكة، وقد اقتصر نحاتنا على أمثلة محدودة، محورها في الغالب (زيد) و (عمرو)، وموضوعها (الضرب)، فكان ذلك سبباً في التندر والتفكه في كثير من الأحيان.

قد يُقال إن هذا مثال يُقاس عليه، وهذا صحيح، ولكن الأصحّ لمن أراد أن يكوّن سليقة في اللغة، أن يطّلع على كثير من الأمثلة والنصوص، من القرآن والشعر والأمثال...، أما الاقتصار على مثال واحد وجامد كزيد وعمرو، فهو لا يكفي لتلك الغاية، بل وقواعد اللغة لا تكفي للفائدة في هذا المجال.

---

(1) عيد، محمد: الرواية والاستشهاد باللغة، عالم الكتب- القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٢. وانظر الجابري: تكوين العقل العربي، ٨٤.

(2) انظر عيد: الرواية والاستشهاد باللغة،٢٣. وانظر الشلقاني: الأعراب الرواة، ٢٧٠.

إن إيراد القاعدة جامدة، أو مع مثال جامد مثلها سيولّد الجمود، ومن ثم النفور. وربما كان هذا أحد الأسباب التي نعاني منها في درس اللغة عموماً، وفي النحو خصوصاً، فأينما وليت نظرك في كتب النحو، ومتى فتحتها ستجد لزيدٍ ولعمرو مكاناً، يتصارعون ويضرب كل منهما الآخر.

أشار ابن خلدون في (مقدمته) إشارة ذكية إلى أن حصول ملَكة الكلام إنما تتم بكثرة الأمثلة، لا بتعدد القوانين؛ ذلك أن "تلك الملَكة غير صناعة العربية، وإنها مستغنية عنها بالجملة"[١]؛ لأنه -كما يرى- إذا طُلب من نحوي أو شخص، يدرس النحو كصناعة أن يتكلّم، فقد يخطئ كثيراً في كلامه، ويلحن فيه. في مقابل ذلك، قد نجد شخصاً آخر لا يدرس النحو، ولا حتى يعرف قوانينه، لكنه ربما لا يخطئ في الكلام، إذا تمكّن من تلك الملكة، وعن طريق مداومته على قراءة الأمثلة من الشعر والنثر، ومثّلَ على ذلك بكتاب سيبوية، فرأى أن فيه جانباً حسناً وهو كثرة الشواهد في الأشعار والأمثال.

اقترنت الأمثلة اللغوية بشخصيات محدّدة، وحول موضوع شبه ثابت، وهو الضرب، فكان ذلك سبباً للسخرية من اللغويين، وربما كرههم، حتى قيل فيهم:

إنَّ ذَوِي النَحْـــو لَهُـــمْ أَنفُـــسٌ	معروفـــــة بـــــالمكرِ والكَيْـــــدِ
يَـــضرِبُ عبْـــدُ الله زيـــداً ومـــا	يريـــدُ عبـــدُ الله مـــن زيـــد[٢]

وقال البهاء زهير:

جَعَلْتُكُم حظّـــي مـــن النـــاسِ كلهـــم	وأعْرَضت عن زيدٍ وعمرو وخالـــدِ[٣]

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ١١٤٨/٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤٨٧/٢.

(٣) البهاء زهير: الديوان، ٨٤.

إن المبالغة في إيراد تلك الأمثلة، والإصرار عليها، فتح باباً للفكاهة، فقد سئل أعرابي: كيف تقول: ضرب عبد الله زيداً؟ فقال: كما قلت، قال: ولِمَ؟ قال: لشرّ أحسبه وقع بينهما"[١].

وشبيه بذلك ما قاله أبو بكر الخوارزمي:

لقد لقي الأحباب منه الذي — لم يلق زيد النحو من عمرو

ما كنت أحسب أن عمراً يُذنِب — فيُخَصّ زيدِ بالملامِ ويُضرَبُ[٢]

أصبحت شخصيتا (زيد) و(عمرو) وصراعهم، أشهر من القواعد التي حوتهما، حتى غدا يُضرب فيهما المثل فقد "وصف بعضهم مستنذلاً ممتهناً: هو زيد المضروب والعود المركوب"[٣]. كما اتُخذتا لأغراض المدح والهجاء، يقول ابن الدهّان في زيد الكندي[٤]:

النحو أنت أحقُّ العالمين به — أليس باسمك فيه يُضرَبُ المثَلُ[٥]

وقال علم الدين السخاوي(ت٦٤٣هـ) فيه:

لَمْ يكُنْ في عَصرِ عَمْرو مِثْلُه — وكذا الكِنْديّ في آخِرِ عَصْرِ

وهُما زَيْدٌ وعَمْروٌ إنَّما — بُنِيَ النَّحْوُ على زَيْدٍ وعَمْرِو [٦]

---

(١) الكاتب،ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ٩٢.

(٢) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ١٦٢.

(٣) الثعالبي: خاص الخاص، ٦٦ وانظر التمثيل والمحاضرة، ١١٩. و السيوطي:بغية الوعاة، ١/١٨٠.

(٤) ابن الدهان هو أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان، الحاسب الأديب، صنف"غريب الحديث"، وكان له يد طولى في النجوم، (ت٥٩٠هـ). أما زيد الكندي فهو أبو اليمن زيد بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي، الملقب بتاج الدين البغدادي، المقرئ النحوي الأديب، أخذ عن ابن الشجري وابن الخشاب والجواليقي، توفي بدمشق(٦١٣هـ). انظر وفيات الأعيان، ٢/٣٣٩-٣٤٢.

(٥) الفيروز أبادي: البلغة، ١٠٤. والسيوطي : بغية الوعاة، ١/٥٧١.

(٦) الفيروز أبادي: البلغة، ١٥٩، وانظر السيوطي: بغية الوعاة، ١/٥٧١.

بقيت تلك الأمثلة متداولة إلى عصور لاحقة، يقول الشدياق، ساخراً: "وهذه ألف ومائتا سنة قد مضت، وما زلنا نرى زيداً يلوك ما لفظه عمرو، وعمراً يلفظ ما قاله زيد، فقد سرى هذا الداء في جميع الكُتّاب"[1].

اتُخِذت ظاهرة (زيد وعمرو)، سبباً للتفكّه والتندّر، و كانت مُلْهماً لكثير من الأشعار الطريفة، ولكن يجب الاهتمام بالمثال في اللغة، وينبغي التنويع في الأمثلة على مختلف القواعد اللغوية، وأن تحوي أفكاراً في ثناياها، وينبغي أن يُراعى في هذا المجال، الفائدة والمتعة معاً، أي إيراد نصوص متنوعة، لنتمكّن من النطق السليم والكتابةالصحيحة من جهة، ولنحصل على المعلومة والفائدة من جهة أخرى.

لذا، فابن خلدون كان محقاً في ما ذهب إليه، وعندما طالب أن يكون تعليم اللغة العربية وتعلّمها، عن طريق قراءة أكبر عدد ممكن من شواهد العرب وأمثالهم وحفظها، ومختلف التراكيب الواردة وتفقّهها. أما أن يُكتفى بدراسة قوانين العربية المنطقية العقلية، ووضع أمثلة جافة لا تحوي أي فكرة، إذا استثنينا الضرب، فهذا يحول دون التمكن من الملكة اللغوية.

---

(1) الشدياق: الساق على الساق، ٢/٤٦.

أغراض الفكاهة اللغوية:

انتشرت الفكاهة اللغوية قديماً، وما زالت، فواكبت الفكاهة اللغة في مختلف العصور والمواقف. ومما لا شك فيه أن هذه الفكاهة لم تأت من فراغ، ولا كان وجودها مصادفة، أو تداولها لمجرد اللهو والتسلية فحسب، بل ظهرت لغايات متعدّدة، لعل أبرزها:

الغاية التعليمية:

تأتي الغاية التعليمية في مقدمة أغراض الفكاهة اللغوية، و أبرز مراميها، وربما ظهر مثل هذا الغرض بداية انتشار اللحن، فوُجِد في الفكاهة سبيلاً، ومحاولة إلى تعليم بعض القضايا اللغوية، وتقويم ما ينحرف منها.

ومما يدلّ على الغرض التعليمي للفكاهة، هو أن كثيراً من الفكاهات، لاسيما اللغوية منها نشأت في أجواء تعليمية، وبرزت في مجالس العلم، وفي حضرة العلماء والمتعلّمين،[1] فكان يُهدف منها توجيه قضية معينة أو تصويب رأي ما.

برزت الأخطاء والانحرافات اللغوية، بشكل جعل تقويمها أمراً عسيراً. وهذا في مجال النطق بالعربية الفصحى، فوُجِد في النحو وسيلة لعلاج هذا الأمر، غير أن ثمة وسيلة كانت شاهدة على ذلك وهي الفكاهة.

دارت عدد من الفكاهات حول بعض القضايا اللغوية، ومما يُروى في ذلك، أن رجلاً قال لآخر: "قد أحكمت النحو كله إلا ثلاث لفظات أُشْكِلت عليّ! قال: وما هي؟! قال: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان، ما الفرق بينها؟ قال له صاحبه: أما أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة

---

(1) زخرت مجالس العلم والأدب بنقاشات تدور حول بعض القضايا اللغوية، حيث كان الجو العام في مثل هذه المجالس إضفاء التفكه في الاحتجاج، وانتشار اللهو والمزاح. إضافة إلى الفائدة اللغوية والحوار الطريف، ومن الأمثلة على ذلك ما كان بين الكسائي وأبو يوسف القاضي في مجلس هارون الرشيد، وكذلك ما دار بين الفراء ومحمد بن الحسن الفقيه...الخ. انظر مثلاً الحموي: معجم الأدباء ١٣/١٧٥، ١٧٧، والأندلسي:حدائق الأزاهر، ٣٧٤.

والحكّام، وأبا فلان للتجار وأرباب الأموال والوسط من الناس، وأبي فلان للسفلة والأسقاط والأوباش من الناس"(١).

كانت الإجابة هنا بالمعنى، فالرفع للطبقات العليا ويمثلها الملوك والأمراء ومن شاكلهم، والنصب أي المرحلة الوسطى للتجار وأصحاب الأموال، أما الجرّ أو الخفض فهو للطبقة الدنيا من الناس.

وبرزت في كثير من المواقف طرافة في أثناء توجيه بعض القضايا، فيروى أن رجلاً اسمه (عمر) قال لعلي بن سليمان (الأخفش الصغير ت٣١٥هـ): "علّمني مسألة في النحو، قال: تعلّم أن اسمك لا ينصرف، فأتاه يوماً وهو على شغل فقال: "من بالباب؟ قال: عمر، قال: عمر اليوم ينصرف. قال: أوليس قد زعمت أنه لا ينصرف؟! قال: ذاك إذا كان معرفة، وهو الآن نكرة!" (٢).

وقد تُستغل بعض الأساليب الطريفة في تناول القضايا اللغوية، لأغراض تعليمية، من ذلك مثلاً، اقتباس المصطلحات اللغوية، وتناول القضايا اللغوية من خلال الألغاز؛ ففي كل منها معان طريفة، قد تساعد على فهم القضايا اللغوية واستيعابها وتقريبها إلى الأذهان، ذلك أنها تقترن بمجالات وبأغراض أخرى كالغزل والوصف والمواساة والمعاتبة وغيرها.

ينبغي الإفادة إذن، مما تقدّمه الفكاهة من وسيلة تعليمية، فيجب استثمارها كأسلوب طريف في تناول القضايا اللغوية المختلفة، تلك التي نأى عنها كثير من الدارسين، لما تمثله من صعوبة، ولما يعتورها من جمود.

---

(١) الأندلسي: حدائق الأزاهر، ٢٧٣.

(٢) الحصري: جمع الجواهر، ١٨١.

وقد نادى بعض الدارسين بذلك، فعدّ مثل هذه الفكاهات والنوادر في الدرس النحوي "مراعاة للأصول النفسية واتّكاء على أسس علمية، أبرزتها التكنولوجيا التربوية المتطورة، فتمثيل الحكم النحوي في قصة أو طرفة يؤثر في نفس طالب العربية، أيمّا تأثير، فالمعنى ينبل ويكمل بالتمثيل"[1].

قدم الباحث في هذا البحث، رؤية تبسيطية في النحو العربي، رؤية نابعة من مصادر التراث العربي، وما تحوية من فكاهات حول مسائل لغوية متعددة؛ وكذلك رؤية توضيحية تفسر تلك المسائل، من خلال إيراد أمثلة من تلك النوادر والفكاهات. وربما توازي هذه الرؤية أهمية ما طالب به دعاة التجديد في النحو لتيسير تناوله، بل لعلها تخفف المشكلة المتأتية من جفاف الدراسات اللغوية، وتقلل الشكوى من صعوبتها.

السخرية والتهكم:

إن التفكّه يقوم كثيراً على السخرية، فتكون الفكاهة لغاية ما، لاسيما محاولة التغيير، تغيير ما ينحرف، أو ما يكون في نظر الفرد أو المجتمع شاذاً أو عيباً. أي أن السخرية تمثل "أسلوب (تكنيك) عام للتفكه يفيد من كثير من الأساليب الأخرى، مثل المبالغة والإهانة والتهكم والاستهزاء"[2].

تركّز الفكاهة على نقطة العيب، عن طريق المبالغة فيها، فتبرزها بطريقة سلبية طريفة هادفة في آن؛ فهي سلبية لأنها تزدري بالأشخاص، وطريفة للمعاني التي تتضمنها وتقوم عليها، وهادفة لأن غايتها في نهاية المطاف النقد ومحاولة التغيير والبناء.

---

[1] كشّاش، محمد: النوادر النحوية في التراث العربي وأثرها في الدرس النحوي.
بحث في مجلة قطر، عدد (١٢٨) سنة(٢٨) ١٩٩٩م، ص ١١١.

[2] عبد الحميد، شاكر: الفكاهة والضحك، ٤٦.

ثمة أمور في اللغة تدعو إلى السخرية، وتكون باعثاً عليها، كالالتزام بالفصحى في مختلف المواقف. وقد روي كثير من الفكاهات والنوادر التي تمثّل هذا الجانب، لاسيما الفكاهات التي تروى عن أبي علقمة النحوي، ومواقفه مع فئات مختلفة من الطبقات الاجتماعية والمهنية، فمن ذلك ما يروى أنه دخل سوق الجرارين بالكوفة، فقال لجرار: "أجد عندك جرة لا فقداء ولادبّاء، ولا مطربلة الجوانب، ولتكن نجوية خضراء نضراء، قد خفّ محملها وأتعبت صانعها، قد مسّتها النار بألسنتها، إن نقرتها طنّت، وإن أصابتها الريح رنّت؟ فرفع الجرار رأسه إليه، ثم قال له: النطس بكور الجروان أحر وجكى، والدقس بانى والطبر لري شك لك بك، ثم صاح الجرار: يا غلام شرج، ثم درب وإلى الوالي فقرّب، يا أيها الناس من بُلي بمثل ما نحن فيه؟ وأنشد لثعلب(ت٢٩١هـ):

إن شِئتَ أن تُصبِحَ بينَ الورَى	ما بين شَتّام ومُغْتاب
فكُنْ عبوساً حين تلْقاهُمُ	وكلّم الناس بإعراب[1]

تؤكد السخرية الجانب الاجتماعي للغة؛ أي أنَّ استعمال اللغة، دون النظر إلى إطارها الاجتماعي، تولد السخرية والتهكم. يدل على ذلك أن أغلب الفكاهات اللغوية التي تظهر فيها السخرية، يواجه اللغويَ فيها شخص يمثل طبقة اجتماعية ما، أو فئة مهنية معينة. ومن تلك الفئات البحّارة، إذ روي أن "نحوياً سمع بحاراً يرطن بلغة مكسّرة، فسأله غاضباً، ألم تتعلم قواعد اللغة؟ فأجابه: كلا. فقال له: إذن فقد أضعت نصف حياتك. وبعد دقائق هبّت عاصفة وحطمت السفينة، وراح النحوي يطلب النجدة، فسأله البحار: ألم تتعلم السباحة؟ فأجابه: كلا. فقال له: إذن فستضيع كل حياتك"[2].

---

(١) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٧.

(٢) القشطيني: سجل الفكاهة العربية، ٣٧.

إن السخرية تهاجم العيب أينما وُجد، فقد ظهرت قديماً، في بداية ظهور اللحن وانتشاره، لأنه كان يعدّ من العيوب. ثم واجهت مصطلحات اللغويين وتقعّرهم وتحذلقهم في الكلام، وعدم إيمانهم بالتطور اللغوي، في مراحل لاحقه. يقول فندريس: "لا يمكن أن تصير للمخالفة قوة القانون إلا إذا كان أعضاء الجماعة كلهم على استعداد لارتكابها، أي أن يشعروا بها على أنها قاعدة وفي هذه الحالة لا تصبح مخالفة"[١].

الأخطاء التي تواجهها السخرية هي الأخطاء المقصودة، التي يقصد المتكلم أو المتفكّه منها إبراز عيب ما؛ وأيضاً الأخطاء التي قد يقع بها الفرد عن غير قصد، كأن يستخدم عبارة خاطئة، أو يخطئ في نطق كلمة معينة، فيكون في ذلك الخطأ معان طريفة، تكون داعية إلى السخرية؛ بل قد يمتد أثر السخرية إلى الأخطاء التي تنتج عن عيب أو خلل خُلُقي في أعضاء النطق، كاللثغة مثلاً.

إن النطق الشاذ، والالتزام بالفصحى في كل المواقف، والمبالغة في التفصّح، كل ذلك قد يكون باعثاً على السخرية. وكذلك، فإن الضعف الكبير في اللغة قد يكون باعثاً عليها أيضاً، وربما كان التفصّح أبلغ أثراً في هذا المجال.

وحسبنا أن نقف وقفة قصيرة عند بعض روايات نجيب محفوظ –كمثال على هذه النظرة– لنرى كيف استغل الفكاهة والسخرية، ليبين رؤيته من بعض القضايا اللغوية[٢]. فـ(محتشمي زايد) يتحدث عن جدّه الذي كان مدرساً للنحو، فيقول: "كان يخاطب جدّتي الأمية

---

(١) فندريس: اللغة، ٣٠٤.

(٢) للاستزادة، انظر في هذا الموضوع بيومي،مصطفى: الفكاهة عند نجيب محفوظ، الشركة المصرية العالمية–لونجمان، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٤١–١٤٥.

بالفصحى، وخلف ذرية من العقلاء المجانين، ما زالت حتى اليوم منجبة للعقل والجنون"[1]؛ أما الضعف اللغوي فيمثّله (إكرام نيروز)،[2] وكذلك (كامل رؤبة).[3]

وامتدت السخرية عند نجيب محفوظ إلى القضايا اللغوية، فمن ذلك حديثة عن بعض الأدوات، مثل (إذا) و (لو)، ففي رواية (القاهرة الجديدة) نجد أن "محجوب عبد الدايم"-أثناء زيارته وزوجته (إحسان) لمحمد يس بك وعائلته- يغيّر كثيراً من الحقائق، لاسيما في حقيقة زوجته وزواجهما، وعند عودته، عاتبته إحسان على ذلك، فقال ساخراً:

- كوني جسوراً، الكذب كلام كالصدق سواء بسواء، إلا أنه ذو فوائد.

- وإذا انكشفنا؟!

- فقال بضجر: وإذا .. وإذا.. دائماً وإذا. إذا هذه حرف خيبة، إذا دخل على جملة ذهب بفائدتها وثبط همّة الفاعل. لا تقولي: وإذا"[4]

فهنا تحليل ساخر لأداة (إذا)، وشبيه بهذا التحليل ما قاله "عيسى الدباغ"، فهو يسأل صديقه "سمير عبد الباقي" المتأثر بالمتصوفة: "ما رأي التصوّف في حرف (لو)"؟... فيجيب "لو، حرف لوعة يطمح بحماقة إلى توهّم القدرة على تغيير التاريخ"[5].

واكبت السخرية الحركة اللغوية عند العرب، فوُجدت في مختلف المراحل، منذ أن ظهرت بعض الأخطاء اللغوية، التي كان يقع بها غير العرب، إبّان دخولهم في الإسلام، واختلاطهم بالعرب على نحو واسع، وصوّرت بعض الجوانب من الدراسات اللغوية، ومصطلحات اللغويين، وعكست تشدّدهم وصراعهم مع غيرهم من طبقات المجتمع، واستمرت

---

(1) محفوظ، نجيب: يوم قتل الزعيم، ٥٤.

(2) انظر محفوظ: القاهرة الجديد، ٩٣.

(3) انظر محفوظ: السراب، ٨٨.

(4) محفوظ: القاهرة الجديدة، ١٥٥.

(5) محفوظ: السمان والخريف، ٨٢.

في تصوير الجوانب اللغوية المختلفة، كالنطق الشاذ. وغالباً ما يكون المعيار في الحكم على الخطأ اللغوي الإطار الاجتماعي.

الدعابة اللغوية

الاسترخاء والهروب من الجد والتوتر، وطلب المتعة والرفاهية، مضامين تركّز عليها الفكاهة، ومرامي تهدف للوصول إليها، وهي أغراض تطلبها النفس البشرية، هرباً من الملل والسير على نسق واحد في الحياة. لذا، لا بد من تلك الأمور، التي تهتم بها الفكاهة.

إن غاية الدعابة في الغالب، إضفاء جو من المرح والسرور، عن طريق استحضار الفكاهة والضحك. يقول زكريا إبراهيم: "إن اللذة الكبرى التي يجدها المرء في الفكاهة والضحك، إنما ترجع في الجانب الأكبر منها، إلى هذا الشعور بالتحرر من الواقع، والتحلل من الحياة الجدية، عن طريق الهزل والتفكه والمزاح"[١].

برزت الفكاهة اللغوية في كثير من المجالس، وقد أُريد منها أحياناً نشر الدعابة وترويح النفس، والخروج من الجد والرتابة. إذ يروى أن إسحاق بن حنين، الطبيب المشهور(ت٢٩٨هـ)، قال: " بينما نحن مع ابن غورك في مجلسه، إذ أقبل رجل زعم أنه أقبل من المشرق فقال له: حركات الإعراب، كم هي؟ فقال ابن غورك: ثلاث، الرفع والخفض والنصب. قال: بقي عليك، بل هي أربع. فقال له: ما الرابعة؟ قال: الخضخضة، فقال ابن غورك: ارفع زيداً. فقال: زيدٌ .قال: انصب زيداً. قال: زيداً. قال: اخفض زيداً. قال: زيدٍ. قال: خضخض زيداً. قال: "ززيد". فضحك، وضحكنا ثم ضحكنا كثيراً، فلم ينهنا عن ذلك".[٢]

---

(١) إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ١٢٦.

(٢) القفطي: إنباه الرواة، ١٢٩/٤. (ابن غورك: هو أبو سعيد بن حرب بن غورك النحوي الإفريقي القروي، عالم بالقرآن والنحو، كان كثير الوقار، قليل الكلام). انظر ترجمته: انباه الرواة، ١٢٦/٤.

كانت للغويين آراء طريفة، تدلّ على سرعة الرد، والبراعة في استثارة التفكه والظرف، فيروى أن أبا زيد سأل الخليل بن أحمد: "لِمَ قالوا في تصغير واصل أُوَيْصِل، ولَمْ يقولوا وُوَيْصل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كَلامُهم بنبح الكلاب".[1]

تأتي القضايا اللغوية، في كثير من الأحيان، عن طريق طرح بعض الأسئلة، حول تلك القضايا والمسائل، غير أن الأجوبة قد تصدر من إنسان مرح، يتّصف بالذكاء والبراعة في الردّ، فتكون إجابته فكهة طريفة. ومن ذلك، ما يُروى أن المنذر سأل محمد بن مبشّر الوزير: "كيف تأمر المرأة بالنون الثقيلة من (غزا يغزو)؟ فأدار ابن مبشر فيها فكره، فلم يتّجه له جوابها. فقال له: يا أبا الحكم، ما رأيت أشنع من مسألتك. الله يأمرها أن تقرّ في بيتها، وأنت تأمرها بالغزو!!"[2]

وشبيه بذلك ما رواه أبو محمد التميمي: "أن أبا الحسن السماك الواعظ دخل عليهم يوماً، وهم يتكلمون في "أبابيل" فقال: في أي شيء أنتم؟ فقالوا: نحن في ألف أبابيل، هل هو ألف وصل أو ألف قطع؟ قال: لا ألف وصل ولا ألف قطع، وإنما هو ألف سخط، ألا ترون أنه بلبل عليهم عيشهم ! فضحك القوم من ذلك".[3]

تتمثل الدعابة في مثل هذه الفكاهات، وتبدو بارزة في كثير من المواقف، فالدعابة "عبارة عن القدرة الخاصة على استثارة الضحك أو الابتسام لدى الآخرين، من خلال بعض الملاحظات أو التعليقات، التي تكشف رشاقة في التعبير، وبراعة وسرعة في الإدراك للمتناقضات، والجمع بينها في تعبيرات تثير الابتسام والضحك"[4].

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/١٦٠. وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/٤٨٤.

(2) القفطي: إنباه الرواة، ٣/٣٢٤.

(3) ابن الجوزي: أخبار الحمقى ، ١٣٣ .

(4) عبد الحميد، شاكر: الفكاهة والضحك، ٥٤.

إن الفكاهات التي دارت حول بعض المصطلحات اللغوية، ربما كان يهدف منها إضفاء جو من المرح والدعابة، وهي تصلح لأن تُتّخذ لغايات المرح والسرور والتفكّه. فإدخال القضايا والمصطلحات اللغوية، في بعض المواقف، قد يتسبب في التفكه والطرفة.(١)

التخلص من المآزق والمخاطر

استُغلّت اللغة والقضايا اللغوية في التخلص من كثير من المواقف، فكانت مَخلّصاً ومنجداً، وكانت التحويرات اللغوية كذلك، موئلاً وملجأ يرتاده الواقعون بمثل تلك المآزق.

انتشرت الفرق الإسلامية لاسيما في العصر الأموي، ومن تلك النزاعات، ما كان بين السنة والخوارج، وقد استغل بعضهم اللغة في التخلص من تبعات ذلك النزاع، ويروى في ذلك أن رجلاً من الخوارج كان يقول:

فمنّا يزيدُ والبطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان، فطلب قائله، فأُتي به. فلما وقف بين يديه فقال: أنت القائل" ومنا أميرُ المؤمنين شبيب"؟ قال: لَمْ أقل هكذا يا أمير المؤمنين. إنما قلت :ومنا أميرَ المؤمنين شبيب. فضحك عبد الملك، وأمر بتخلية سبيله، فتخلص بدهائه وفطنته لإزالة الإعراب من الرفع إلى النصب"(٢). فقد تغيرت الدلالة بتغير الإعراب ، فأصبح المعنى: ومنا يا أمير المؤمنين شبيب.

---

(١) انظر ص (٧٦-٧٧) من هذه الدراسة . وانظر بعض الفكاهات اللغوية الفاحشة التي غايتها الدعابة، الكاتب، ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ١٧٥. والحموي: ثمرات الأوراق، ٤٤.

(٢) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ١٢٦- ١٢٧. وابن قتيبة :عيون الأخبار، ٢٥/ ١٥٥.

وظهرت بعض المواقف لتصوير اللحن، وكانت سرعة البديهة لدى بعض الأشخاص، وحسن التصرف والتخلص، تثير التفكه والطرافة. إذ يُروى أن أبا اسحاق النّجيرمي[1] كان يوماً عند كافور الإخشيدي، فدخل عليه أبو الفضل بنْ عياش، فقال: "أدام الله أيام مولانا، بالخفض، فتبسّم كافور ونظر إلى أبي اسحاق، فقال ارتجالاً:

لا غَرْوَ أنْ لَحَـنَ الـداعي لـسيّدنا	**وغصّ من هَيْبَـةٍ بـالرّيق والبَهَـرِ**
فَمِثْـلُ سـيدنا حالـتْ مهابَتُـه	**بينَ البليغ وبـين القـول بالحَـصَرِ**
فإن يكن خَفضَ "الأيام" مـن دَهـشٍ	**من شدّة الخوف لا من قِلَّة البَـصَرِ**
فقـد تفاءلـتُ فـي هـذا لـسيدنا	**والفَأل نَـأثره عـن سـيّد البَـشَرِ**
فـإنّ أيامَـهُ خَفْـضٌ بِـلا نَـصَبِ	**وإنّ دَولَتَـهُ صَـفْوٌ بـلا كَـدَرِ**

فأمرله بثلثمائة دينار، ولا بن عياش بمائتين"[2].

وقد كان الحجاج ذا شخصية قوية وشديدة، فهذا جعل كثيرين ينفرون منه. ويروى أن الحجاج بعث إلى والي البصرة: "أنِ اختَرْ لِي عَشْرةً مِمَّنْ عندكَ، فاختاروا رجالاً، مِنهُم كَثِيرُ ابنُ أبي كَثِيرٍ، وكان رجُلاً عَرَبياً. فقال كثير: فقلت في نفسي، لا أُفلِتُ من الحجاج إلا باللَّحْن، فلمّا أُدْخِلْنَا عليه، دعاني فقال: ما اسمُك؟ قلتُ: كَثِيرٌ. قال: ابنُ منْ؟ فقلتُ :إن قُلْتُها بالواو، لم آمَنْ أن يتجاوزَها، قال: أنا ابنُ أبا كثيرٍ. فقال: عليك لعنةُ الله، وعلى مَنْ بَعَثَ بك، جِئُوا في قفاه. قال: فأخرجت"[3].

---

(1) هو إبراهيم بن عبدالله النحوي اللغوي الإخباري، كاتب الإخشيدي، توفي بعد الأربعمئة للهجرة. انظر معجم الأدباء، ١/١٩٨-٢٠٢. والوافي بالوفيات، ٦/٣٤.

(2) الحصري: زهر الآداب، ٣/٣٧. والقفطي: إنباه الرواة، ١/٢٠٦. (البَهَر:هو تتابع النفس من الجهد. و المقصود بـ"الحَصَر": اللكنة. و"الخفْض": الرخاء. و"النَصَب": التعب).

(3) الحموي: معجم الأدباء، ١/٨٧- ٨٨. (والمقصود بـ"جئوا" : اضربوا).

عُرف الحجاج بالفصاحة والخطابة، فكان يكره اللحن ومن يقع به، حتى إن بعضهم خشي من ذلك، إذ دخل الشعبي(ت١٠٤هـ) على الحجاج، فقال: له كم عطائك؟ قال: ألفين. قال: ويحك! كم عطاؤك؟ قال: ألفان. قال: فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك؟ قال: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربت، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول قبله، فأعجبه ذلك ووهبه مالاً".[١]

وكذلك كان المأمون، ويُروى أن رجلاً من أهل الشام عزم على لقائه، فاستشار رجلاً من أصحابه فقال:"على أيّ جهة أصلح أن ألقى أمير المؤمنين؟ قال: على الفصاحة. قال: ليس عندي منها شيء، وإني لألحن في كلامي كثيراً. قال: فعليك بالرفع، فإنه أكثر ما يستعمل. فدخل على المأمون، فقال: السلام عليك يا "أميرُ" المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: يا غلام، أصفع! فصُفِع. قال: "بُسمُ الله". فقال: ويلك! من صبّك على الرفع! قال: وكيف لا أرفع من رفع الله؟ فضحك وقضى حاجته".[٢]

يلاحظ انتشار هذه الغاية في العصر الأموي، ذلك أنه عصر سياسي في الدرجة الأولى، وكانت الدراسات اللغوية في بدايتها، فتأثروا بمثل هذه الدراسات، وبالفصاحة التي وجدت للتخلص من تبعات هذا العصر. أضف إلى ذلك فإن الولاة كانوا يحترمون الفصيح ويجلّون الفصاحة وسرعة البديهة، مما ساعد على وجود مثل هذه الفكاهات.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٢٥/٢ .وابن الجوزي: الأذكياء، ٩٣.

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ١٥٩/٢.

هذه هي أبرز أغراض الفكاهة اللغوية. وقد يضاف إليها أغراضاً أخرى، **كإبراز المقدرة اللغوية والتفوّق**، ويبدو أنها ظهرت في مراحل قريبة من وضع النحو والتقعيد اللغوي، يوم كان لظهور الإعراب قيمة، ومن الأمثلة عليها ما يُروى أن رجلاً من النحويين قدّم رجلاً إلى سلطان في دَيْن له عليه، فقال: "أصلح الله الأمير، لي عليه درهمان، فقال خصمه: لا والله أيها الأمير، إن هي إلا ثلاثة دراهم، ولكن لظهور الإعراب ترك من حقّه درهماً"[1].

---

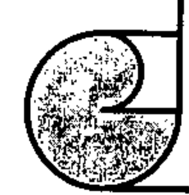
[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ٢١٨/٢. وانظر النويري: نهاية الأرب، ١٣/٤ .



الفصل الرابع

الفكاهة في ضوء علم اللغة المعاصر:

- تمهيد
- **الفكاهة** دراسة صوتية دلالية
- **الفكاهة** بين فروع علم اللغة التطبيقي
- أثر علم اللغة في الأنماط الفكاهية(الكوميدية)



تمهيد

تحوي كتب الأدب فنوناً قيمة ومادة وفيرة، منها فن الفكاهة. ويمكن تطبيق مبادئ علم اللغة، وما يتفرع عن هذا العلم من علوم وفنون على فن الفكاهة والإضحاك، وبذا نستطيع استيعاب تلك المادة وفهمها من جانب، وفهم مناهج البحث اللغوي واختبارها من جانب آخر.

إن الفكاهة تحتاج إلى قراءات جديدة، وإلى تحليل واف، وربما يمدّنا علم اللغة التطبيقي بهذا التحليل، فهو يُعنى "بتطبيق نتائج المنهج اللغوي وأساليبه الفنية في التحليل والبحث على ميدان غير لغوي، وعلم اللغة بهذا المعنى ماهو إلا وسيلة لغاية معينة أكثر منه غاية في ذاته." [1]

اللغة ظاهرة اجتماعية معقّدة، متعددة الجوانب متشابكة الموضوعات، لذا فقد قُسّمت لأغراض عملية إلى مستويات، هي المستوى الصوتي والصرفي والتركيب ثم المعنى والدلالة. هذه المستويات مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً .

ما من شك في أن ثمة صعوبة في التحليل اللغوي للفكاهة، لأن ملابسات هذا الموضوع متعددة ومسالكه متشعبة، غير أن "المنهج التحليلي الذي يقوم عليه علم اللغة الحديث يمكننا من دراسة علمية دقيقة، وكما أن الأدب يمد علم اللغة بمادة غزيرة وميدان خصب للدراسة والتحليل، فإن علم اللغة هو الذي يبرز ما في المادة الأدبية من مقومات الخلق والإبداع."[2]

---

[1] كريستيل، دافيد: التعريف بعلم اللغة، ١٧٤.

[2] محجوب،فاطمة: دراسات في علم اللغة ، ٤١ .

إن تحليل الفكاهة لغوياً يفيد في فهم هذه الفكاهة فهماً أعمق، وربما يتيح لنا تفسير كثير من الفكاهات، ويمكّننا من إنشاء النصوص الفكاهية المختلفة، عن طريق المستويات اللغوية، فربما لاتكون دراسة اللغة هدفاً في ذاتها، ولكن "وسيلة لتحقيق أهداف غير لغوية....إنه كلما تعمّق الأنسان في دراسة علم اللغة انكشفت أمامه آفاق رحبة قد تكون ذات قيمة"[١].

تتفرع مجالات علم اللغة، ويمتد آفاقه ليشمل علوماً أخرى، وفنوناً مختلفة عن موضوعات اللغة، واللغة نفسها "تعمل كأداة للفكر الراقي، فالخطابة والأدب والشعر والفلسفة والعلوم، كل أولئك لا بد أن تتناول عن طريق اللغة." [٢]

يؤدي علم اللغة أثراً بارزاً في كتابة الفكاهة وإنتاجها؛ فقد انطلق كثير من كتّابها من علم اللغة، ففتح آفاقاً لإنشاء المواقف الفكاهية المختلفة، واللغة لها أهمية في دراسة الفكاهة؛ إذ يمكن استغلال علم اللغة كأداة لفهم الفكاهة، وهو أداة مناسبة في كثير من الأحيان لإنشاء الفكاهة، ووسيلة لمريدي التفكّه والكتّاب في مثل هذا الفن؛ فهم يتّخذونه ليغني نصوصهم الفكاهية.

---

(١) كريستيل: التعريف بعلم اللغة، ١٦٠.

(٢) ماريو باي: أسس علم اللغة ، ٤٢ .

يعدّ المستوى الصوتي من أبرز المستويات اللغوية استثماراً للفكاهة؛ فالفكاهة تقوم في كثير من الأحيان على استغلال هذا الجانب اللغوي، لإضفاء التفكّه والترويح، أوالسخرية والنقد، أي أن استبدال أحد الأصوات في الكلمة بصوت آخر أو حذفه، أو القلب المكاني بين الأصوات، وغير ذلك من الجوانب الصوتية، يؤدي أثراً فكاهياً، ويساعد على إبراز عنصر الضحك. لذا فقد اقتصرت هذه الجزئية من الدراسة على البحث في المستوى الصوتي، ولمّا كان المستوى الدلالي مرتبط بجميع المستويات اللغوية فقد ضُم إليه.

الصوت ظاهرة عامة في الطبيعة، فللماء صوت هو الخرير، وللشجر صوت هو الحفيف، وللحيوانات كذلك أصوات متعارف عليها، كالزئير للأسد، والنباح للكلب، والمواء للقط، والثغاء للشاة وهكذا.

غير أن الصوت اللغوي عند الإنسان مختلف عن هذه الأصوات؛ فهوا أكثر تعقيداً، ويؤدي وظائف كثيرة، ويرتبط بغيره بطريقة منظمة منسجمة. فالأصوات بحدّ ذاتها لامعنى لها إذا لم تنتظم بصورة معروفة، متفق عليها وإلا كان الصوت عبثاً، فالإنسان الأبكم مثلاً، يصدر أصواتاً بطريقة عشوائية لذلك فهي تبدو طريفة، وتدعوا إلى التفكّه في بعض الأحيان.

يصدر الإنسان أصواتاً، وكذا الحيوان، وإذا أُريد إحداث أثر فكاهي في صوت الحيوان، أحاله إلى الإنسان، فقد سئل صبي مرة: من أبوك؟ فقال: وَوْ وَوْ. لأن أباه كان يسمى كلباً[1].

---

(1) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ٦٤/١. والحيوان، ٢٨٨/٥.

وربما يُتخذ صوت الحيوان موضع تفكّه وتندّر، وقد اشتهر بذلك ابن سودون، فحكى في ديوانه ضروباً من أصوات الحيوان، وراح يقلّد صوت الديكة والحملان والثيران، ومن هزلياته، قوله في (كتكوت):

شَـــــريت لــــــي كتيكيــــــت   مُميمــــــو مــــــن بزيــــــق
عــــــريّين يَـــــــصيح   مِـــــنَ البــــــرد: زيــــــق[1]

وظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ظاهرة غلاء الأسعار، وجاءت مناسبة (خروف العيد)، فقال فيها كثير من الشعراء المرحون أشعاراً طريفة فكاهية. وتطوّرت هذه المناسبة أن جعلوا بصورة طريفة (مجتمع الخراف الشعراء في ميدان الخلق)، فكان "هناك حوار طريف بين خراف الهراوي وأحمد رامي والسيد حسن القاياتي ومحجوب ثابت، وكان كل خروف ينطق بأسلوب صاحبه من الشعراء، وعلى طريقة صياغته....، فخروف الهراوي يقول على طريقته في شعر الأطفال:

....أنَــــــــــا لا أدْرِي   سِــــــــرَّ الأسْــــــــر
أكَــــــــذَا نَقِــــــــفْ؟   أيْــــــــنَ العَلَــــــــف؟
أيْــــــــنَ المَــــــــاءْ؟   مَــــــــاءْ مَــــــــاءْ[2]

فقد يتشابه صوت الحيوان ببعض الكلمات كصوت الخراف، التي تبدو بأنها تطلب ماءً، ومن هنا اتّخذ بعض الشعراء الطريفون هذا الجانب مادة للفكاهة.

---

(1) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ٩٥.

(2) حسن، محمد عبدالغني: الفكاهة في الشعر المعاصر، مجلة الهلال، ع٨،سنة ٨٢، ١٩٧٤.

قد تستثمر المقابلة بين لغة الإنسان ولغة الحيوان للتفكّه، من حيث إن المقارنة بين الإنسان والحيوان تبدو طريفة في ذاتها. فمثلاً يبدو القرد مضحكاً، لأنه يصدر حركات شبيهة بحركات الإنسان، ويتصرّف بتصرّفات قريبة من الإنسان.

استغلت هذه المقابلة لأغراض التفكّه في بعض الأحيان؛ فقد عكست إحدى مسرحيات توفيق الحكيم مثلاً، وهي (حمار الحكيم)[1]، الأثر الذي يمكن أن تخلّفه "أنسنة" الحيوان، لإبراز عنصر الضحك، والسخرية فيها، فالحيوان في هذا المقام يستعمل كرمز لما يريد أن يقوله الشخص الفكه نفسه.

بين الفوناتيك والفونولوجيا:

يدرس علم اللغة في المستوى الصوتي الأصوات اللغوية، وهو يشمل نوعين:علم الأصوات العام أو الفونانتيك، وعلم الأصوات الوظيفي أوالفونولوجيا. يبحث الأول في الصوت الصامت من حيث مخرجه وكيفية نطقه وصفاته...الخ؛ بينما يتناول الثاني التشكيل الصوتي أو وظائف الأصوات، فيدرس الصوت داخل بنية لغوية، ويشمل الفونيمات التركيبية، والفونيمات فوق التركيبية أو الثانوية كالمقطع والنبر والتنغيم والمفصل... .[2]

قد تتعدد الصور النطقية للصوت الواحد أو للفونيم الواحد، وتسمى هذه الصوروالأشكال بالألفونات، فمثلاً قد تنطق اللام في لفظ الجلالة (الله)، مفخمة مرة ومرققة أخرى، فصورتا اللام هنا ألفونان لفونيم واحد هو اللام.

---

(1) انظر مثلاً، الحكيم: حمار الحكيم، ١٩ وما بعدها.

(2) انظر في هذا ، حسان تمام: مناهج البحث في اللغة،٦٤ وما بعدها . وعمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ٢١٢ وما بعدها.

إن الصور الصوتية هذه لا تغير المعنى، ولكنها قد تدعو إلى التفكّه أو إلى السخرية، إذا نطقت بطريقة مميّزة. فمثلاً اشتهر محجوب ثابت بأنه كان ينطق القاف مفخماً جداً، فجعل ذلك حافظ إبراهيم يصفه بقوله:

يُرغِــي ويُزبِــد بالقَافَــاتِ تَحْــسَبُها ... قَصفَ المَدَافِعِ فــي أُفْــقِ البَــسَاتِينِ

مِنْ كُــلّ قَــافٍ كَــأنّ الله صَــوّرَهَا ... مِن مَارِجِ النّار تَصْوِير الــشّيَاطِينِ[1]

وقد ينتج عن التغيّر الألفوني اختلاف الدلالة في العامية، ومن ثم قد تتّخذ لأغراض التفكّه والترويح؛ فمثلاً في المصرية هناك معنيان لكلمة (أبله)، باختلاف نطق الباء واللام، فإذا نُطقتا مفخّمتين يكون معناها "المدرّسة أو الأخت الكبرى"، أما إذا نُطقتا مرقّقتين فتدل على "الشخص الغبي"[2].

ثمة تبدلات شائعة في اللغة كالإبدال بين السين والصاد والزاي، وقد ذكر النضر بن شميل[3](ت٢٠٤هـ) أن "السين لا تبدل إلا مع أربعة أحرف: الطاء والخاء والقاف والعين، فيبدلون السين صاداً في هذا، إذا وقعت السين قبلها، وربما أبدلوها زاياً، كما قال :سراط وزراط"[4].

رُوي كثير من الفكاهات حول هذه التبدلات، إذ يحكى أن النضر بن شميل مرض، فدخل قوم يعودونه، فقال له رجل منهم، يكنى أبا صالح: مسخ الله ما بك. فقال له: لا تقل

---

(١) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ١٨٥.

(٢) انظر محجوب،فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٧.

(٣) هو أبو الحسن النضر بن شميل المازني البصري، الشاعر النحوي، عالم بالفنون، صدوق ثقة، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث، أخذ عن الخليل، له مع المأمون وهارون الرشيد بمرو حكايات ونوادر، من كتبه: غريب الحديث، والأنواء، وكتاب الصفات، والمدخل إلى كتاب العين للخليل، (ت٢٠٤هـ). انظر نزهة الألباء، ٧٣-٧٥، وانباه الرواة، ٣٤٨/٣، والبغية،٤٠٤.

(٤) القفطي: إنباه الرواة، ٣٥١/٣ . وانظر في هذا التبدل، ابن جني: الخصائص، ٣٠٥/٣.

مسخ (بالسين)، ولكن قل (بالصاد) أي: أذهبه وفرقه. فقال له الرجل: إن السين قد تبدل من الصاد، كما يقال: الصراط والسراط ،وصقر، وسقر. فقال له النضر: فأنت إذاً أبو سالح"[1].

إن إحداث الأثر الفكاهي هنا، نابع من استبدال /الصاد/ بنظيرة المرقق /السين/ ومن ثم أدى هذا الإستبدال إلى تغير المعنى.

تناول الشدياق مثل هذه المواضع، بصورة ساخرة، إذ يقول: "مصح الله ما بك من السقم يا خواجا ينصر أومسح أومزح على حد من قرأ الصراط والسراط والزراط، ومن قال اجعلي فديتك بصاقا أو بساقا أو بزاقا"[2].

فقد تبدل الأصوات بعضها من بعض، دون تغيير في المعنى، غير أنه يحدث أثراً فكاهياً واضحاً. فيروى مثلاً أنه كان لرجل بالبصرة جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال: يا ضمياء، بالضاد. فقال ابن المقفع: قل، ياظمياء. فلمّا غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثاً، قال له: هي جاريتي أو جاريتك؟[3].

الإبدال بين الضاد والظاء قديم، إذ رُوي كثير من الفكاهات حول ذلك، فروي"أن إماماً قرأ: (ولا الظالين)، بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من خلفة، فقال: آه ضهري، فقال له الرجل: يا كذا وكذا، خذ الضاد من "ضهرك" واجعلها في "الظالين" وأنت في عافية"[4].

---

(1) الحموي: ثمرات الأوراق، ١٣١. وانظر الأندلسي، ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ٢٠٩-٢١٠ . وهناك فكاهات كثيرة حول هذا، وفي بعضها جوانب فاحشة، انظر الحريري: درة الغواص، ١٨-١٩. والفيروز أبادي: البلغة، ١٧٠. والصفدي: نكت الهميان، ٢٢٦ .

(2) الشدياق: الساق على الساق، ٢/٥٠ .

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/٢١١.

(4) ابن الجوزي: أخبار الحمقى، ١٢٤.

عُدّ تعاقب الحروف والأصوات وإبدالها من سنن العرب، يقول ابن فارس:" من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، فيقولون: مدحه ومدهه"[1]. غير أن هذا الإبدال بين كثير من أصوات اللغة، ربما كان أثراً من الآثار الذي خلّفه امتزاج العرب بغيرهم، وليس هو أصلاً في كلامهم، يدلّ على ذلك أن أولئك الداخلين في الإسلام كانوا من أصول متعددة، وكانوا يبدلون بعض الأصوات، التي لا وجود لها في لغاتهم، بأصوات أخرى، كإبدال الحاء هاء، والضاد دالاً ،والصاد سيناً، والعين همزة، والقاف كافاً... .[2]

وربما يكون للفكاهة نفسها أثر في إحداث هذا التبدل، إذ تقوم الفكاهة، كما ورد آنفاً، على مثل هذه التبدلات الصوتية، لإحداث التندّر أو السخرية، ولمّا كان الفرد محباً للفكاهة والمجتمع متعلّقاً بهذا الفن، فربما تتبدل أصوات الكلمات وتتطور تبعاً لهذا التعلّق بالفكاهة.

يضاف إلى ذلك أن التبدّلات في بعض الأصوات ربما تكون تابعة لنظام الكتابة العربية، ففي كثير من حروفها تشابه في الكتابة، إذ تفرق النقطة فيما بينها، أي أن التطور الصوتي قد يكون ناتجاً عمّا عُرف قديماً بالتصحيف، وهو جانب طريف.

مهما يكن من أمر، فالنطق بصوت ما، بصورة شاذة، يكون موضع سخرية، أما إذا أُبدل بصوت آخر، وتغيّرت دلالة الكلمة، تبعاً لهذا الإبدال، فيكون موضع تفكّه في الغالب، ويُدخلنا هذا في مجال آخر من مجالات علم الأصوات وهو الفونولوجيا، ويشمل الفونيمات التركيبية والفونيمات فوق التركيبية .

---

(١) ابن فارس: الصاحبي، ٣٣. ويرى القالي مثلاً أن (الكاهر والقاهر واحد). وقد قرأ بعضهم "فأما اليتيم فلا تكهر". انظر تعاقب بعض الحروف من بعض، القالي: الأمالي، ٥٢/٢ وما بعدها. ويقول أبو عبيد في الغريب المصنف:"إن المبدل في الحروف–مدهته أمدهه يعني مدحته. واستأديت عليه مثل استعديت...". انظر السيوطي: المزهر، ٤٦١/١.

(٢) انظر في هذه التبدلات وأمثلة طريفة عليها، الجاحظ:البيان والتبيين،٧٠/١وما بعدها.

الفونيمات التركيبية :

يتبيّن مما سبق أن الصور أو التنوعات المختلفة للصوت الواحد تسمى كل منها ألفوناً، ودراسة الصوت مجرداً مثل [ب] و [ن] و [م] وغيرها، هو مجال علم الأصوات العام. أما إذا تناولنا هذه الأصوات داخل بنية لغوية، وإذا تغيّر المعنى، باستبدال أحد الأصوات بصوت آخر، فإننا ندخل في مجال الفونيم.

إن صوت [القاف] مثلاً، صوت مجرد، إذا دُرس من حيث مخرجه وكيفية نطقه وصفاته...، وهو فونيم إذا تناولناه داخل بنية لغوية، وأدى إلى تغيير المعنى في هذه البنية، فمثلاً /القاف/ و /العين/ فونيمان مختلفان في الكلمتين "قاد" و "عاد". فوجود القاف في الكلمة الأولى، والعين في الثانية، هو الذي أدّى إلى اختلاف المعنى فيهما، وهكذا في كلمات مثل: "ساد" و "باد" و "كاد"...، فإذا استبدلنا بأي منها صوتاً آخر مثل /الصاد/ لتغيّر المعنى، لتصبح "صاداً".

يُشار إلى أن للفونيم جوانب نفسية واجتماعية، وللسياق أثرهام في هذا المجال[1]. وقد اختلف علماء اللغة المحدثون اختلافاً كبيراً حول هذه النظرية[2].

تنبّه القدماء إلى أن الاستبدال بين الأصوات، يتبعه تغيّر في الدلالة، فهذا المتنبي يمدح عضد الدولة[3]، بقوله:

---

(1) انظر في الفونيم، كريستيل: التعريف بعلم اللغة، ١٦١ وما بعدها . وماريو باي: أسس علم اللغة، ٨٦ وما بعدها. وحسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، ١٣٥ وما بعدها. واللغة العربية معناها ومبناها، ٧٥ وما بعدها وعمر، أحمد مختار: دراسة الصوت: ١٩٨ وما بعدها.

(2) انظر الاتجاهات والمذاهب المتعلقة بالفونيم، واختلاف النظرة إليه. عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت: ١٤٧-١٥٤. واستيتية، سمير: اللسانيات، ٦٤-٨٢.

(3) هو أبو شجاع فناخسرو الملقب بعضد الدولة ابن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي، كان فاضلاً محباً للفضلاء، صنّف له أبو علي الفارسي كتاب الإيضاح والتكملة في النحو، مدحه المتنبي في عدة قصائد، (ت٣٧٢هـ). انظر ترجمته: وفيات الأعيان، ٣/٥٠-٥٥. والوافي بالوفيات، ٢٤/٨٧-٩٢.

إِذَا المَنَايـــا بَــدَتْ فَـــدَعْوَتُها أُبـــدِلَ نُونَـــاً بِدَالـــه الحَائِـــدُ[1]

فاستبدال /النون/ بـ/الدال/ يغيّر معنى الكلمة من "الحائد": وهو الهارب، إلى "الحائن" : وهو الهالك .

إن هذا الجانب اللغوي، الذي سمي في علم اللغة الحديث بـ(الفونيم) له أهمية كبيرة في مجال الفكاهة، إذ قد يكون استبدال صوت واحد، كافياً لتغير المعنى، مما يسهل التفكّه، وإبراز الأثر الضاحك. ومن الأشعار الطريفة، التي تناولت هذا الجانب، قول أحمد بن محمد أبو الفضل[2]، في الهجاء:

أَيَـــاذَا الفَـــضَائِلِ والـــلامُ حَـــاءٌ وَيَـــاذَا المَكَـــارِم والمِـــيمُ هَـــاءٌ

وَيَـــا أَنْجَـــبَ النـــاسِ والبَـــاءُ سِـــينٌ وَيَـــاذَا الـــصِّيَانَةِ والـــصَّادُ خَـــاءٌ

وَيَـــا أَكْتَـــبَ النَّـــاسِ والتَّـــاءُ ذَالٌ ويَـــا أَعْلَـــمَ النَّـــاسِ والعَـــيْنُ ظَـــاءٌ

تَجُـــودُ عَلَـــى الكُـــلِّ والـــدَّالُ رَاءٌ فَأَنْـــتَ الـــسَّخِيّ وَيَتْلُـــوهُ فَـــاءٌ[3]

إن هذا أسلوب طريف في الهجاء، فالأبيات السابقة ظاهرهاالمدح، غير أن استبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى، يؤدي إلى تغيّر دلالتها، أي تتحوّل من مديح إلى هجاء؛ فباستبدال /اللام/ بـ/الحاء/ في كلمة "الفضائل" تتحوّل إلى "الفضائح" ، وكذلك "المكارم"، فهي تتغير باستبدال /الميم/ بـ/الهاء/ إلى "المكاره". وهكذا في باقي الكلمات، فهذه الأبيات تعكس نظرية الفونيم بصورة واضحة وطريفة.

---

(1) المتنبي: الديوان ، ٧٦/٢. يريد أن جيش عضد الدولة يقولون عند الموت: "جعل الله الحائد(وهو الهارب) حائناً (أي هالكاً).

(2) هو أحمد بن محمد الصخري، أحد مفاخر خوارزم، أديب كامل وعالم ماهر وكاتب بارع وشاعر ساحر، له شعر كثير، رحل إلى الصاحب بن عباد ونال منه، قتل في أواخر سنة ٤٠٦هـ. انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٥٠٠/٢.

(3) الحموي: معجم الأدباء، ٢٧/٥ .

ورد كثير من الفكاهات في كتب التراث، وقد تضمّنت بعض هذه الفكاهات جوانب لغوية وخصائص نطقية لبعض الأصوات، فكان ورودها لأغراض فكاهية طريفة، فقد قيل في المديح، في شخص اسمه (عمر):

يَا أعْدَلَ الأُمَّة اسْماً لِمْ تَجُور على	فُؤَاد مُضْنَاك بالهجْرانِ والبَيْنِ
أظنّهم سَرَقُوكَ القَاف مِنْ قَمَر	وَأبْدَلُوها بِعَيْنٍ خِيفَةَ العَيْنِ

وشبيه بذلك قول بعضهم :

ما عَلَيهم في الهَوى لَو نَظَروا	حِينَ سَمّوكَ فَقَالُوا: عُمَر
أبْدلُوا قَافَكَ عَيْنَاً غَلَطَاً	أخْطَأُوا مَا أنْتَ إلا قَمَر[١]

إذن، فاستبدال الأصوات في اللغة، يغيّر المعنى، ويسمى الصوت الذي يحل محل الآخر"مقابلاً استبدالياً" لهذا الصوت الأخير[٢]. يروى أن الجاحظ "صار إلى منزل بعض إخوانه، فاستأذن عليه، فخرج إليه غلام عجمي، فقال: من أنت؟ قال: الجاحظ، فدخل الغلام إلى صاحب الدار، فقال: الجاحد على الباب، وسمعها الجاحظ. فقال صاحب الدار للغلام: اخرج فانظر مَنْ الرجل؟ فخرج يستخبر عن اسمه، فقال: أنا الحدقي، فدخل الغلام، فقال: الحلقي، وسمعها الجاحظ، فصاح به في الباب: ردّنا إلى الأول، يريد: أن قوله الجاحد مكان الجاحظ، أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي. فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه"[٣].

أشار الجاحظ إلى ذلك، إبّان تناوله للكنة الأعاجم، فكان نطقهم لبعض الكلمات يغيّر في معناها أحياناً، مما يحدث تفكّهاً وتندّراً[٤].

---

(١) انظر الإبشيهي: المستطرف، ٢/٢٤٦ .

(٢) انظر حسان، تمام: اللغة معناها ومبناها، ٧٦ .

(٣) الحموي: معجم الأدباء، ١٦/٨٥. وانظر اليغموري: نور القبس، ٢٣٠ .

(٤) انظر تناوله للكنة، والفكاهات التي اقترنت بها، وفي بعضها معان فاحشة، لا سيما التي كانت لـ(فيل) مولى زياد. البيان والتبيين،١/٦٥، ٧٣، ٢/٢١٣ .والحيوان، ٧/٢٣٣-٢٣٤ . والمحاسن والأضداد،

وقد تكون الحركة فونيماً، إذا تغيّر المعنى نتيجة اختلاف حركة معينة، وقد روي قديماً، في المثل أنه "كان لسهل بن عمرو ابن، فرآه إنسان ماراً، فقال له: أين أمُّك؟ يريد: أين قصدك؟ فظن أنه يسأل عن أُمّه. فقال: ذهبت تطحن. فقال: أساء سمعاً فأساء جابه"(١).

إن استبدال الضمة بالفتحة، قد غيّر المعنى في هذه الكلمة. وتدخّل السمع في هذا التغير، وربما النطق الذي لم يكن واضحاً للمستمع.

وقد يُتّخذ الفونيم أثراً فكاهياً، وذلك بإعطاء الجمل والعبارات، طابعاً موسيقياً، للمجانسة بين تلك العبارات، ومثال ذلك، ما ورد في فن المقامات، لا سيما عند بديع الزمان الهمذاني والحريري. يقول الهمذاني مثلاً في المقامة الأصفهانية: "كنت بأصفهان أعتزم المسير إلى الريّ، فحللْتُها حلول الفيّ، أتوقّع القافلة كل لَمْحَةٍ، وأترَقّب الرّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ، فلمّا حُمّ ما تَوقّعْتُه، نُودِيَ للصلاة نداءً سَمِعْتُه. وتَعيّن فَرْضَ الإجابة، فانسَلَلْتُ من بين الصّحابة، أغتَنم الجماعة أُدْرِكُها. وأخشى فَوْت القافلةِ أتْرُكها. لكني استَعَنْتُ ببركات الصلاة على وَعْثاء الفلاة..."(٢).

ولعل صفات الاصوات تؤثر في إحداث الفكاهة، فتحوّل الصوت المرقق مثلاً إلى مفخّم قد يغيّر المعنى، وهنا أيضاً ندخل في مجال الفونيم، ومما يروى في هذا المقام أن

والأضداد، ٢٥.وانظر تناول طه حسين لهذه القصة مع الإشارة إلى (فيروز)، الذي كان "رجلاً أسود فاحماً"، إشارة منه إلى تعدد اللهجات فلا يوجد في لهجته صوت الحاء ولا صوت العين. (الأيام: ٢/٩) .

(١) الميداني: مجمع الأمثال، ٢/١٠١. وانظر الحريري: درة الغواص، ٤٢.

(٢) الهمذاني: المقامات، 61. فقد جانس في هذه المقامة وغيرها، بين كلمات ليعطي للألفاظ جانباً طريفاً، مثل: أتصلّب وأتقلّب، الصبر والقبر، والصورة والسورة، وفرصة وفرجة، والغمام والتمام. انظر ص 61-٦٥ .

شخصاً فقد بصره في أواخر حياته، فكان يرافقه أحد الشبان من تلامذته، فلقيه بعض أصحابه، فلمّا سأله عن الشاب، أجاب: "ده واحد **ساحبنا!**"[١].

أراد هذا الشخص أن يقول "صاحبنا"، فـ/الصاد/ صوت "أسناني لثوي رخو صفيري مهموس مفخّم"[٢]، ولكنه استبدله بنظيره المرقّق وهو /السين/، فتحوّلت الكلمة إلى "ساحبنا". ولمّا كان السياق يعكس حالة المتكلّم الضرير، فقد انطبقت عليه كلمة "ساحبنا"، ومن ثم أحدث ذلك أثراً فكاهيا واضحاً. فالسين والصاد وحدتان صوتيتان في اللغة العربية، ومن ثم يتغيّر المعنى إذا استبدل إحداهما بالآخر.

يعطي السياق بعداً إضافياً للفكاهة ويبرزها، فللسياق أثر في إحداث الأثر الفكاهي، فإذا قيلت فكاهة ما في سياق معين، فقد يكون لها أثراً بارزاً، وربما لا يكون لها ذلك إذا قيلت في سياق آخر. وممّا يُروى، في هذا المقام، أنه نُعي إلى "إمام العبد" أحد أصدقائه، وكان لحّاماً، فقال في لهجة آسفة: "الله يلحمه"[٣].

إن اختلاف صفة أو أكثر، أو تباين المخرج، في الأصوات قد يؤثر في إحداث الفكاهة. هذا التفكّه ينبع من تغيّر المعنى، أي أن سببه استبدال فونيم في اللغة بفونيم آخر، ويروى في ذلك أن سعد زغلول كان ينطق القاف كافاً، فخطب يوماً، فقال: "كنت أودّ أن أتكلّم إليكم مدة طويلة، ولكنني أحس تعباً شديداً، وأشعر بقلبي ينبض نبضاً قوياً لاعهد لي به". وهنا انبرى من بين السامعين من هتف: "يحيا **كلب** الرئيس!"[٤].

---

(١) انظر ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ١٦٥-١٦٦ .

(٢) حسان، مناهج البحث في اللغة، ١٠٠ .

(٣) انظر السعدني، محمود: الظرفاء، ٥٢. و"إمام العبد" شخصية مصرية طريفة.

(٤) حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، ٨٨ .

إن التفكّه هنا، ناتج بسبب تغيّر المعنى، باستبدال/الكاف/ بـ/القاف/، ذلك أنهما فونيمان مختلفان في اللغة العربية؛ فالقاف"صوت لهوي مهموس شديد، له بعض القيمة التفخيمية"، أي أنه مفخّم تفخيماً جزئياً. أما صوت الكاف فهو صوت "طبقي شديد مهموس مرقّق"[1]. إن هذا التغيّر في الصوتين، يتبعه تغيّر في الدلالة، فتحولت كلمة "**القلب**" إلى "**الكلب**"، مما ساعد على إظهار التفكّه.

أصبح تحوير الأصوات، والتلاعب بها، مجالاً للتسلية والتفكّه، وربما السخرية والنقد؛ فقد تستثمر نظرية الفونيم لأغراض فكاهية ساخرة في الحياة اليومية، كأن توصف محاضرة ما بـ(**المحاصرة**)، أو أن يُطالب شخص يبحث عن عمل بفرصة (**أمل**)، وكأن يعبّر شخص فقير عن المشتريات بـ(**المشتهيات**)... وهكذا.

---

(1) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة،٩٥-٩٦. وانظر اللغة معناها ومبناها، ٧٩.

الفونيمات فوق التركيبية:

ثمة جوانب لغوية، أو ملامح صوتية، تختلف عن الوحدات الصوتية الأساسية (الفونيمات التركيبية) في اللغة، فتعتمد على درجة الصوت أو علوه أو كيفية تنغيمه. لذا سمّيت هذه الفونيمات بالثانوية أو الإضافية أو فوق التركيبية، وأهمها: المقطع والنبر والتنغيم والمفصل، فهذه الفونيمات قد تؤثر في الدلالة.

المقطع:

تتداخل الأصوات اللغوية لتكوّن وحدات فونولوجية تسمى بـــ(المقطع)، وللمقطع أهمية في الدراسات اللغوية الحديثة[1]. تعرّف المقاطع بأنها "تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة"[2].

وللمقطع أثر في إنتاج الفكاهة وفهمها، وقديماً استثمرت بعض الفكاهات النظام المقطعي لإضفاء الطرافة على بعض المواقف، فمن ذلك مثلاً تلك الفكاهة التي جرت بين الشعبي وليلى الأخيلية[3] في مجلس عبدالملك بن مروان، وتحديداً حول لغة كسر حرف المضارعة (التلتلة) [4]، فهذه الفكاهة تظهر المقطع بصورة طريفة واضحة.

---

(١) انظر أهمية المقطع في الدراسة الصوتية عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت، ٢٨١-٢٨٣.

(٢) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة،١٣٨.

(٣) الشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل، كوفي تابعي، جليل القدر وافر العلم، نادم عبد الملك بن مروان، وكان مزاحاً، توفي ١٠٤هـ. أما ليلى الأخيلية فهي الشاعرة المشهورة، كان يهواها توبة بن الحمير الخفاجي. انظر فوات الوفيات، ٢/٢٨٩-٢٩١.

(٤) انظر هذه الفكاهة، وفيها جانب فاحش. العاملي: الكشكول، ١/٣٦٣، ٢/٢٩٦. والأندلسي: حدائق الأزاهر، ٢١٧.

واستغل النظام المقطعي كذلك، للسخرية من بعض الأسماء، بتحليلها مقطعياً، لإضفاء التفكّه، فقد "قيل لرجل:ما اسمك؟ فقال: شعيب.فقال: لا خير في اسم أوله شين وآخره عيب."[1]

فكلمة(شعيب) ثنائية المقطع، والتفكّه فيها متأت من تقسيمها مقطعياً، والمفارقة أن كلا المقطعين < ش> و <عيب>، يكوّنان –عند النطق بهما منفصلين– صفتين سلبيتين، وهما (الشين) و (العيب).

وشبيه بهذه الفكاهة ما يُروى "أن هناك شخصاً كان يسمى علي بن باى بن برقوق، نبزه بعض أصدقائه باسم زلابية. وأشيع ذلك، فقال بعض الشعراء:

قَدْ شَبّهوهُ بِمَنْ يُدْعَى زَلابِيَةً وَصَحّ تَشْبيههم والأب بَرْقُوقْ

لكنّهُم فَاتَهُم في الوزّ نِسبْته فَإنّ اسْمَ أبيه نِصفُه قُوقْ[2]

وتحدث الشربيني عن (البرغوث)، فنقل عن الإمام السيوطي وصفاً طريفاً للبرغوث، فهو يرى أنه مشتق من الـ <برّ> والـ<غوث> إذ يقول:

لا تَكْرَه البرغوثَ إنّ اسْمَه بَرّ وغَوثٌ لَو بِهِ تَدْري

فبِرّه مصٌّ دم فاسد والغوث إيقاظك للفجر[3]

وتعليله هذا التقسيم في البيت الثاني، زاد أثره الفكاهي الطريف.

يشارالى أن أغلب الفكاهات التي تستثمر المقطع، هي كلمات ثنائيه المقطع، لأنها تعدّ لمحة سريعة، لذلك فهي تقدم الفكاهة بصورة طريفة غير متكلّفة.

---

(1) الأصفهاني، الراغب: مجمع البلاغة، ٢٣٠/١. وانظر فكاهات تتناول الأسماء بهذه الطريقة الطريفة، التلمساني: أزهار الرياض، ٢٩٣/٣.

(2) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ٥٩.

(3) الشربيني: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، عرض وتحليل طاهر أبو فاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ٥٣.

النبر والتنغيم:

يُعرّف *النبر* بأنه "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم"[١]. ولهذا النبر قواعد في الكلمات العربية والمجموعات الكلامية[٢].

إن اختلاف موضع النبر في الكلمات العربية لايؤثر في اختلاف المعنى[٣]، هذا بالنسبة للعربية الفصحى، أما في اللهجات الحديثة فقد يؤثر، فمثلاً في كلمة (نعم)، يؤثر النبر في اختلاف المعنى، فإذا جاءت للإثبات يكون النبر على المقطع الأول، أما إذا أُريد بها الاستفهام أو الاستنكار، فإن النبر ينتقل إلى المقطع الثاني[٤].

أما نبر الجمل فيستخدم كثيراً للدلالة على المعاني المختلفة، عن طريق زيادة النبر في كلمة معينة في الجملة، لتأكيدها أو لأغراض أخرى... . وقد اتخذت هذه الظاهرة لأغراض التفكّه، فقيل إن رجلاً قال لسيدة: (أنت جميلة اليوم) بتركيز النبر على كلمة(اليوم)، فغضبت. لأن المعنى يكون: "أنت جميلة اليوم فقط"، ثم غيّر الجملة بتركيز النبر على كلمة (جَميلة)، ليصبح معناها: أنت جميلة دائماً واليوم بوجه خاص[٥].

أما *التنغيم* أو موسيقى الكلام فيعرّف بأنه "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام، وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة

---

(١) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، ١٦٠. وانظر تعريفات النبر. عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت، ٢١٩-٢٢٠.

(٢) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، ١٦١-١٦٣.

(٣) انظر أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ١٤١.

(٤) خليل، حلمي: الكلمة دراسة لغوية معجمية، ٤٥. وانظر مقدمة لدراسة اللغة، ٢٣٩.

(٥) انظر بشر، كمال: علم اللغة الاجتماعي، ٢١٠.

الاستفهام"[١]. وقد يتغيّر المعنى بسبب الاختلاف في تنغيم الكلمة، أي أن التنوّعات الموسيقية في الكلام تستخدم للتفريق بين المعاني، فتستغل للتعبير عن المشاعر والانفعالات المتباينة، كالرضا والغضب والدهشة وغيرها[٢].

قد يختلف معنى الكلمات، تبعاً لاختلاف درجة الصوت فيها، أي تبعاً لتنغيمها، ويقال إن اللغة الصينية من أشهر اللغات استثماراً للتنغيم، إذ تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معان نتيجة لاختلاف تنغيمها؛ فمثلاً كلمة (فان) في هذه اللغة تؤدي ستة معان متباينة تبعاً لاختلاف درجة التنغيم فيها، ومن المعاني التي تؤديها (نوم، يعرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق)[٣].

استغلت هذه القضية في بعض المجالات الكوميدية؛ ففي فيلم (فول الصين العظيم) للفنان الكوميدي محمد الهنيدي، يتعرّف على فتاة صينية، وأثناء اصطحابها إلى بيتها، للتعرّف على أهلها، تقدّم الفتاة صديقها إلى أمها، ثم تطلب منه أن يرحب بها بقوله: (Mah)، ولكنه ينطقها بتنغيم مختلف، فتحولت إلى: "يا قليلة الأدب". فغضبت الأم لذلك، فغَيَّر في تنغيمها، كما أرادتها صديقته، ففرحت الأم، وتعجب هو من ذلك الاختلاف في المعنى. فتغيّر تنغيم الكلمة، جاء لإحداث عنصر الإضحاك، في هذا المجال.

وهناك جمل وعبارات نستخدمها لأغراض السخرية أو التفكة أحياناً، ومن الجمل التي نتلاعب في تنغيمها، لتؤدي معان عدة:(يا حبيبي) و (كيف حالك) و (صباح الخير) و(لا يا رجل) و (يا سلام) و(الله أكبر).

---

[١] حسان: مناهج البحث في اللغة، ١٦٤.

[٢] انظر السعران: علم اللغة،١٩٣. وعمر: دراسة الصوت، ٢٢٩.

[٣] انظر أنيس، إبراهيم: الأصوات،١٤٢-١٤٣. وانظر السعران: علم اللغة، ١٩٨. وحسان: مناهج البحث في اللغة، ١٦٤.

هذه الجمل قد تدل على الود أو الإعجاب أو السخرية والتهكّم أو الاستنكار، وقد نتخذها لأغراض التفكه والإضحاك، مع مراعاة السياق الذي تتلوّن فيه، أوالموقف التي تأتي له. وقد استثمرت هذه الفكرة في مسرحية (شاهد ما شفش حاجة) للفنان عادل إمام، فعندما أُخبر بأن هناك جريمة قتل، قال: "يا سلام"، دلالة على السخرية. وأحدث هذا التنغيم أثراً فكاهياً، وساعد على إبراز عنصر الضحك.

إذن، فالنبر والتنغيم لهما أثر في اختلاف الدلالة أحيانا، وقد تستغلان لتحوير معنى الجمل والعبارات، وفق ما يقتضيه السياق. ومثال ذلك أن نقول لشخص يدعي لنفسه شاعرية "شوقي" الشاعر المشهور، فنحوّر في تنغيم الجملة ليتمّ التهكّم وتبرز الفكاهة، فنقول له: ماذا تقرأ شوقي. فهذه الجملة تحتمل: (ماذا تقرأ "يا" شوقي؟) وتحتمل كذلك (ماذا تقرأ؟ شوقي؟)[١].

المفصل:

ثمة تسميات متعددة لهذا الفونيم، منها الوصل والوصلة والانتقال والفصل والسكتة، ويعرّف فونيم المفصل بأنه "سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما، وبداية آخر"[٢].

يساعد فونيم المفصل للتمييز بين المعاني، فهو يستخدم في اللغة العربية، سواء في الفصحى أو في العامية استخداماً فونيمياً، فيساعد على فهم المعنى، أو ما يقصده المتكلم، فمثلاً عندما نقول: جادلك، فإنها تحتمل معنيين؛ الأول: من الجود، والثاني: من الجدال. ففونيم

---

(١) انظر عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت، ٣٧٧.

(٢) ماريو باي: أسس علم اللغة، ٩٥. قد يكون المفصل حاداً فيسمى مفتوحاً ويرمز له بعلامة (+) أو (#)، وقد يكون خفيفاً فيسمى ضيقاً، ويرمز له بعلامة (-). ويمكن الاستغناء عن الرمز عن طريق ترك فراغ في الكتابة. انظر عمر: دراسة الصوت، ٢٣٢.

المفصل هو الذي يحدّد ما نريد بها، فإذا فصلنا بين (جاد + لك) فهي من الجود، وإذا لم نفصل فهي من الجدال[1].

ويرى كمال بشر في قول بعضهم لأمير المؤمنين: "لا و أيدك الله". أنه يمكن الإستغناء عن هذه الواو بالوسائل الصوتية، بأن نتبع أداة النفي بسكتة، فتكون جملة بذاتها، ثم نعقبها بالجملة الأخرى بدون الواو (لا. أيدك الله)[2].

هذا الجانب الصوتي قد يتّخذ لإبراز نواح طريفة، ويمكن استغلاله للتفكّه، فمثلاً يمكن استثماره في توضيح فن بلاغي شاع قديماً، وهو الجناس، وتحديداً في جناس التركيب، وهو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين، كما قال بعضهم:

طَرَقْتُ البَابَ حتى كَلّ مَتْني ... فَلَمّا كَلّمَتْنِي كَلّمَتْنِي

فَقُلْتُ أيَا اسمَاعِيلَ صَبْرا ... فَقَالَتْ أيَا اسمَاعِيلَ صَبْرِي[3]

فلو استخدمنا فونيم الوصلة لإبراز معنى الكلمات المتشابهة، لاتّضح مقصود الشاعر هنا، ففي البيتين كلمات متشابهة، فوردت (كلّمتني) مرتين، وكذلك (اسماعيل). وعندما نضع رمز فونيم المفصل تتّضح كل منها، فـ(كلمتني) الأولى في الشطر الثاني مكوّنة من (كلّ+متني)، وأيضاً (اسماعيل) الأولى في البيت الثاني مكوّنة من (اسما+عيل).

وشبيه بذلك قول أحد الشعراء:

أوْصِلَانِي إلى المُنَى أوْصِلَانِي ... بِالأمَانِي التي تَبِيْد الأمَانِي[4]

---

[1] انظر عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت، ٣٦٥.

[2] انظر بشر، كمال: علم اللغة العام/الأصوات، ١٩١-١٩٢.

[3] القشطيني: سجل الفكاهة العربية، ١٠٨.

[4] ابن منقذ: البديع، ٦١.

فالمفصل فونيم نطقي للتمييز بين الدلالة، وكذلك فيمكن أن يؤثر النظام الخطي للغة، في إبراز المعنى أوالدلالة، أي أن تكتب (أوصلاني) الثانية هكذا: (أو صلاني). فالنظام الخطي بذلك يكون مساعداً بصرياً لبيان المعنى.

وبهذه الوسيلة يمكن حلّ كثير من الألغاز، القائمة على التلاعب في الرسم الإملائي،[1] كما قال بعضهم: "أكلت دجاجتان وبطتان"، فنوضّحه بوضع رمز المفصل بين كل كلمتين منفصلتين، (دجاجَ+تان) و (بطَّ+تان).

استغلّ المفصل لإضفاء التفكّه والسخرية، واستثمر للمزاح في العامية المصرية مثلاً، كأن يُقال (انتوخبتم)، وهذه الكلمة تحتمل معنيين، الأول من الانتخاب (انتخبتم)، والثاني للشتم (انتو+خبتم) بمعنى: "أنتم خبتم"، في العامية[2]. فهذه العبارة تستغل للتورية والفكاهة، من خلال النطق بهذه العبارة دون الفصل بين مكوّناتها، فيكون المفصل المحدّد لمقصود المتكلّم.

ومثال آخر لاستغلال فونيم المفصل للتفكّه، فقد كان البابلي سريع النكتة خفيف الروح، وتروى عنه فكاهات كثيرة، فمن ذلك أنه "برم يوماً بشخص في أحد المجالس، فلمّا جاء شاب وهو ابن هذا الذي برم به، أظهر البابلي الضجر منه، فسأله من معه: لماذا تضجر من هذا الشاب؟ فقال: هو "ابن اللي آم"[3]. فهذه تورية من البابلي، أراد منها أن يشتمه بقوله: (ابن اللئام).

قد يحدث المفصل بين ركني جملة ما، ينبغي فيها الوصل ولا يحبّذ عندها الوقف، وربما تؤثر هذه الناحية في إبراز الفكاهة، فمثلاً في مسرحية "شاهد ما شفش حاجة" يقف

---

(١) انظر بعض هذه الألغاز ص (٩٦-٩٧) من هذه الدراسة.

(٢) انظر عمر: دراسة الصوت،٣٦٦.

(٣) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ١٦٧-١٦٨. وللاستزادة انظر محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة،١٨-٢٠، ٣٧-٣٩.

مدّعي المحكمة ليسأل الشاهد، فيقول: "انت ساكن" –وأراد أن يقول: أنت ساكن في شارع كذا وكذا– غير أن هذا الوقف بعد عبارة "انت ساكن"، أوحى للشاهد أن السؤال انتهى، عند هذا الوقف. فأجاب بصورة طريفة ساخرة: "أنا ساكن والا حنام في الشارع". فأثّر ذلك الفصل في إحداث الفكاهة، وإبراز عنصر الضحك. ومما زاد هذا الأثر أن السائل أحدث تنغيماً في الجزء الأول من السؤال، فبدا كأن السؤال انتهى إلى: أنت ساكن؟!

وبعد، فالمستوى الصوتي في اللغة، يعدّ من أكثر الجوانب اللغوية أثراً في الفكاهة وإنتاجها، ولعل ذلك يعود إلى أن الأصوات هي الجانب العملي للغة. أضف إلى ذلك أنها طريقة سهلة ميسّرة، تمثّل لمحة سريعة لإحداث التفكّه؛ فقد يكون ذلك بحذف صوت واحد أو إبداله بغيره، أو بإبراز الملامح الصوتية المختلفة كالفصل أو التنغيم... وغيرها من الجوانب، لإحداث عنصر التفكّه والإضحاك.

غير أن هذا لا يعني أن الفكاهة تقتصر على استثمار المستوى الصوتي، بل قد تؤثر المستويات الأخرى في هذا المجال، فقد استغلت في كثير من المجالات لإضفاء التفكّه والطرافة.

فالمستوى الصرفي يتناول الكلمة وما يطرأ عليها من تغييرات، هذه التغييرات قد تؤدي إلى تباين المعنى، وربما تتخذ موضع تفكّه وتندر، فقد "مرّ رجل بدار ميت، فقال: من المتوفِّى؟ قال له رجل: الله. فقال له: يا كافر الله يموت؟ فقال: لعلك تريد المتوفَّى؟"[1].

---

(1) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ١/٩٠. وانظر فكاهات تنتج بتغير المعنى تبعاً للتغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة، الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٦٣، ٢/٢١٩، ٢/٣٢٧. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢/١٦٠.وابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣/٤٧٥. والأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ٣١-٣٢. والزمخشري:ربيع الأبرار، ١/٢٢٥-٢٢٦. والعاملي: الكشكول: ٢/٣٤٠. وابن عاصم: حدائق الأزاهر،٣٩١.

فالتغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة قد تحولها، من اسم فاعل إلى اسم مفعول مثلاً، أو تغيّرها من اسم إلى فعل، أو من اسم إلى صفة، وهكذا.

ومما يروى في ذلك، رقعة كتبها بديع الزمان الهمذاني، إلى سعيد الإسماعيلي، فقال: " كتابي، بل رقعتي، أطال الله بقاء الشيخ، وقد بكرت عليّ مُغيرة الأعراب، كمهلهل وربيعة بن مكدم وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأذم الدهر، فما ترك لي فضّة إلا فَضّهَا، ولا ذَهَباً إلا ذَهَب به، ولا علق إلا عَلَقَه، ولا عقاراً إلا عَقَرَه، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا مال إلا مال إليه، ولا سبد إلا ستبدّ به، ولا لبد إلا لبد فيه، ولا بزة إلا بزها، ولا عارية إلا ارتجعها، ولا وديعة إلا انتزعها، ولا خلعة إلا خلعها....".[1]

ومن الجوانب الصرفية التي تؤدي إلى التفكّه، ما يسمى بـ(السوابق واللواحق)، كـ"الألف واللام" مثلاً، فحذفها في موقع ينبغي إثباتها، أو إثباتها في مكان يجب حذفها، يؤدي إلى التفكّه، ومما يروى في ذلك أنه "مر رجل بأديب، فقال له: كيف طريق البغداد؟ فقال: من هنا. ثم مر به آخر، فقال: كيف طريق كوفة؟ فقال: من هنا، وبادر مسرعاً، فمع ذلك المار ألف ولام لا يحتاج إليهما، وهو مستغن عنهما فخذهما؛ فإنك أحوج إليهما منه"[2].

وثمة فكاهات تخص اسم التفضيل وطريقة صياغته، من ذلك ما يروى عن يوسف بن خالد الليثي(ت١٩٠هـ)، إذ كان يقول: "هذا أحمر من هذا. يريد: هذا أشدّ حمرة من هذا"[3]. فلا يبنى اسم التفضيل من فعل يأتي الوصف منه على أفعل مثل حمر وعور،[4] بل لابد أن

---

(١) الحصري: زهر الآداب، .

(٢) العاملي: الكشكول، ٢/٢٩٥. وانظر فكاهات شبيهة بهذه الفكاهة، الحموي: معجم الأدباء، ٢/٢٢-٢٣. والأصفهاني: محاضرات الأدباء، ١/٩١. وابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٩/٤٥٢. وطه حسين: الأيام، ٣/٢٤.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/٢١٢.

(٤) انظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ٢/١٦٣-١٦٤.

يسبق بأشد أو أكثر، ومن ثم يكون الخطأ في صياغة اسم التفضيل على الصورة السابقة، داعياً إلى التفكه.

ويدخل في المستوى الصرفي الاشتقاق، يقول المتنبي هاجياً الذهبي:

لما نُسبتَ فَكُنْتَ ابنا لغَيْر أب ثم امتُحِنْتَ فلم ترجِعْ إلى الأَدَب

سُمّيْتَ بالذَّهَبِيّ اليومَ تسمية مشتقّة مِن ذَهابِ العَقْل لا الذّهب[١]

ومن توابع الاشتقاق، التعسّف والمبالغة في الربط بين الكلمات ومدلولها، فقد "لاحظ علماء اللغة أن هناك ارتباطاً معيناً يوجد بين الكلمات من جهة اللفظ والمعنى، فقالوا بوجود ارتباط وضعي بين هذه الكلمات"[٢]. ويروى في هذا السياق، أن يحيى بن علي المنجم[٣] "سأل بحضرة عبدالله بن أحمد بن حمدون النديم: من أي اشتق الجرجير؟ قال: لأن الريح تجرجره، قال: ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنه يجر على الأرض، قال: والجرة لم سميت جرة؟ قال: لأنها تجرّ على الأرض، فقال: لو جرت على الأرض لانكسرت."[٤]

وقريب من هذه الفكاهة، ما يروى أنه "لما ورد أبو نواس مصر، فدخل جامعها، طاف فيه على أهل الحلقات، فانتهى إلى رجل يتكلّم في الاشتقاق، فقال له: لم سميت السماء سماءً؟ فقال: لأنها سَمَتْ فَعَلَتْ. قال: فلِمَ سميت الأرض أرضاً؟ فقال: أرَضَتْ أرضاً. قال: فالكامِخْ؟

---

(١) المتنبي: الديوان، ٢١٨/١.

(٢) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، ١٧٧.

(٣) هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المعروف بالمنجم، نادم الخلفاء، وكان نديم الموفق أبي أحمد ابن المتوكل على الله، ونديم المكتفي بالله، صنف كتباً كثيرة منها، "الباهر" في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين، وله مع المعتضد وقائع ونوادر، توفي ٣٠٠هـ. انظر ترجمته: معجم الأدباء، ٢٨٢٥/٦-٢٨٢٦. ووفيات الأعيان، ١٩٨/٦-٢٠١.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ١٤٥/١.

فقال: لا أعرفه، فقال: لكني أعرفه، فقال: قُلْهُ. قال: لأنه كمخ يكمخ كمخاً فصارت كامخاً. فخجل الرجل وترك المجلس"[1].

إن هذه مبالغة في الاشتقاق، وتكلّفاً في إبراز هذه الظاهرة، وتمثّل تعسفاً في التحليل اللغوي، لأن اللغة في الغالب هي عرفية اتفاقية. يقول فندريس: "الاشتقاق يعطي فكرة زائفة عن طبيعة المفردات، لأن كل ما يُعنى به هو أن يبين كيف تكوّنت المفردات. والكلمات لا تستعمل في واقع الحال تبعاً لقيمتها التاريخية، فالعقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرت بها"[2].

ويُعنى **المستوى التركيبي** بتركيب الجملة، وقد يؤدي الاضطراب في تركيب بعض الجمل إلى تشويهها، ومما يروى في هذا المجال، أنه "دقّ رجلان على باب نحوي، فقال: مَنْ؟ فقال أحدهما: أنا الذي اشترى عبدالله كلم الآجر، وقال الآخر: أنا الذي أبو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. فقال صاحب الدار: انصرفا فما أرى لكليكما صلة"[3].

وقد يؤدي الاضطراب في ترتيب الكلمات، إلى أثر فكاهي، وهذا يكون في الغالب لدى تعلم اللغة الأجنبية، أي أن نظام اللغة الأم يؤثر على اكتساب اللغة الثانية، ومن ذلك ما يرويه الجاحظ "قلت لخادم لي: في أي صناعة أسلموا هذا الغلام؟ قال: "في أصحاب سِنْدِ نِعال".

---

(1) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، ١٨٢. وانظر فكاهات مشابهة في مجال الاشتقاق، الجاحظ:البيان والتبيين، ١٦٩/١. والأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٧٧٠/٢. والزمخشري: ربيع الأبرار، ٦٤٧/١. والحصري: جمع الجواهر، ٢٩. والشدياق: الساق على الساق، ١٩/٢.

(2) فندريس: اللغة، ٢٢٦.

(3) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٩٠/١.

يريد: في أصحاب النعال السّندية. وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دونه: "اكتب لي قُلْ خطّين وريّحني منه"[1].

فاللغات تختلف فيما بينها من حيث تركيب الجمل وترتيب مكوّناتها[2]، فالجملة العربية مثلاً تبدأ بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول وهكذا. وقد تخرج عن هذا الترتيب لأغراض بلاغية، أما إذا تغيّرت دون ذلك، فقد تدعو إلى السخرية والفكاهة.

فالخروج عن الترتيب المتعارف عليه في اللغة، يخرج الجملة من معناها، فيغدو هناك صعوبة في فهم ما يريده المتكلّم، يقول رَقَبة بن مَصقَلة[3]: "ما أعجزني كما أعجزني رجل قام إليّ يوماً، وقد دخلت المسجد، فقال: "إني رأيتك فشبهتك بي، فأعجبني ذلك لك". وأنا متفكّر به، ولا أدري ما معنى كلامه"[4].

وشبيه بذلك، ما يروى أن "المعتصم"(ت٢٢٧هـ) أرسل إلى "أشناس"[5] (ت٢٥٢هـ)، فطلب منه كلب صيد فوجّه به إليه، فردّه وهو يعرج، فكتب أشناس بشعر قاله:

الكَلْـــــب أخَـــــذْتَ جيّـــــدٌ   مكـــــسورَ رِجـــــلِ جِبـــــت

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٦١-١٦٢. وانظر فكاهات شبيهة، نتجت بتغيير ترتيب الكلمات في الجمل، البيان والتبيين، ٢/٢١٣-٢١٥. والمحاسن والأضداد، ٢٦. وابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢/١٦٠. وابن خلدون: المقدمة، ٣/١١٥٢.

(٢) تناول عباس العقاد مقابلة طريفة بين الجملة العربية والإنجليزية من حيث بعض الجوانب الصرفية والتركيبية، وتفسير ذلك وتعليله.انظر في هذا، العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ٥٦ وما بعدها.

(٣) هو رقبة بن مصقلة العبدي، من خطباء عبد القيس، عاصر الأعمش وحمادا الراوية. انظر البيان والتبيين،١/٩٧، ٣٤٨.

(٤) الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ١/٩٠.

(٥) أمير تركي، يكنى أبا جعفر، كان مملوكاً لنعيم بن خازم، من كبار القواد، بحيث أن المعتصم جعله في فتح عمورية من بلاد الروم، ولي إمرة مصر اثني عشرة سنة أو نحوها. انظر الوافي بالوفيات، ٩/٢٧٨.

رُدّ جيّـــــــدٌ كمـــــــا كلْـبــــبٌ كنـــــــــــتَ أخَـــــــــذْت

فكتب إليه المعتصم:

الكلـــــب كـــــان يَغْـــرَجُ يَـــومَ الـــــــذي بـــــــه بَعْثْـــــــت

لـــو كـــان جـــاءَ مخبّـــراً خبّـــر رجْــــــــلُ كَلْـــــــب أنـــــــت[1]

إن التفكّه عن طريق المستوى التركيبي، يتم في الغالب في الجمل الفاسدة، أي الجمل التي تخرج في ترتيب مكوناتها، عما هو متعارف عليه في نظامها اللغوي، فتصبح عندئذ لا معنى لها. فتعمّد التخبّط في تركيب الجمل يؤدي أثره الفكاهي، أي أن استشعار التفكّه في تلك الجمل يتم عادة في قياس هذه الجمل المضطربة تركيبياً، فإذا لم يوجد لها مثيل في القياس المعروف، أو لم يكن مطابقاً للتركيب المحدد للجملة، فإن ذلك يكون باعثاً على الإضحاك.

ولكن قد يؤدي تغيير مواقع الكلمات في الجملة إلى تغيّر المعنى، لذلك يُعمد إلى التلاعب في تركيب الجملة لأغراض التفكّه والإضحاك. وقد استثمر ذلك في بعض المجالات الكوميدية، فمثلاً في مسرحية (شاهد ما شفش حاجة)، يبدي عادل إمام انزعاجه من المعجبين به، فيريد أن يقول _مخاطباً المحقّق_: "خاصة اللي بسن أطفال حضرتك"، ولكنه يحوّلها إلى "خاصة الأطفال اللي بسن حضرتك"، لتؤدي أثراً فكاهياً بارزاً.

أما في مجال **الدلالة والمعنى**، فقد يكون للفكاهة أثر في تطور دلالة بعض الألفاظ؛ فالشخص الفكه يخرج أحياناً عن دلالة بعض الألفاظ، لتؤدي معاني فكاهية، أو أغراضاً ساخرة، فتغدو هذه الدلالة الجديدة طريفة، فيأخذها الأفراد، ويعجبون لها. ففي الجانب الفكاهي أو المجال الدعابي تتوسّع الدلالة للألفاظ لتعطي مجالاً أرحب لعنصر الضحك.

---

[1] البيهقي: المحاسن والمساوئ، ٢/١٦٠.

ويُدرس هذا الموضوع في علم الدلالة، بما يسمي بالحقيقة(وهي الدلالة الأصلية للفظ)، والمجاز(وهو خروج معنى اللفظ عما وُضع له)، وقد تحدث في هذا الموضوع إبراهيم أنيس، فرأى أن المجاز يمثّل مظهراً للتطور الدلالي في كل لغة من اللغات، وهو ليس إلا انحرافاً عن ذلك المألوف، وبيّن أن شرطه "أن يثير في ذهن السامع أو القارئ دهشة أو غرابة أو طرافة. وحدود تلك الغرابة أو الطرافة تختلف باختلاف تجارب المرء مع الألفاظ وباختلاف وسطه الاجتماعي أو الثقافي"[١].

فقد يثير الخروج بدلالة الألفاظ إلى المجاز الفكاهة والطرافة، إذا بالغ الشخص في ذلك، مثل قول المعظم عيسى بن الملك العادل[٢]، في صفة مشروب يعالج به داء الذنوب: "شراب مركب نافع، لشاربه يوم الفزع الأكبر شافع، يؤخذ من مستحكم مرير الصبر، وما احلولى من لذيذ الذكر، فيغربلان بغربال التفكر السهري، ويدافان بماء العين النظري، ثم يصفى المجموع بلباب العلم التجردي، ثم يعجن بعسل المحبة الإلهية"[٣].

فالمجاز في الألفاظ قد تصبح موضع سخرية وفكاهة، إذا جاوزت الحدود، وهذا الحكم يكون في الغالب فردياً، لأن الأشخاص يتباينون في الحكم على الألفاظ. أي أن القاعدة: إذا ذكر اللفظ وخطرت نفس الدلالة في الأذهان، دون غرابة أو دهشة، يسمى حقيقة. أما إذا أثار هذا الاستعمال غرابة أو طرافة أو سخرية، فيعد من المجاز[٤].

---

(١) أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ١٢٨-١٢٩.

(٢) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى، ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، صاحب دمشق، كان عالي الهمة حازماً شجاعاً، حنفي المذهب، كان يحب الأدب، مدحه جماعة من الشعراء المجيـدون، ولد بالقاهرة (٥٧٨) وتوفي (٦٢٤هـ) بدمشق. انظر وفيات الأعيان، ٣/٤٩٤-٤٩٦.

(٣) انظر أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ١٢٩.

(٤) انظر أنيس: دلالة الألفاظ، ١٣٠. وانظر في هذا المعنى، برجسون: الضحك، ٨٣-٨٤.

وبسبب المجاز، أو انتقال الكلمة من معناها الحقيقي إلى المجازي، يمكن أن ننشئ ألغازاً متعددة، ويكون هدفها، في الغالب، إضفاء جو من الطرافة، ولغاية التفكّه والترويح عن النفس والتسلية، والابتعاد عن الملل، مثل: ما الذي له لسان ولا يمكن أن يتكلم؟ أو ما الذي له أسنان ولكنه لا يعض؟[1].

من موضوعات علم الدلالة، الترادف اللفظي الذي يعني أن يكون للمعنى الواحد أكثر من لفظ يدل عليه، فهذا يفيد في إعطاء الجمل طابعاً موسيقياً، وقد يفتح مجالاً للتفكّه، خاصة إذا بالغ الفرد في استعماله، وفي بيان دلالة الألفاظ بشكل كبير، ويروى في هذا السياق، أنه وصل إلى ملوك حلب خطاب من أحد وكلائه في أحد السواحل، يخبره بغرق أحد المراكب، وكان نص الخطاب مايلي: "إن سلنديين أي مركبين من مراكب المسلمين أي المؤمنين، قد هلكا أي غرقا، فهلك من فيهما أي ماتوا، فارسم لنا أي أخبرنا ماذا نصنع". فهذا الخطاب على هذه الصورة الفكهة، دفعت بالملك أن كتب إلى رئيس ديوانه، يرد عليه بطريقة ساخرة، فكتب: "جاءنا كتابك أي وصل، ففضضناه أي فتحناه، وعلمنا ما فيه وقرأناه، فأدّب كاتبك أي اصفعه، واستبدل به أي غيّره، والسلام أي انتهى الكتاب"[2].

كما يمكن استغلال ما يسمى بالمشترك اللفظي لغرض التفكّه والسخرية، وخاصة عندما نستعمل كلمة معينة من اسم لتتحول إلى فعل أو العكس، أو من اسم إلى صفة وهكذا. إذ تسهّل المعاني التي يعكسها لفظ واحد من نشوء الفكاهة، عن طريق التورية في هذا اللفظ، حسب الموقف الذي يستخدم فيه، كأن يُستعمل لفظ "يُقال" (من القول) في التورية في شخص "مقال" (من الاستقالة). وقد تستثمر اللهجات في هذه التورية، فنطق بعض الألفاظ بناء على

---

(1) انظر عمر: علم الدلالة، ٢٤١.

(2) الدباغ، إبراهيم: حديث الصومعة، ١٢١.

لهجة المتكلم، تشترك لفظياً مع كلمات أخرى لها معان ثانية مثل، قسم: إسم، وقلم: ألم، وقوس: أوس. وأضاع: أضاء، وعسير وأسير...[١].

فقد يكون للسخرية والتهكم أثر في التطور الدلالي، فالتهكم من صور الفكاهة، ومن المضامين التي تقوم عليه. وقد يكون التضاد في معنى بعض الكلمات، واختلاف دلالة بعض المفردات، نابعاً من عامل التهكم، فرأى إبراهيم أنيس أن الأفراد قد يسلكون مثل هذا المسلك "رغبة في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير، وحبهم للتجديد في الكلام، وإظهار مهاراتهم في تخيّر الكلمات". فيكون التعبير بالشيء عن طريق استخدام كلمة مضادة، لغرض السخرية والتهكم. كأن نقول:"يا عاقل " للمجنون، و "يا فصيح" للمتعثر في نطقه[٢].

وثمة عبارات نستعملها، تكون مناقضة لبعضها في المعنى، ومن ثم تؤدي إلى التفكّه، من ذلك مثلاً، قولنا: "قام قعد" أو "قاعد يركض". فهذه العبارات قد تثير السخرية والضحك في إساءة استعمالها، وتناقض دلالتها.

وقد يؤثر اقتراض الألفاظ من اللغات الأخرى، في نشوء بعض الفكاهات، "ومن النوادر الشائعة في العراق، ما يحكى أن عراقياً قد اصطحب إنجليزيا في جولة بالمدينة،

---

(١) انظر في هذا المجال عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ١٦٢ وما بعدها، والآثار الإيجابية للمشترك اللفظي، ص١٧٦ وما بعدها. وانظرأمثلة مشابهة صفحة (١٨٩) من هذه الدراسة، تحت "الفكاهة وعلم اللغة التقابلي". يشار إلى أن هذا الجانب استثمر في بعض المجالات لأغراض التفكه، ففي مسرحية الأيدي الناعمة لتوفيق الحكيم، يتحاور الدكتور(حمودة) مع (البرنس)، حول المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي بما عرف بـ(المسألة الزنبورية) ووقائعها، ولكن الدكتور أراد أن يفاتح البرنس بزواجه من ابنته(جيهان)، وهنا تتداخل الأحداث بطريقة طريفة، بسبب الاشتراك في بعض الألفاظ مثل: الجواز، والضم... . فالخروج عن الموضوع، مع تشابه الألفاظ ساعد على إبراز التفكّه والطرافة. (انظر الأيدي الناعمة، ١٤٩-١٥٢). كما استغل الحكيم لفظ (الجواز) في مسرحية أخرى وهي (حمار الحكيم)، بالاشتراك مع لفظ آخر وهو "جواز السفر". (انظر حمار الحكيم، ص١٢١).

(٢) انظر أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ٢٠٩- ٢١١. وعمر: علم الدلالة، ٢٠٥-٢٠٦.

وسأله الإنجليزي: ما هذا المبنى؟ فأجاب: والله ما أعرف بالإنجليزية ، لكن اسمه "بالعربي بور هاوس (Power house)[1].

وبعد، فكل ذلك يدل أن المستويات اللغوية جميعاً، يمكن أن تدخل في مجال الفكاهة، كما يمكن أن يكون للفكاهة أثر في بعض القضايا اللغوية، وفي التطور اللغوي.

الفكاهة وفروع علم اللغة التطبيقي

تطوّرت الدراسات اللغوية تطوراً ملحوظاً، فنشأ علم اللغة التطبيقي، بفروعه المختلفة، وغدا لهذا العلم مناهج وأساليب في الدراسة، وتفرّع إلى عدّة علوم كعلم اللغة النفسي والاجتماعي والتاريخي والجغرافي...، وانبثقت عنه فنون متعددة ومجالات متشعّبة.

ويمكن أن نطبّق نتائج بعض هذه الفروع في علم اللغة على الفكاهة، وأن نستثمر نتائجها في إنتاج الفكاهة والإضحاك. وفيما يأتي أبرز فروع علم اللغة، والمجالات المتشعّبة عنه، التي لها علاقة بفن الفكاهة.

الفكاهة وعلم اللغة النفسي:

تعد اللغة من مظاهر السلوك الإنساني، إذ إن "كل شيء في اللغة هو في الأساس نفسي بالإضافة إلى مادتها (الميكانيكية) الآلية مثل التغييرات الصوتية"[2]، واللغة تصوّر الفكر، فهي تدخل في مجال علم النفس، ومن هنا نشأ علم اللغة النفسي. يقول فندريس: "التفكير يسير معتمداً على الأصوات وحتى عندما تكون الأصوات غير منطوقة، لذلك نرى أنفسنا في بعض لحظات التأمل مسوقين بطريقة غير شعورية إلى نطق بعض الكلمات التي

---

(١) أيوب، عبدالرحمن: العربية ولهجاتها، مطابع سجل العرب، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م، ص ٥٩.

(٢) دي سوسير، فرديناند: فصول في علم اللغة العام، ٢٦.

تقابل تفكيرنا، فكأن الفكرة، وقد ثقلت وطأتها على العضو، قد وضعت الآلية في حالة حركة على غير إرادة منها".[١]

يدرس علم اللغة النفسي السلوك اللغوي للفرد، والعمليات النفسية المكتسبة من خلال نظام اللغة والقيام بتنفيذه، فمن مجالاته: الاهتمام باكتساب اللغة، لاسيما في مرحلة الطفولة، وتعلّم اللغة الثانية (الأجنبية)؛ وإنشاء الكلام وفهم الكلام؛ والعلاقة بين اللغة والفكر والمعنى؛ إضافة إلى عيوب الكلام والاضطرابات اللغوية المختلفة.

إن اللغة ظاهرة نفسية عند المتكلم والسامع، فبينما يقوم المتكلم بتنظيم الأفكار وصياغتها وتجسيدها في عبارات، فإن على السامع إدراكها وفهمها، ويسمى هذا في علم اللغة النفسي بـــ (اللغة الانفعالية)، أي "أن الفرد لا يعبر ولا يتكلم ليصوغ أفكاراً فحسب، بل إنه في الواقع يتكلم ليؤثر في غيره ويعبر عن انفعالاته إزاء هذا الموضوع أو ذاك، فالعبارات اللفظية إذن ذات قيم انفعالية معينة"[٢].

إن أغلب المجالات والاهتمامات المتصلة بعلم اللغة النفسي، لها علاقة بالفكاهة؛ فالفكاهة لها دلالات معينة يرمي إليها قائلها أو كاتبها، وهي تعكس تجربة له في حقل معين، أو تصور رأيه في قضية ما، و لها كذلك دلالات نفسية، تحدث عنها بعض الباحثين[٣].

يُعنى علم اللغة النفسي بقضية اكتساب اللغة، أو قدرة الفرد على إدراك العمليات الذهنية على امتلاك اللغة، بصورة تجعله فاعلاً في المجتمع، من خلال اتصاله وتفاهمه مع الآخرين. وأثناء اكتساب هذا الفرد للغة، فقد يكون نطقه للأصوات أو تركيبه للكلمات أو تنظيمه للجمل باعثاً على الطرافة والدعابة.

---

(١) فندريس: اللغة،٩٧.

(٢) عطية، نوال: علم النفس اللغوي، ٣٧.

(٣) انظر مثلا إبراهيم، زكريا: سيكولوجيةالفكاهة،٨ وما بعدها.

فهو يهتم بلغة الطفل، واكتسابه لهذه اللغة. يقول لويس: "الطفل يلعب بالأصوات، وإن منابع الناحية النفسية لمن نفس النوع الذي تنتمي إليه الأشكال الأخرى من لعب الأطفال"[١].

وقد تُتّخذ لغة الطفل، وطريقة نطقه، وتعثره في نطق بعض الأصوات والعبارات موضع طرفة، وسبيلاً إلى التلاعب بألفاظه، فتكون اللغة –في هذا الجانب– ترويحية. وممّن تناول ذلك كثيراً (ابن سودون)، ومن ذلك ما صوّره في رثاء أمه، إذ يقول:

...أقولُ "تمنم" تجي بالأكلِ تُطعمنـــي أقول "إمبو" تجي بالماء تــسقيني...

إنْ صحتُ في ليلة "وىوى" لأسهرها تقول: "هاها" بِهَــزٍّ كــي تنيمنــي[٢]

ويتناول علم اللغة النفسي تعلم اللغة الثانية (الأجنبية)، والعوامل النفسية المؤثرة في هذا المجال، وقد يقع من يتعلم اللغة الأجنبية في أخطاء، تكون موضع تندّر وتفكّه. ويشير كثير من الدارسين إلى هذه الحقيقة[٣].

يبيّن المازني في مقالة ساخرة بعنوان (اللغة العربية بدون معلم)، قصة حدثت معه ملخّصها: أنه وجد كتاباً يحمل هذا العنوان، ولكنه فوجئ بعد شرائه أنه عبارة عن ألفاظ أجنبية وما يقابلها بالعربية، ثم استثمره بصورة طريفة، فافترض أنه (مالطي) وأراد أن يختبر الكتاب واتّخاذه مرشداً له. فقد أراد بداية أن يستقلّ (عربة)، فنادى سائق العربة "أربجي" فقال له: "روه هات أربة"... .

---

(١) لويس: اللغة في المجتمع، ٣٣.

(٢) ابن سودون: ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس، بتحقيق منال محرم عبد الحميد، مطبعة دار الكتب– القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٨٠. وانظر أمثلة أخرى من تناوله للغة الطفل بفكاهة ودعابـــة، ص ١٨١، ٢٤٤ وما بعدها.

(٣) يشير إبراهيم أنيس مثلاً، إلى أن الإنجليز والفرنسيين كانوا يستملحون بعض تلك الأخطاء التي وقعت أثناء نطقهم بلغتهم، ويضحكون لها، ويتخذون منها دعابة وفكاهة. انظر من أسرار اللغة، ٢٠٦. وانظر في هذا المعنى، ماريو باي: أسس علم اللغة، ١٢٤. وخليل، حلمي: مقدمة لدراسة اللغة، ٢٦٧.

وتستمر المقالة بطريقة طريفة، فكلما أراد شيئاً فتح الكتاب ليرشده، وسائق العربة يرشقه بين الحين والآخر بالسباب والشتم، ظاناً أنه لا يفهم لغته، ويحوّر المازني في اللغة ليصدّق السائق أنه غير عربي، وبعد مواقف فكهة، أخبره بقوله: "لا مؤاخذه لقد كنت أمزح"، فحار كيف يعتذر عن شتائمه ولعناته[1].

وقيل إن الأجانب في مصر نالوا مكانة لا يمكن أحد أن يجرؤ على اتهامهم بشيء، وكان مجرد كون المتهم أجنبياً كافياً لغلق الدعوى. فصار بعضهم يتّخذ من لكنة الأجنبي سبيلاً لتبرئة أنفسهم، فيُروى مشهد في ذلك:

-" أنت ضربت الراجل ده بالسكين؟

- لا والنبي يا سيدي القاضي.

- أمال يعني هو اللّي ضرب نفسه؟

- أيوه يا سيدي.

- غريبة ؛ فيه حد يضرب نفسه!! انتَ اسمك أيه؟

- اسمي مخمد خسين"[2].

وجدير بالذكر أن خطأ الأطفال في بعض المستويات اللغوية يكون موضع دعابة وتسلية، ويسبب في الغالب بهجة؛ ذلك أن الطفل يُنظر إليه كمتعلم للغة. وشبيه بهذا من يتعلم لغة أجنبية، فينظر إلى خطئه نظرة دعابة غالباً. أما أخطاء الكبار في لغتهم، فتكون عادة موضع سخرية وتهكم، لأنهم قد تعلموها واكتسبوها، لذا فأخطاؤهم تكون مختلفة عن الصغار والأجانب.

---

(1) انظر المازني، إبراهيم: صندوق الدنيا، مطبعة الترقي- مصر، ط١، ١٩٢٩، ص ٥٥- ٥٨.

(2) انظر القشطيني: سجل الفكاهة العربية، ٤٢.

استغل (نجيب محفوظ) هذه الرؤية، في بعض رواياته، ففي (القاهرة الجديدة) يذهب "محجوب عبدالدايم" إلى "إكرام نيروز" للتعرف عليها، ولتساعده في وظيفة، فوجد صديقه أحمد بدير هناك، وكان ذلك في حفلة خيرية أقامتها. وعندما ظهرت، وبدأت بإلقاء كلمة الافتتاح....، وقد" ألقت كلماتها بالعربية، فلم تنجو كلمة من خطأ نحوي أو لحن، وتبادل الصاحبان الابتسام، وقال أحمد:

- لا تحزن، فالدار خالية ممن قد يفطن إلى الخطأ، فقال محجوب كالمعتذر:
- مغفور لها الخطأ، أليست تخطب بلغة أجنبية[1] ".

وتدخل عيوب النطق والاضطرابات اللغوية المختلفة في مجال علم اللغة النفسي، كاللثغة والفأفأة والتأتأة والحُبسة وغيرها، وكذلك زلات اللسان المتعددة. صحيح أن بعض هذه العيوب تنشأ عن عجز لغوي، ولكنها قد تكون ناتجة عن عوامل نفسية كالخوف أو الخجل أو السرعة أو التردد.

وقد أسهب الجاحظ في الحديث عن هذه العيوب، ورأى أنها تمنع من البيان وتحول دون الفصاحة والفهم أحياناً، وقد تؤدي إلى التفكّه عند سامعها، فيروى أن شَوْشَي صاحب خالد الأموي اجتمعت فيه لثغتان في حرفين، فكان يجعل اللام ياء والراء ياء. قال مرة: "موياي وبي أيّي.يريد مولاي ولي الري"[2].

---

[1] محفوظ، نجيب: القاهرة الجديدة، ٩٣.

[2] انظر الجاحظ: البيات والتبيين، ٣٤/١- ٣٧.

ربما يفهم شخص ما قاله (شوشي) وأمثال ذلك، ولكن "عملية الاتصال لا يكفي فيها مجرد فهم السامع كلام المتكلم الحافل باللحن والأخطاء والتعبيرات الأجنبية، إذ ليست المسألة هي الفهم وحده، وإنما الأثر النفسي الذي يحدثه مثل هذا الكلام على المستمع"[١].

تنبع الأخطاء الكلامية من ظروف وعوامل متعددة، كالتردد أو السرعة أو التوقع والتهيؤ لنطق صوت آخر أو كلمة أخرى، أو الاتباع والقلب المكاني، فثمة مرحلتان للنطق أو التعبير أولهما التخطيط ثم التنفيذ، فقد يكون الخطأ ناجماً عن التردد أو التوقع والتهيؤ، فنقول: سمس و شمش بدلاً من (شمس)، أو وزير الرؤساء ووزراء الرئيس بدلا من (رئيس الوزراء) أو نقول: التقييم والقيام بدلاً من (التقييم والقياس)[٢].

ولا يخفى ما يمكن أن تسببه هذه الأخطاء من سخرية أو طرافة وفكاهة. يقول داود عبده- معلّقاً على مثل هذه الأخطاء-: "إن تعليمات الدماغ لأعضاء النطق تشمل أدق التفصيلات للفظ العبارات، فهي تشمل الكلمات التي تتألف منها كل مقطع، بل إنها تشمل كذلك الملامح المميزة لكل صوت...". ويرى أن هذه الأخطاء تدل على "أن تعليمات الدماغ لأعضاء النطق لا تصدر بطريقة تسلسلية صوتاً بعد صوت إذ لو كان الأمر كذلك لما كان هناك مجال لتبادل الأصوات أو الملامح المميزة، ولو كانت التعليمات تصدر لنطق كل كلمة على حدة لما كان هناك مجال لتبادل موقعي كلمتين مختلفتين".[٣]

ويؤكد بعض الدارسين أن الأخطاء في النطق تكون لعلة نفسية محضة، والدليل على ذلك أن "الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات

---

(١) محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ٩٧.

(٢) انظر عبده، داود: دراسات في علم اللغة النفسي، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤، ص ٤٨.

(٣) عبده : دراسات في علم اللغة النفسي، ص٥٠.

الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينة بعد حصوله بمدة قصيرة، وهنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة"[١].

اتخذت تلك الأخطاء وأمثالها من العيوب النطقية،في مجالات متعددة كالمدح مثلاً، يقول ابن خميس في مدح الوزير ابن الحكيم[٢]:

...وكم أرجفوا غيظاً فم أرجئوا ... فيكذب إرجاف ويصدق إرجاء

يردّدها عُيّابها الدهر مثلما ... يُردِّد حرف الفاء في النطق فأفاء [٣]

ويقول المتنبي مادحاً أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي، ويذكر إيقاعه بقبائل العرب سنة(٣٤٤هـ):

قُشَيْرٌ وبَلْعَجلانِ فيها خَفِيّةٌ ... كَرَاءيْنِ في أَلْفَاظِ أَلْثَغَ ناطِقِ[٤]

واستغلت هذه العيوب النطقية في بعض النصوص الفكاهية، فكانت مصدراً لكتّاب الفكاهة والإضحاك، إذ تزخر بعض المسرحيات بهذه الأخطاء، ففي (مسرحية العليل) ليعقوب صنوع، يظهر (الياس) كشخصية تنطق بصورة مثيرة للضحك والتفكه، فهو يدخل على (سعد)

---

(١) برجستراسر: التطور النحوي، ٢١.

(٢) ابن خميس هو أبو عبدالله محمد بن عمر الحَجري، عارف بالنحو واللغة وبالمعارف القديمة، شاعر مجيد وحافظ لأشعار العرب وأخبارهم، جمع شعره ودونه أبو عبدالله بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه "الدر النفيس في شعر ابن خميس، (ت٧٠٨هـ). أما الوزير ابن الحكيم فهو أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن الخميس، من أهل رندة، الكاتب الأديب البليغ الشهير الذكر بالأندلس، كان علماً في الفضيلة ومكارم الأخلاق، (ت٧٠٨هـ). انظر أزهار الرياض، ٢٩٥/٢، ٣٤٣.

(٣) التلمساني: أزهار الرياض، ٣٣٨/٢.

(٤) المتنبي: الديوان،٣٢٤/٢. (قشير وبلعجلان : ابنا كعب بن ربيعة، وهما قبيلتان معروفتان) أي أن هذه القبائل خفيتا عندما هربت بين يدي أبي الفرج.

ويقول له: "ص. ص.صا .صا. با. بابا. با" فيردّ عليه سعد: "ها بقا المرحوم بابا مات صبابا وحضرتك انقهرت عليه وتشوشت وجيت تطيب هنا". فيقول (الياس): "لا. لا. صا. صا . صا بابا. بابا ح الخير صباح الخير". ويجري المشهد على هذه الصورة الطريفة[١].

فقد اتخذ (صنوع) من تأتأة (الياس)، مادة للفكاهة والإضحاك. وتزخر مسرحية (شاهد ما شفش حاجة) للفنان الكوميدي عادل إمام بعدد من تلك الأخطاء النفسية، وزلات اللسان، فاستثمرت لإدخال عامل الضحك، ومنها: "خس فشرها كويش" أي: (خش فسرها كويس)، وقوله"رقاشة" بدلاً من: (رقاصة)، وكذلك "لما عرف إنها بتحب مطوى ضربها بواحد تاني" أي: (لما عرف إنها بتحب واحد ثاني ضربها بالمطوى). وعندما قيل له "اسمك بالباء أم بالنون؟ "أي هل هو عبد البصير أم عبد النصير أجاب: "بالبون".

ويرى داود عبده أن مثل هذه الأخطاء "تقع ضمن ظاهرة لغوية نفسية واحدة تسمى (التوقّع)، فالمتكلّم يخطّط للفظ كلمة معينة أو مجموعة من الكلمات، ولكنه يخطئ عند التنفيذ. ففي الوقت الذي ينطق المتكلم كلمة ما، يكون قد هيأ نفسه للفظ عدة كلمات تليها، فيحدث أن يلفظ بعض هذه الكلمات أو بعض أصواتها، وقبل أن يأتي موقعها الصحيح، فيحل بعضها محل بعضها الآخر"[٢].

قد يؤدي الانحراف في طريقه النطق إلى الفكاهة، وربما يكون لعامل الشيخوخة والكبر أثراً في مثل هذا النطق، كالارتعاش في الكلام، الناتج عن اضطراب في أعضاء النطق، ومما يروى في ذلك أن أحدهم أراد أن "يصور كبر سنه وما أصابه من رجفة الشيخوخة، فألف هذا البيت، وهو من قطعة فكهة طويلة:

---

(١) انظر نجم، محمد يوسف: المسرح العربي/ دراسات ونصوص (يعقوب صنوع)، دار الثقافة- بيروت، ١٩٦٣، ص ٥٥-٦٦.

(٢) عبده، داود: دراسات في علم اللغة النفسي، ١٠١.

قـــد كَبِــرْ بِــرْ بِيِــرْ بِيِــرْ   ـتُ وعقلـــــــي إلـــــــى وراء[1]

الفكاهة وعلم اللغة الاجتماعي:

يعرّف علم اللغة الاجتماعي بأنه "دراسة اللغة في علاقتها بـــالمجتمع"، أي أن للغـــة وظيفة اجتماعية، تقوم على "البحث في الكيفيات التي تتعامل بها اللغة مع المجتمع إنه ينظـــر في التعبيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مـــع بيـــان هـــذه الوظائف وتحديدها"[2].

ثمة صلة بين علم اللغة الاجتماعي ونظرياته والفكاهة، لا سيما فيما يتعلق بالـــسخرية والسياق ومراعاة الحال...، إذ يمكن وصف المتقعّرين الذي يتخذون لغة "معيارية" للحـــديث، دون مراعاة للطبقات الاجتماعية بأنهم "لا اجتماعيين" لغوياً، ذلك أنهم لم يراعوا عنصراً هاماً من عناصر التفاهم والتواصل وهو (العنصر الاجتماعي).

ينبغي في تناول اللغة في المجتمع أن تُراعى أوضاع المخاطبين وثقافتهم وطبقـــاتهم، وأن يُخاطَب كل بما يوافقه. فلا تكلّف للغة، ولا تصنّع فيها، وإلاّ كان الكـــلام خارجـــاً عـــن الإطار الاجتماعي للغة. وقد ورد كثير من الفكاهات حول هذا المضمون فيروى أن أبا علقمة النحوي قال لجارية، كان يهواها: "يا خريدة، إخالك عروباً فما بالنا نَمِقُك وتشنئينا؟ فقالت: ما رأيت أحداً يحب أحداً ويشتمه سواك"[3].

---

(1) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ٣٤.

(2) بشر، كمال: علم اللغة الاجتماعي، ٤٧.

(3) الحصري: جمع الجواهر، ٢٢٥. (والخريدة: الناعمة. العروب: المتحببة إلى زوجها. نمقـــك: نحبّـــك، وتشنئينا: تبغضينا.)

ومما يروى في هذا السياق، أن الشيخ حمزة فتح الله المفتش في المدارس المـصرية، "قدم من رحلة تفتيشية له في مدارس الأقاليم، فلما انتهى إلى فناء المحطة، نظر حوله لعله يجد رجلاً يحمله على حماره إلى بيته، فبصر برجل يجرّ خلفه حماراً، فناداه: أيها المكاريّ. فقال الرجل: نعم. فقال الشيخ حمزة: ايتني بأتان جَمَزَى! فظن الرجل أنه يتكلّم بلغة أجنبية. فقرب منه وجعل يستطلع جلية ما يريد، حتى أخذ منه الجهد، ولم يحظ منه بطائـل. وهنـا حلّـت العقوبة بالشيخ حمزة؛ إذ تركه صاحب الحمار، وذهب لحال سبيله، وهرول الشيخ إلى بيتـه يقول:

مـشيناها خطـى كتبـت علينـا   ومن كتبت عليـه خطـى مـشاها[1]

وجدير بالذكر أن بعض الشعراء راعوا مثل هذا الجانب في أشعارهم، إذ قيل لبـشار ابن برد: "إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت، فقال: وما ذاك؟ قيل: بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا مـا غَـضِبْنا غَـضْبَةً مُـضَرِيّةً   هتَكْنا حِجَابَ الشَمْسِ أو تُمْطِرَ الـدما

إذا مـا أعَرْنـا سـيّداً مـن قبيلـةٍ   ذُرَى منبـر صـلّى علينـا وسَـلّما

تقول:

ربابـةُ ربّـةُ البيـتِ   تـصبُّ الخَـلّ فـي الزيـتِ

لهـا عـشْرُ دجاجـاتٍ   وديـكٌ حَـسَنُ الـصوتِ

فقال: لكلٍّ وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جاريتي، فهذا عندها من قولي، أحسن من *قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل* عندك" [2].

---

(١) حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، ٦٧.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٦٢- ١٦٣.

إذن لكل طبقة كلام معين، ويجب أن يُراعى هذا في الكلام اليومي، وإن عدم مراعاة المخاطب وحاله وثقافته في مخاطبته، تكون مدعاة للسخرية. وقد تؤدي بعض عيوب النطق والكلام إلى تلك السخرية والتفكّه، وذلك لأسباب اجتماعية. وقد أسقط واصل بن عطاء(ت١٨١هـ) الراء من جميع كلامه، للثغة التي كانت بالراء. إن صنيعه ذاك، لم يكن لأسباب لغوية، بل لعوامل اجتماعية، منها أنه كان خطيباً، فرأى أن هذه اللثغة يمكن أن تؤثر سلبياً في خطبائه[1].

يؤكد الجاحظ ذلك، فذهب إلى أن اللثغة واللكنة مثلاً، تمنعان من البيان، إذ يقول: "من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب، كله سواء وكله بياناً. وكيف يكون ذلك كله بياناً؟ ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه، ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا"[2].

وقد تُتخذ اللثغة لغرض التفكّه، كأن يُطالب شخص ألثغ بالراء مثلاً، أن ينطق جملة تحوي هذا الصوت في كثير من كلماتها، مثل: أمر أمير الأمراء بحفر بئر في الصحراء، فالتفكّه في هذه الحالة يكون لعوامل اجتماعية.

ذلك يعني أن الصواب اللغوي ليس شرطاً في تحقّق الإفهام، بل إن ما يتوافق مع متطلبات العرف اللغوي للجماعة التي ينتمي إليها المتكلم، له أهمية لا تُنكر، فلو قال شخص

---

(١) انظر الجاحظ: البيان والتبيين،١/١٤-١٧. والأصفهاني: الأغاني، ٣/١٤٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٦٢.

(بثم الله) أو (الثلام عليكم)، وغير ذلك من اللثغات، لفهمنا مقصده ولتحقق الإفهام، ولكن من حيث النطق والغرض فإنه لا يتحقق[1].

ويتناول علم اللغة الاجتماعي اللغة في سياقها الاجتماعي، فالفرد في المجتمع قد يسخر من شخص يتحدث لغته ولا يتقنها. فيروى مثلاً أن شاكر خوري صاحب كتاب (مجمع المسرات) قد "انفجر" من الضحك أثناء العبادة في إحدى الكنائس، وذلك عندما سمع أحد المبشرين الأوربيين الذي وفدوا إلى سوريا ولبنان للتبشير بالدين المسيحي، فأثناء نطق القس الفرنسي بالدعاء التقليدي، أورده باللغة العربية المستعجمة، مما دفع (الخوري) إلى الضحك الشديد، فدعاهم ذلك إلى إخراجه من الكنيسة أكثر من مرة بسبب ذلك[2].

نعم، قد نفهم من شخص أجنبي يتحدث لغتنا ويخطئ في نطق بعض الأصوات أو في بنية الكلمات أو في تركيب بعض الجمل، ولكن رفضنا لمثل هذا النطق، أو سخريتنا منه، يكون غالباً لعوامل اجتماعية. وهذا يدل على أن اللغة لا تقتصر على التفاهم. ويؤكد يسبرسن ذلك بقوله -معرّفاً الصواب اللغوي-: "إن الصواب ليس مجرد كون الكلام صالحاً للإفهام، لأن الإفهام أمر قد يتحقق دون تحقق الصواب اللغوي"[3].

كما يعد التكلم بمفردات أجنبية والمبالغة في ذلك، بجوار التحدث باللغة الأم مستكرهاً، وربما بسبب التفكّه والتندّر والسخرية والتهكم، فهذا أحدهم يقول ساخراً في ذلك:

الشمس طلعت صح النوم	**والساعة بالعربي عشرة...**
"بونو سوار" صارت بالكوم	**أما السلام أمره على الله**
وعمتك "جد نايت" اليوم	**شمس وحفّض باسم الله**

---

(١) انظر يسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع، ١٣٣- ١٣٤.

(٢) انظر القشطيني: سجل الفكاهة العربية، ٤٠.

(٣) يسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع،١٧. وانظر السعران: اللغة والمجتمع، ١٧.

الوقـــت ده وقـــت "البـــردون" وادى "البردول" لحقـه فـي كعبـه

وخـــدلى بالـــك كلمـــة "جـــون" وابـــن الحـــرام حـــسبه ربـــه...[1]

تُتّخذ الفكاهة سلاحاً يواجه به الأعداء. وقد تكون اللغة إحدى تلك الأسلحة لأغـراض السخرية، ومن الأمثلة على ذلك أن يعقوب صنوع (أبو نضارة) مثلاً قد استهزأ بالإنجليز إبّان حملة الجنرال (جوردن) على السودان، فنظم قصيدة، زجلية، اعتمدت سخريتها على تضمين عبارات إنجليزية، فيقول:

يـــا مـــا أحلـــى الإنجليزيـــة أم عين زرقـا وشـعر أصـفر....

شـــفتها امبـــارح يـــا اســـيادي مـــا كـــانش حولهـــا انكليـــز

فقلـــت لهـــا يـــا مـــاي ليـــدي جـف مـي اكـيس اف يـو بليـز

أنـــا فـــي عرضـــك وان كـــيس قالـــت جـــو يـــو بلـــودي فـــول

بـــلا فـــول بـــلا شـــعير مـــا تتبغـــدنيش علـــي [2]

ومن الجوانب الاجتماعية للغة اللهجات المحلية، وبما أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فمن الطبيعي أن تكون لتلك اللغة طبقات، تماماً كما هي الطبقات الاجتماعيـة. يقـول الجـاحظ: "الوحشي من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس، كمايفهم السوقي رطانة السوقيّ. وكلام النـاس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات[3].

---

(1) ضيف، شوقي: الفكاهة في مصر، ١٥٠- ١٥٢.

(2) القشطيني: سجل الفكاهة العربية، ٤٢.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٤٤. وانظر في هذا المعنى، ماريو باي: أسس علم اللغة، ٧٠.

فكل طبقة تتكلم بلغة أو بلهجة خاصة بها، لها مصطلحاتها وأساليبها ونظمها. فاللهجة تعرّف بأنها "طريقة من طرق الأداء اللغوي يتوخّاها المتكلم في ظل حالة اجتماعية خاصة"[١].

ثمة علاقة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، وتمثّل الفكاهة واللغة تجسيداً لتلك العلاقة. وقد تحدّث بعض الدارسين عن الدلالة الاجتماعية للفكاهة والضحك، فرأى زكريا إبراهيم أن النكت والدعابات الهزلية مرتبطة بعادات المجتمع الذي تنشأ فيه، وبأفكار القوم الذي تدور حولهم[٢]. فالضحك يُواجه به من يخرج على قوانين الجماعة وسلوكها، فهي أداة تأديبية، كما أنها تتُخذ من الطبقات الاجتماعية لمواجهة الطبقات الأخرى في المجتمع.

أشار كثير من الباحثين إلى الحقيقة الاجتماعية للغة، ورأوا أن اللغة تؤدي دوراً ذا أهمية في الجماعة الاجتماعية[٣]، كما أكد كثير من الدارسين أن اللغة لا تقتصر على توصيل الفكر، بل تستخدم أيضاً، في كثير من الأحيان للتنفيس، والتلاعب بالألفاظ، ووسيلة للهو والتسلية والانتشاء والسرور[٤].

إذن، تعد الفكاهة وسيلة من وسائل اتصال الفرد بالمجتمع، أو وسيلة لتصوير ما يراه في المجتمع، فيُتّخذ من المعاني الفكهة أو الأساليب الفكاهية وسيلة لتلبية أهدافه، وكثيراً ما تتضمن هذه الوسيلة أموراً لغوية.

---

(١) حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية. ١٧٧.

(٢) انظر إبرهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة، ٧٦ وما بعدها.

(٣) انظر مثلاً، دي سوسير: فصول في علم اللغة العام، ٢٦. وفندريس: اللغة، ٣٠٢- ٣٠٤. ويسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع، ١١. وعلي وافي: اللغة والمجتمع، ٣-٤.

(٤) انظر مثلا: يسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ١٥ ولويس: اللغة في المجتمع، ٣٣. وأنيس: دلالة الألفاظ، ٣٦، ٩٣-٩٤. والسعران: اللغة والمجتمع، ١٨، ٢٢.

يجب أن نقر أن "اللهجة أولاً وقبل كل شيء كيان لغوي، وحتى عندما نحسب حساب الظروف الخارجية في تكوين اللهجات يبقى أن هذه الظروف تستند جوهرياً إلى التطور الطبيعي لعناصر اللغة"[١].

فتحت الفكاهة نافذة، نطلّ بها على جانب من جوانب اللهجات التي كانت سائدة في عصور سابقة، وكذلك على اللهجات الحديثة. فهذه ميّزة في الفكاهة، ذلك أنها لا تتكلّف الفصحى، كما هي أغلب فروع المعرفة الأخرى، فقد كانت لغة الكتابة والتأليف تتكلف -ولا تزال- الفصحى أو بما يسمى بالنموذجية أو الأدبية.

الفكاهة تروى غالباً كما هي، فتكشف عن بعض خصائص اللغة التي رُويت بها؛ لذا فربما نستطيع الإلمام ببعض الخصائص اللغوية التي صورتها الفكاهة. وكتب التراث مليئة بهذا الفن، فلعلها كافية لاستخلاص نتائج يمكن الأخذ بها، والارتياح إليها؛ فالفكاهة، بهذا الفهم، جديرة بالعناية والاهتمام.

ساعدت بعض الآراء التي نادت بالحفاظ على الفكاهة والنادرة كما قيلت، على إبراز كثير من اللهجات. وفي مقدمة من نادوا بذلك الجاحظ وابن عبد ربه والحصري والحريري وغيرهم[٢].

وردت عدد من هذه اللهجات في بعض الأقوال الطريفة والمواقف الظريفة، فيروى أن المازني(ت٢٤٩هـ) عندما مَثُل بين يدي الواثق بالله(ت٢٣٢هـ)، وقال الواثق له: ممّن الرجل؟ قال المازني: من بني مازن. فقال الواثق : أيُ الموازن ؟ أمازن تميم، أم مازن قيس،

---

(١) فندريس: اللغة، ٣٢٧.

(٢) انظرص ١٧- ١٨، من هذه الدراسة.

أم مازن ربيعة؟ فأجابه: من مازن ربيعة. فكلّمه عندها الواثق: بكلام قومه، قائلاً:باسمك؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميماً، إذا كانت في أول الأسماء، فكرِه المازني عندها أن يجيبه على لغة قومه لئلا يواجهه بالمكر، فقال: بكر يا أمير المؤمنين. ففطن الواثق لما قصده وأعجب به[1].

فمثل هذا الموقف الطريف يبرز لنا لهجة من اللهجات التي كانت سائدة، وهي لهجة بني مازن المتمثلة بإبدال الباء ميماً.

وأتاحت الفكاهة كذلك التعرف على اللهجة المسماة بـ(التلتلة)، وهي "تلتلة بهراء، فإنهم يقولون: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون بكسر أوائل الحروف"[2].فالتلتلة هي كسر حرف المضارعة، ونجد هذه اللهجة في فكاهة في مجلس عبد الملك بن مروان، ودارت بين الشعبي وليلى الأخيلية، وكانت ممّن تتكلم بهذه اللهجة. فضحك الشعبي منها، من خلال هذه اللهجة[3].

كما أورد الزمخشري في مقامته (مقامة النحو) قوله: "وقف لربك عن العمل الصعب الشديد، كما تقف بنو تميم على التشديد"[4]، فبنو تميم يقفون على التشديد، نحو قولهم في خرج:خرجّ، وفي خالد:خالدّ. فالزمخشري أشار إلى هذه اللهجة من خلال هذا القول الطريف في مقامته. أضف إلى ذلك، فقد كان النبط مثلاً يلهجون بلهجات عربية، كما يرى بعض الدارسين[5]، وقد أبرز الجاحظ لهجتهم هذه، من خلال كثير من النوادر والفكاهات حولهم[6].

---

(1) انظر الحريري: درة الغواص، ٩٦- ٩٧. وانظر بعض المواقف الطريفة التي أبرزت عدداً من اللهجات، الحصري: جمع الجواهر، ٢٠.

(2) ابن جني: الخصائص، ١١/٢. وانظر سيبويه: الكتاب، ٤/ ١١٠.

(3) انظر هذه الفكاهة، وهي فاحشة. الحريري: درّة الغواص، ٢٥٠. والعاملي: الكشكول، ٢/ ٢٩٦، ٣٦٣/١. والأندلسي: حدائق الأزاهر، ٢١٧.

(4) الزمخشري: مقامات الزمخشري، ٢٢١.

(5) انظر ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ١٣٦.

(6) انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٢/١- ٧٤.

إذن، فاللجهات القديمة وردت في بعض المواطن من كتب التراث، ولعل الفكاهة هي التي حافظت على تلك اللجهات، كما قيلت. وربما نستطيع أن نحافظ على لهجاتنا الحديثة بالأسلوب نفسه، أي من خلال تدوين الفكاهات المختلفة المعاصرة.

تنبّه بعض المؤلفين إلى هذه الفكرة؛ فدوّن بعضهم فكاهات ونسبوها إلى فئة معينة، كما فعل زيد بن على عفان في كتابه(اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية)، ورأى أن "الأمثال والنكت مرآة صادقة في تجارب كل المجتمعات، وفي كل زمان ومكان. والحكايات والمحادثات تؤكد بالأمثال في كل مناسبة، وقد تأتي في الحديث بدون تفكير كثير، وكأنها جزء من الكلام، يستشهد بها المتكلم في معظم حديثه"[١]، ويؤكد المؤلف "عدم إهمال اللغات الدارجة في المحادثات، لأن ذلك ضياع للغتنا."[٢]

كان مجال دراسة هذا الكتاب لغة اليمن، وقد بدأ مؤلفه بدراسة الأمثال، التي زادت عن الألف مثلاً، وكان أحياناً يُتبعها ببعض الحوادث والحكايات، وببعض النكت والطرائف، المشتملة على بعض اللهجات، فذكرها دون تحوير. ويُروي أن أحدهم قال لمعشوقته: "أنا بين أبسر الدنيا كلها في عينش فقال له آخر: أرجوك أبسر أين حماري، فقد ضاع قبل يومين[٣]".

فمثل هذه النادرة تصوّر بعض اللهجات اليمانية، كما تبرز لهجة كانت سائدة قديماً وهي كشكشة ربيعة[٤].

ووردت في بعض النكت لهجة(الطمطمانية)، وهي إبدال لام التعريف ميماً في لهجات قبائل اليمن، ومن الأمثلة علية قول الرسول ﷺ " ليس من امْ بِر امْ صيام امْ سفر". فقد روى

---

(١) عفان، زيد بن علي: اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية، مطبعة السعادة، ١٩٨٠م، ص ٣.

(٢) المرجع نفسه: ٧.

(٣) المرجع نفسه: ٧٣.

(٤) كشكشة ربيعة: لهجة تُلحق شيناً بكاف المؤنث، في حالة الوقف. انظر ابن جني: الخصائص ،١١/٢.

المؤلف أن واحداً "تصيد ربحاً قريب عيد عرفة، وعندما سحبه أربق وزبلط، فقال: والله لو زد فعلت ما فعلت يا احمر أمْ جحر إن قدك عيد ام جَهَال"[1]. وجدير بالذكر، أن كلمة (امبارح) المستخدمة في لهجاتنا للدلالة على (أمس)، قد تكون من هذه اللهجة، أي أنها تدل على (البارحة).

نعم، قد نستطيع الحفاظ على لهجاتنا المعاصرة، ورسم صورة لها، من خلال تدوين الفكاهات المختلفة، والحفاظ على هيئتها، كما تُروى. وقد احتذى هذا الحذو بعض المؤلفين؛ إذ صنف أبو عمر فاروق أبو جابر كتاب (اللهجة السلطية في النكت الأردنية)، وأراد بذلك، أن يدوّن لهجة أهل السلط ويبرزها، من خلال النوادر التي تُقال عنهم، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: "أردت أن أدون مرحلة من مراحل يمر بها المجتمع العربي الأردني في هذا الزمن"[2]. ويعد مثل هذا الكتاب سجلاً تاريخياً للهجة السلط التي عكستها النكتة والفكاهة[3].

إن التفكّه المتأتي من اختلاف اللهجات، يكمن في الغرابة التي يسببها نطق بعض الأصوات أو استخدام بعض الألفاظ والمفردات، أو في تركيب الجمل، فاختلافها من شخص إلى شخص آخر يكون بناء على لهجته، أو تأثراً بلهجة المنطقة التي يقطنها، وربما تكون سبباً في التندّر، وقد تُتّخذ سبيلاً إلى الطرفة أو النادرة.

---

(1) عفان: اللهجة اليمانية، ٥٦.

(2) أبو جابر، فاروق: اللهجة السلطية في النكات الأردنية، عمان، ١٩٩٢، ص ٧.

(3) انظر أمثلة لتلك النوادر في المرجع نفسه: ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٦٥.

يروي طه حسين مثلاً أن شيخاً كان يعيد طوال الدرس كلمة(فاهم يا أدع) فأخذ" يسأل نفسه عن(الأدع) هذا ما هو. حتى إذا انصرف من الدرس، سأل أخاه: ما الأدع؟ فقهقه أخوه، وقال:" الأدع" الجدع، في لغة الشيخ."[1]

وربما يحدث هذا التفكّه من تقليد اللهجات، ويروى مثلاً أن حسين شفيق المصري كان يجيد تقليد بعض اللهجات، كالسورية والصعيدية والسودانية وغيرها، فكان ذلك مدعاة للفكاهة، وكانت شخصيته شخصية طريفة[2].

إن اختلاف اللهجات لا يكون تبعاً للمنطقة الجغرافية فحسب، بل قد تختلف كذلك بناء على المكانة الاجتماعية أو الطبقية، فلهجة المثقفين تختلف عن لهجة العوام، أضف إلى ذلك فقد تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء، ولهجة الشيوخ عن لهجة الأطفال، وبعبارة أخرى فكما أن "اللغة علامة فردية مميزة، فهي كذلك علامة (طبقية) مميزة"[3].

إن استخدام أي من هذه الطبقات للهجة مقابله؛ قد تكون باعثاً على التفكّه، وكثيراً ما يكون نطق الرجل كما تنطق النساء موضع تهكم وسخرية.

إذن، فيدل على أهمية اللهجات عند الأفراد الذين يتكلمونها وينطقون بها، أن اللهجات الأخرى تقابل بالسخرية، كما أن تقليد الفرد للهجة ثانية أو التحدث بها، قد يكون موضع سخرية وتهكم من الأفراد الذي يتكلمون لهجته. بل قيل، مثلاً: إن "بعض جهات الصعيد يقولون لأبنائهم: إن من يغيّر لهجته كمن يغيّر دينه"[4].

---

(١) حسين، طه: الأيام، ١/ ١٤٤.

(٢) انظر مجلة الهلال: ع ٨، سنة ٨٢، ١٩٤٧م، ص ٤٨– ٤٩.

(٣) السعران، محمود: اللغة والمجتمع، ٥٨.

(٤) أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ٨٨.

الفكاهة والنظام الخطي (الجرافيمات)

النطق أمر أساسي في اللغة، والكتابة جانب ثانوية فيها، غير أن للكتابة أثراً هاماً وجانباً ضرورياً للحفاظ على اللغة والتراث، فهي تجسيد للنطق، وتوثيق له. وعلى الرغم من أن النطق هو العامل الأبرز في التطور اللغوي، فقد تكون الكتابة كذلك، فهي حافظة للغة، وإذا حدث خطؤ في كتابة مفردة ما، فربما كان ذلك عاملاً في التطور أيضاً.

يهتم علم اللغة باللغة المكتوبة، فالكتابة "تعد من وجهة نظر علم اللغة مفيدة ومضرة في وقت واحد، إنها مفيدة بمقدار ما أمدتنا به من مادة لتلك اللغات التي اختفت من عالم الوجود، وهي مضرة لأنها ليست أمينة دائماً في إعطاء الصورة المنطوقة كما هي، بل ربما خادعة ومضللة"[١]. ويرى دي سوسير أن "الكتابة تسبب الغموض للغة، إنها لا توضح اللغة، ولكنها تسترها وتجعلها غامضة"[٢]. والسبب في ذلك أن "التهجئة (الصورة الكتابية) تؤثر في اللغة وتحورها، وهذا يحدث في اللغات الأدبية الفصحى (الراقية) التي تلعب فيها النصوص دوراً مهماً، وهكذا تقود الصورة المرئية إلى النطق الخاطئ"[٣].

والكتابة لها أهمية في اللغة؛ إذ إن "تمثيل الكلمات المنطوقة برموز كتابية، ينطوي على إدراك ماهيّة المقطع، وذلك في الكتابة المقطعية، وماهية "الصوت" وذلك في الكتابة الألف بائية، وماهية "الكلمة". إنه ينطوي على تجريدها من سلسلة الكلام المنطوق، وينطوي على تحليل هذه السلسلة. وقد أظهرت الكتابة الفرق بين لغة جيل ما ولغة الأجيال السابقة عليه"[٤].

---

(١) ما ريو باي: أسس علم اللغة، ٦٠.

(٢) دي سوسير: فصول في علم اللغة العام. ٦٢.

(٣) المرجع نفسه: ٦٤.

(٤) السعران، محمود: علم اللغة، ٣١٨.

يُعرّف علم اللغة الخطي أو علم الجرافيمات أو الجرافولوجيا بأنه "علم يتناول كافة القواعد المستخدمة في التعبير الخطي أو الكتابي للكلام"(١). فهو يتناول نظم الكتابة المختلفة، ويستخدم وحدة تحليلية تسمى (الجرافيم)، وهي تقابل (الفونيم) كوحدة صوتية على المستوى النطقي. كما أن لكل جرافيم دلالة فونيمية(٢)، أي أن النقطة قد تكون فارقاً بين كلمة وأخرى مثل: (غاب و عاب) و (محاضرة و محاصرة) و (بان و بات).

ترتبط الكتابة بالفكاهة، ويبدو النظام الخطي بارزاً في الفكاهات التراثية، ذلك أننا نحكم عليها كتابة، أي أن النظام الخطي هو الذي يوضّحها، ويبرزها في كثير من الأحيان. وتعد ظاهرة التصحيف من أهم ما يصوّرهُ النظام الخطي، ومن أكثر الظواهر تأثّراً بهذا النظام(٣).

وتعد الرسومات الكاريكاتيرية من المجالات التي تتخذ من الكتابة أثراً في إحداث الفكاهة، فكثيراً ما يعتمد الرسامون الساخرون على الأنظمة الكتابية لإحداث السخرية والإضحاك.

وقد كان للكتابة أثر في نشوء كثير من الفكاهات، وعدد من المواقف الطريفة، فيروى أن القاضي (قيصراده) رئيس المحكمة الناظرة بقضايا مخالفات الغش في بيروت كان "لا يتقن اللغة العربية، ويقرأ بلكنة وصعوبة. وكان يعد الأحكام الشيخ (الفرد الخازن) أحد أعضاء المحكمة. وفي حكم على بائع متهم بالغش في الزبدة، عمد الشيخ الفرد إلى كتابة (الدال) في كلمة زبدة بصورة (الراء)، فأخذ القاضي (قيصراده) يتلو الحكم. ووصل إلى كلمة "زبدة" فلفظها بالراء بدل الدال، فضجت قاعة المحكمة بضحك الحاضرين....، وتكررت لفظة الزبدة

---

(١) محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٠٧.

(٢) انظر المرجع نفسه: ١٧.

(٣) انظر ص (١٠٠-١٠٢) من هذه الدراسة.

كما أرادها الشيخ (الفرد) وتكرر ضحك الحاضرين. عندها سأل القاضي (اده) عن السبب، فاقترب من أذنه الشيخ (الفرد) واضعاً اصبع يده على كلمة زبدة، موشوشاً:

- هيدي زبدي حضرة الرئيس، زبدي مش غيرو، فابتسم قيصر اده قائلاً:

- وليش مطوّل حرف الدال يا شيخ الفرد، مش عاكفو؟"[1].

يسهل تحريف الكلمات، وتشوّهات الحروف في اللغة العربية، لتقارب كثير من حروف العربية من بعضها في الرسم، وقد يكون النقط فارقاً كذلك. وكثيراً ما يؤثر تركيب الحروف ورسمها في استحضار المعنى، وإحداث الأثر الفكاهي الضاحك. فالكتابة هي الجانب البصري للغة، مقابل الجانب الصوتي لها وهو النطق.

الفكاهة والحركة الجسمية (علم الكينات)

ترتبط الحركة الجسمية باللغة، كما تعد الإشارة من الدلالات اللغوية. وقد جعل الجاحظ هذه الإشارة من الدلالات على المعاني فقال: "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط[2]"، كما بيّن أنواع تلك الإشارات، وما تدلّ عليه كالتهديد والوعيد والتحذير وغيرها.

تغني الإشارة عن الكلام أحياناً، وترمز إلى دلالات متعددة، يقول عمر بن أبي ربيعة(ت٩٣هـ) مثلاً:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خَشْيَةَ أَهْلِهَا ... إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيْقَنْتُ أَنّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ: مَرْحَباً ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالحَبِيبِ المُتَيَّمِ[3]

---

(١) حنين، رياض: نكات خازنيّة، مؤسسة نوفل، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص ١٦٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/ ٧٨.

(٣) ابن أبي ربيعة،عمرو: الديوان، ٢٠٤.

وقال آخر:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفي العين غِنًى للمرء أن تنطق أفواه[1]

ذهب بعض الدراسين إلى أن اللغة نشأت وتطورت من نظام الإشارات والحركات، فبنى (كورباليس) نظرية تؤكد هذه الفكرة، إذ يقول: "إن اللغة ربما نبعت من إشارات اليد وليس من الألفاظ الملفوظة"[2]، وبيّن كذلك أن "الإشارات الجسدية شاركت في تقدّم اللغة"[3].

انبثق عن علم اللغة علوم جديدة، ومنها علم الحركة الجسمية، أو ما يسمى بعلم الكينات أو لغة الجسم، وحاول بعض العلماء وضع أبجدية للحركة الجسمية، ذات رموز خاصة، كما فعل (بيردوسل) مبتكر هذا العلم، عام ١٩٥٢م[4].

إن لعلم الحركة الجسمية وحدة أساسية، شبيهة باللغة المنطوقة وهي (الكينيم)، ويندرج تحتها أنواع هي (الألوكينات)، وفقاً للمدة أو الدرجة أو الكثافة، أما الوحدة الحركية ذات المعنى فهي (الكينومورفيم) بتنوّعاته[5]. أضف إلى ذلك فإن "الحركات التي تتضمنها لغة الإشارة لتتأثر بالحركات السابقة كلها واللاحقة بالضبط، كما تتأثر الفوينمات المجاورة. كذلك تعتمد الأشكال التي تتخذها اليد على ما يسبقها ويلحقها في أشكال اليد...." [6]. وأيضاً فإن

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٨/١.وانظر ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٨٢/٢.

(٢) كورباليس : في نشأة اللغة، ترجمة ماجد عمر، سلسلة عالم المعرفة (٣٥٢) المجلس الوطني للثقافة والفنون– الكويت، ٢٠٠٦م، ص ٣٣. وانظر الصفحات ٤٧، ٨٠، ٢١١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٩.

(٤) انظر أبجديته الحركية. محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٧٢. وانظر ص ١٥٩.

(٥) انظر الراجحي، عبده: فصول في علم اللغة، ١٠١.

(٦) كورباليس: في نشأة اللغة، ١٣٩.

للحركة الجسمية قواعد تتفق مع القواعد النحوية للغة، كالوقف والجمل والأفعال بأنواعها، والضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الاستفهام وغيرها من المجالات[1].

إن نظرة فاحصة في حركات الجسم، تكشف أن لكل عضو وظيفة حركية، كما أن لكل من أعضاء النطق وظيفة صوتية، في مجال الألفاظ المنطوقة، فقد تؤدي بعض الأعضاء معنى التهديد أو النداء، أو الإعجاب أو التعجب، أو القبول والرفض، أوالنفي والتأكيد، أو الأمر والنهي، أو السخرية والشتم، أو الفرح والغضب... . ولكن قد تؤدي بعض أعضاء الجسم أكثر من معنى، بتباين تلك الحركات، فالنفي مثلاً قد يُعَبّر عنه بالرأس أو اليد وكذلك القبول وهكذا.

الإشارة والحركة هامة، وقد تحمل معلومات ومعاني لا يستطيع الكلام تصويرها، وكثيراً ما يلجأ الأشخاص إليها، فمثلاً عندما يصطاد شخص سمكة ويريد أن يخبر عن حجمها فإنه يقوم بالإشارة إلى ذلك الحجم[2]. وإذا قام بالمبالغة في الإشارة، لتصوير شيء معروف فإن هذا يكون باعثاً على السخرية والفكاهة.

تستعيض اللغة بالإشارة في كثير من الأحيان، لنقل بعض الأفكار التي لا تستطيع الألفاظ القيام بها، فتكون الإشارة والحركة أبلغ من الكلام. كذلك فقد تكون الحركة الجسمية أبلغ أثراً في الفكاهة من الكلام المنطوق، وحركات المهرجين والحركات البهلوانية لغرض الإضحاك، دليل على ذلك، ومثال على العلاقة بين الفكاهة والحركة الجسمية، فالمهرجون يعتمدون بشكل أساسي على الحركات الجسمية.

---

(١) انظر أمثلة لكل هذه الأنواع وغيرها، محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، ١٧٥، ١٨٢.

(٢) انظر، كورباليس: في نشأة اللغة، ١١٨.

الأصوات والكلام تخاطب السمع، أما الإشارة والحركة فهي تخاطب العين. وبعبارة أخرى، فربما كان الربط بين اللفظ والإشارة محاولة لجعل اللغة صورة مسموعة مرئية أو لجعلها منتجاً صوتياً بصرياً[١].

ربما كانت الحركة الجسمية تابعة لثقافة الفرد ومكانته في المجتمع، وتابعة لصفاته وعاداته؛ فالطالب المبتدئ تختلف حركة أعضائه عن الشخص المثقّف المجرّب، كذلك فالإنسان المتواضع قد تختلف حركاته عن المتكبّر.

بما أن الحركة الجسمية تتباين باختلاف الطبقات الاجتماعية، وباختلاف الجنس (ذكر أو أنثى)[٢]، أو باختلاف المرحلة العمرية (أطفال وشباب وشيوخ)، فقد يكون من الطريف تقليد فئة معينة حركات فئة أو طبقة أخرى، فمثلاً للنساء حركات تختلف عن حركات الرجال، وقد يقلّد الممثّلون حركات النساء، لإحداث الفكاهة، كذلك فقد يقلّد الكبار حركات الأطفال لأغراض الفكاهة والترويح عن النفس[٣].

إذن، الفكاهة في مجال الحركة تتم في الغالب بتقليدها، يقول برجسون: "إن بعض الحركات التي لا يخطر على بالنا أن نضحك منها تغدو مضحكة، إذا قلّدها شخص آخر"[٤].

وقد يُلجأ إلى الإشارة عند تداخل بعض الأفكار أو المواقف، فمثلاً عندما يستطرد شخص في الكلام، ويقوم آخر بمقاطعته، فيلجأ إلى الإشارة ليقول له صبراً أو مهلاً، بضم أصابع يده بحركة علوية ثم الاستمرار في إنزالها، مثل هذه الحركة قد تبدو مضحكة إذا تكررت، بمواصلة مقاطعته.

---

(١) انظر المرجع السابق، ٢١٧.

(٢) انظر محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٨٢. والراجحي، عبده: فصول في علم اللغة، ٩٥.

(٣) انظر محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٨٢، ١٨٣.

(٤) برجسون: الضحك، ٣٢.

وقد تكون الحركة الجسمية مقترنة بالكلام، وفي هذه الحالة فإنها تدلّ على دلالات متعددة. وبما أن تلك الحركات أو الإشارات تُفهم عن بُعد، فقد تعكس مواقف طريفة، وقد تُتّخذ للدعابة أحياناً، كأن نرى شخصاً بعيداً يتحدث إلى شخص آخر، ويحرّك أعضاء جسمه، فنقوم بمحاولة ترجمة ما يقول، اعتماداً على تلك الحركات التي يقوم بها.

وهذا يؤكد ما أشار اليه الجاحظ عندما قال: "مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت"[١]، ويفسر لنا ما قاله برجسون من أن "أوضاع الجسم الإنساني وإشاراته مضحكة على قدر ما يذكرنا هذا الجسم بمجرد آلة"[٢].

وقد أظهرت بعض اللافتات معاني طريفة، لتوضيح أهمية الحركة واقترانها بالكلام، فيقال مثلاً، إن هناك لافتة تعلّق بجوار السائق في الجزائر، تقول: "ممنوع التكلّم مع السائق، إذ إنه يحتاج إلى يديه حين يسوق"[٣].

وربما نرى شخصاً يتحدث إلى شخص عبر الهاتف، أو يكلّم شخصاً لا يرى، ويشير بحركات جسمه، كأنه يراه، فنتخذ مثل هذه المواقف مواضع دعابة وفكاهة. وتعلّق فاطمة محجوب على مثل هذه المواقف بقولها: "هذا مما يثبت أن الحركة الجسمية من ذلك النوع إنما هي غاية في حد ذاتها، وليس الغرض منها إصدار رسالة إلى إنسان آخر....هي في الواقع مجرد متنفس للانفعالات التي تجيش بها نفسه ولا يستطيع أن يكتمها"[٤].

يؤكد ذلك أن للغة الإشارة علاقة بنواح نفسية، ويروي الجاحظ أن أبا شمر (أحد أئمة القدرية المرجئة) كان "إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلّب عينيه، ولم يحرك رأسه

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/ ٧٩.

(٢) برجسون: الضحك، ٣٠.

(٣) محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١٦٣.

(٤) المرجع نفسه، ١٥٩.

حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدْع صخرة، وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك وبالعجز عن بلوغ إرادته"[1].

وتؤدّي بعض المواقف الحركية لأغراض فكاهية كالسخرية والمرح، وحركات الفم يمكن أن تمثّل ذلك خير تمثيل، فقد تكون السخرية بالإشارة، سواء باللسان أو باليد أو بالرأس وغيرها. كما يمكن ملاحظة كثير من الإشارات التي سببتّها الفكاهة في بعض المواقف، وفي بعض الفنون كالمسرحية. ولو تتبعنا عدداً من المواقف التي فيها حركات جسمية، لخرجنا بمفارقات طريفة، كما لو تتبعنا بعض المسرحيات مثلاً، فإننا سنجد كثيراً من المواقف الطريفة الفكهة هي نتيجة لتلك الحركات.

تُستغل الحركة الجسمية كثيراً للإضحاك، وخاصة في المسرح وفي حالات التهريج، بل إن هذه الحركات، أو بما يسمى بلغة الجسد قد "أصبحت لغة للمسرح الحديث ولغة الكوميديا"[2] وقد نصف أحياناً شخصاً أو ممثلاً كوميدياً بأنه "يُضحِك دون أن يتكلم"، دلالة على دعابته الحركية.

الفكاهة وعلم اللغة التقابلي:

يُعنى علم اللغة التقابلي بالمقابلة بين لغتين أو أكثر، من حيث الأصوات والصرف والتركيب والدلالة...، وهذا هو الجانب النظري لهذا العلم. وثمة جانب عملي أو تطبيقي، وهو الإفادة من المقابلة النظرية للوصول إلى أمور هامة، خاصة فيما يتعلّق بتعلّم اللغة الثانية

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/ ٩١.

(2) كرومي، عوني: الخطاب المسرحي، دراسات عن المسرح والجمهور والضحك، دار الشارقة، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١٨٧.

واكتسابها، وما يتصل بالترجمة من لغة إلى أخرى[1]، وتجنّب الأخطاء التي يمكن أن يقع بها متعلّم اللغة الثانية أو المترجم.

فالغرض من هذا العلم "إبراز الفروق بين اللغتين، بحيث يمكن إعداد المادة التعليمية"، أما في مجال الترجمة أو النقل من لغة إلى أخرى، فـ "تتطلب الإلمام بكل مقومات اللغتين من أصوات وتراكيب ومعان ومصطلحات، فمشكلة الترجمة هي أولاً وآخراً مشكلة إيجاد المتعادلات في اللغتين"[2].

إن المقابلة التي ستركز عليها الدراسة هنا، الوحدات الصوتية، وتحديداً المقابلة بين الوحدات الصوتية لكل من اللغتين العربية والانجليزية، ولغرض تعلم اللغة الثانية، وتجنّب الأخطاء في هذا المجال، وأثر الفكاهة في ذلك.

تخلو بعض اللغات من أصوات موجودة في لغات أخرى، يقول الأصمعي: "ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان دال"[3]. فالأجنبي عن لغة ما، يستبدل الأصوات التي لا وجود لها في لغته، بأصوات في لغته، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك، فرأى مثلاً أن "النبطي القحّ يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول زوْرق قال سوْرق، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل"[4].

---

(1) ستقتصر الدراسة في هذا المجال، على غرض اكتساب اللغة الثانية، أما الترجمة فهو يدخل في مجال الدلالة، وقد تناول بعض العلماء والباحثين هذه المشكلات، فتحدث الجاحظ عن شروط المترجم، انظر الحيوان: ١/٧٦-٧٧. وتناول إبراهيم أنيس دور الدلالة في الترجمة، انظر دلالة الألفاظ، ١٦٨-١٨٦. وتحدثت فاطمة محجوب عن أهمية المقابلة في مجال الترجمة، والمشكلات التي تنجم عن اختلاف اللغتين المراد المقابلة بينها، وقد تبدو مضحكة وتتولد عنها فكاهة، انظر: دراسات في علم اللغة، ١-١٢. كما أشار أحمد مختار عمر إلى مشكلات الدلالة في الترجمة، انظر علم الدلالة، ٢٥١-٢٧٠.

(2) محجوب، فاطمة: دراسات في علم اللغة، ١.

(3) الجاحظ:البيان والتبيين، ١/٧٠-٧١.

(4) المرجع نفسه، ١/٧١.

لخّص الجاحظ بعض التبدلات، فالنبطي يحوّل الزاي سيناً، والعين همزة، والحاء هاء، والفارسي يحوّل الجاء هاء، والقاف كافاً، والرومي يبدل الحاء هاء، والخراساني يبدل القاف كافاً، والسندي يغيّر الجيم زاياً والشين سيناً، والصقلّبي يجعل الذال دالاً[1].

يبدو أن الجاحظ تناول هذا الجانب –وهو جانب هام، ويدخل في علم اللغة الحديث– لما فيه من طرافة، ولما يؤديه من فكاهة، فقد أورد كثيراً من المواقف الطريفة، والمواطن الفكاهية، لكل هذه التبدّلات.

تخلو اللغة الانجليزية من أصوات تتوافر في اللغة العربية، كالحاء والخاء، والصاد والضاد، والعين والقاف، لذا فإذا أراد شخص إنجليزي أن ينطق كلمة فيها هذه الأصوات، فإنه يستبدلها بأصوات موجودة في لغته، أي تكون من نفس مخرجها، وتختلف في صفاتها، فالحاء يبدله هاء، والخاء كافاً، والصاد سيناً، والضاد دالاً، والعين همزة، والقاف كافاً، وهكذا.

هذا الاختلاف بين صفتي الأصوات، قد يُخرجه إلى فونيم آخر، ومن ثم فربما يتبعه تغيّر في الدلالة والمعنى، وقد يؤدي إلى السخرية والتفكّه، في كثير من الأحيان.

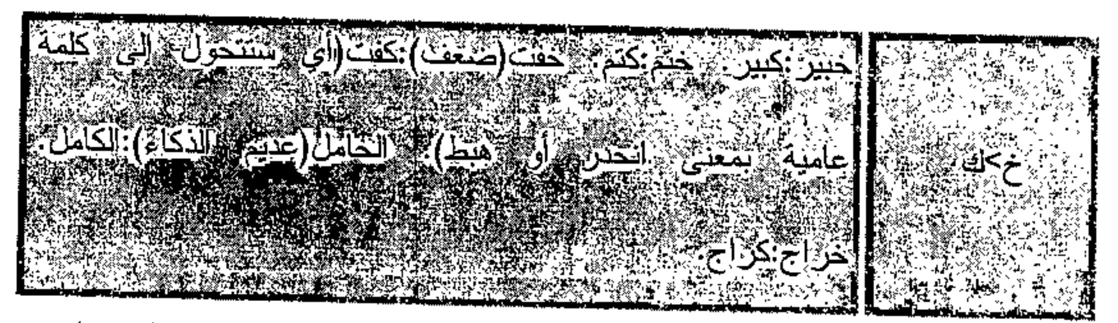
ويشتمل الجدول التالي على أبرز الأصوات العربية وتبدّلاتها، إذا نطقها متكلّم إنجليزي، لأن لغته تخلو منها. ومن ثم ستتغير الدلالة في كثير من تلك التبدّلات:



الصوت ومقابله	أمثلة
ح>هـ	حبّ:هبّ. أحبط:أهبط. حدر(هبط):هدر(اضطرب). حالك:هالك. الحرم:الهرم. حروب:هروب. حان:هان. حوّل:هوّل. حامل:هامل. حامد:هامد. حَجَّ:هَجَّ. حَجَرَ:هَجَرَ. تحكّم: تهكّم.

---

[1] انظر المرجع السابق، ١/٧١-٧٢. وانظر أمثلة طريفة تتبع هذه التبدلات، ١/٣٩ وما بعدها.


خ>ك: خبير:كبير. ختم:كتم. خفت(ضعف):كفت(أي ستتحول إلى كلمة عامية بمعنى انحدر أو هبط). الخامل(عديم الذكاء):الكامل. خراج:كراج.

صار:سار. مصير:مسير. صاحب: ساحب. صاد:ساد. صاعد:ساعد.

ص>س صفير:سفير.


ض>د: ضرم(أضرم النار بمعنى أشعلها):درم(في العامية بمعنى أكل). ضرن:درن(والمدرار:المطر القوي). ضجر(سئم ومل):دجر(الظلام). تضمر:تدمر. ضلال:دلال.

الطرف:الترف. طاب:تاب. طين:تين. طمر:تمر. بطر:بتر.

ط>ت طرح:ترح. طرب:ترب. أطاح:أتاح.

ع>همزة: عسير:أسير. تعفف(تنزه):تأفف(ضجر وسئم). علف:ألف. عمر:أمر. عمل:أمل. عبد:أبد. بروع:برأ. عبرة:إبرة. علم:ألم. عجل:أجل. شاع:شاء. عيد:أيد.

قلب:كلب. قصد:كسد. قلّ:كلّ. قرُب:كرب. بقرة:بكرة. يقبره:يكبره.

ق>ك عقف:عكف. قوْم:كوْم. قاس: كاس. قفاه:كفاه. قادر:كادر. قاد:كاد.

يلاحظ من هذه الأمثلة، أن استبدال الأصوات يؤثر في تغيّر دلالة الكلمات، فالقلب يصبح كلباً، والحرم هرماً، والصفير سفيراً، والصاعد ساعداً، والطرف ترفاً، والعبرة إبرة، والخامل كاملاً، والتعلّق تألّقاً، وهكذا في باقي الكلمات.

ولا يخفى مايمكن أن تسبّبه من فكاهة وطرافة، أو سخرية وتهكّم. وربما تؤدي إلى لبس، إذا لم يستطع السياق التفريق بين الكلمتين، فمثلاً استبدال القاف كافاً، قد يغيّر معنى الجملة كاملة مثل: "قلب الأم كبير"، فتصبح: "كلب الأم كبير".

وإذا أراد إنجليزي أن يبيّن معنى كلمة (control) مثلاً، أي:التحكّم عن بعد، فإنه سينطقها "التهكّم عن بعد"، وهنا ستتغيّر دلالة الكلمة، وستولّد فكاهة، خاصة إذا تبادر إلى الذهن (الكنترول) كمهنة، فيصبح المعنى كأنه يريد أن "يتهكّم" به عن بعد.

ومن الجوانب الطريفة في هذا المجال، إذا أراد أن ينطق كلمة من مثل (قطب)، فإنه سيستبدل صوتي القاف والطاء، إذ يصعب نطق صوت القاف مع التاء مثلاً، أو الكاف مع الطاء؛ فالقاف تناسب الطاء، كما تناسب الكاف التاء، وكذلك في كلمة من مثل (قصد) و (كسد)، وهذا يؤكد أن "تنظيم الأصوات في اللغات ليس عشوائياً، بل يتبع نظاماً وقواعد معينة خاصة بتلك اللغة"[1].

مقابل كل ذلك، فثمة فونيمات في اللغة الإنجليزية، تعد ألفونات في اللغة العربية، مثل الباء المهموسة /p/، فهي في العربية ألفون لفونيم واحد هو /الباء/، أما في الإنجليزية فهناك /p/ المهموسة،و/b/ المجهورة. أي أن صفتي الجهر والهمس يفرقان في الدلالة في الإنجليزية[2].

وما قيل سابقاً عن العربية واختلاف الدلالة تبعاً للتبدلات الصوتية، ينطبق على الإنجليزية، ومن ثم سيقع متعلم هذه اللغة في أخطاء، قد تكون موضع تفكّه وتندّر، فلو أراد عربي أن ينطق كلمة إنجليزية فيها صوت (p)، فإنه سينطقها في الغالب (b)، ما قد يترتب

---

(١) خرما:أضواء على الدراسات اللغوية، ٢٧١.

(٢) انظر استيتية: اللسانيات، ٤٧١.

عليه تغير في الدلالة، مثل،(park): نباح الكلب، التي تختلف عن (bark): الحديقة أو المتنزه، وكلمة(pad):الوسادة الصغيرة، تختلف عن (bad):رديءوسيء. وكذلك كلمة(pomp):عظمة أو فخامة، فتختلف عن (bomb)، إذ تعني: القنبلة.

وهذا ينطبق على فونيمي /f/ و /v/، ففي العربية فونيم واحد هو /الفاء/. فكلمة(vast) تختلف عن (fast)، فالأولى تعني فسيحاً أو متسعاً، والثانية معناها ثابت أو متين.

يتبين من كل ذلك أن اللغة الأم تؤثر في تعلم لغة أخرى، يقول الجاحظ: "يقال في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذب لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول"[1].

يسمى هذا في علم اللغة بالنقل أو التدخّل، أي أن "الأخطاء التي يقع بها من يستخدم اللغة الأجنبية تحدث بسبب أنه "ينقل" خصائص لغته الأصلية إلى اللغة الأجنبية، أو بمعنى آخر يحدث "تدخّل" من لغته الأصلية في اللغة الأجنبية"[2].

ويقيّم علماء اللغة الشخص الذي يتكلّم بلغة أجنبية، بمقدار "النقل" الذي يوجد في تعبيره بتلك اللغة، وبعبارة أخرى فالشخص الذي يجيد اللغة الأجنبية هو من يخلو تعبيره بها من أي "نقل"[3].

فاللغة الأم تؤثر في اكتساب اللغة الثانية، أي أن تعلم اللغة الثانية يكون بناء على اللغة الأولى التي يتعلمها الإنسان في صغره وفي بيئته، "فالإنسان يسير بطريقة الاستبدال، ويسعى

---

(١) الجاحظ: البيان، ١/٣٩-٤٠.

(٢) محجوب: دراسات في علم اللغة، ٨٧.

(٣) انظر المرجع نفسه، ٨٧-٨٨.

إلى تكوين معادلات، بأن يرص من ذاكرته كلمات وجملاً في اللغة التي يتعلمها، إلى جانب لغته القومية وجملها"[1].

إن الخطأ الذي يولّد فكاهة أو سخرية، يكون أكبر أثراً، والخطأ الذي ينتج عن اللغة، أو عن قصور في اكتساب اللغة، يكون ذا فائدة في هذا المجال، إذ يمكن من خلال هذه الأخطاء أن نتعلم اللغة بطريقة سليمة، وأن نبحث عن الدقّة والصواب في هذا المجال؛ ذلك أن للفكاهة وقعاً كبيراً على الفرد، وللسخرية تأثيراً كبيراً عليه أيضاً، ومن هنا سيحاول إبعاد الأخطاء التي يمكن أن يقع بها، أثناء تعلّمه اللغة[2]. وأن يجتهد حتى يتمكّن من نطقها بطريقة سليمة، تبعده عن المفارقات التي ستواجهه.

إن التعلم والمران على اللغة -كما يرى ابن خلدون- قد يؤديان إلى التمكّن من الملكة[3]،على الأقل، في الجوانب التي تولّد فكاهة أوسخرية، وهي الأخطاء التي تمسّ الوحدات الأساسية في اللغة، أما الأخطاء التي لا تمسّ هذه الوحدات، فهي مقبولة، كما يشير بعض الدارسين[4].

وبعد، فالتقابل بين اللغات جانب هام، كما أن التقابل بين أصوات اللغات جانب ضروري أيضاً، لاكتساب اللغة الثانية. وإن رصد الجوانب الطريفة والمواقف الفكهة التي تنتج عن الأخطاء تفيد في هذا المجال. وبعبارة أخرى، فالخطأ الذي يولّد فكاهة وتندّراً يتجنّبها المتعلم، ويدفعه ذلك إلى محاولة إتقانها والتمكّن منها، ليتخلّص من المواقف التي تسبّب فكاهة، حتى لا يُقابل بالتندّر والسخرية.

---

(1) فندريس: اللغة، ٩٩.

(2) الأخطاء الصوتية التي يمكن أن يقع بها متعلمو اللغة الثانية، تكون نتيجة النطق بأصوات اللغة الثانية بناء على أصوات اللغة الأم. انظر في هذا الموضوع، استيتية: اللسانيات، ٤٦٦ وما بعدها.

(3) انظر ابن خلدون: المقدمة، ١١٢٧/٣. وانظر قريب من هذا المعنى، الجاحظ: البيان، ٦٩/١.

(4) انظر محجوب: دراسات في علم اللغة، ٩٨.

ويمكن إجراء مقابلة بين اللهجات في إطار اللغة الواحدة، واختلاف الدلالة فيما بينها، تبعا لنطق الكلمات، كل حسب لهجته، كنطق القاف همزة، والثاء سيناً والذال زاياً (في المدنية)، وكنطق القاف كافاً (في بعض القرى الفلسطينية)، ونطق الظاء زاياً (في اللهجة المصرية)، ونطق الجيم ياءً(في الخليج العربي)، وهكذا.

فقد تؤدي التبدلات الصوتية بناء على اختلاف اللهجات –أو بسبب اللثغة أو نتيجة لمحاولة التمدّن– إلى اختلاف الدلالة، ومن ثم إحداث التفكّه والإضحاك، كأن يُقال مثلاً: "ما تتألمش" بدلاً من "ما تتكلمش"[1]. أو أن تنطق كلمة ظرافة (المصدرمن ظرف) زرافة (الحيوان) في المصرية [2]وقلم> ألم، وإثم> اسم، وقمر> أمر[3]، وتنطق هذه الكلمات كذلك في المدنية، ومثلها كلمات مثل: ذلّ> زلّ، وثاب> ساب، وجميل> يميل،... .

هذا الجانب، وُجد في مواقف سبّبت فعلاً فكاهة وسخرية، كالموقف الذي قابل، نطق سعد زغلول القاف كافاً[4]، وقُل مثل ذلك ما يمكن أن تسببه بعض اللهجات التي تنطق القاف كافاً، كلهجة بعض القرى الفلسطينية.

ومما يروى في هذا المجال، أن فتاة كانت تقرأ آية: "وذَرْهم في ضلالهم يعمهون"، فقرأت (دلالهم)، فسمعها شيخ، فقال لها: القراءة "ضلالهم". فلمّا غيّر عليها أكثر من مرة، قال له أحد الظرفاء: "يا شيخ، سيبها في دلالها، وخلّيك انت في ضلالك"[5].

---

(1) انظر محجوب: دراسات في علم اللغة، ٧٩–٨٠.

(2) انظر أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ٩٥.

(3) انظر عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ١٦٧.

(4) انظر صفحة(١٣٩) من هذه الدراسة.

(5) انظر السعدني،محمود: الظرفاء، ٧٩.

أثر علم اللغة في المجالات الفكاهية (الكوميدية):

الفكاهة وسيلة بارعة، تسلّي الناس، وتسري همومهم وأحزانهم. وقد استغلّ كتّاب الفكاهة، ومريدو التفكّه والإضحاك اللغة، ومبادئ علم اللغة ونظرياته، لتحقيق هذه الغاية. أو _على الأقل_ يمكن أن تعكس هذه الأنماط الفكاهية، بعض مبادئ علم اللغة، وتصوّرها بطريقة طريفة.

إن اللغة أداة هامة للكتّاب عموماً، وهي وسيلة ذات إمكانات كبيرة لمن يحسن استغلالها في مختلف النصوص والمواقف والفنون، وهي أيضاً وسيلة بارعة للكتّاب الذين يطمحون إلى إضفاء طرافة على نصوصهم وكتاباتهم. كما يعدّ علم اللغة رافداً لهؤلاء الكتّاب، ليغني فنّهم، وليضفي الطرافة على نماذجهم وشخصياتهم.

ولا يكاد يخلو مجال من الفكاهة، ففي التلفاز والراديو والصحافة والمجلات والمسرح والسينما، نجد للفكاهة والضحك مكاناً. وفيما يأتي أهم الأنماط الفكاهية، والمجالات التي وُجد فيها استغلالاً للغة، واستلهاماً لمبادئ علم اللغة ونظرياته، لتحقيق المتعة واللذة على تلك النصوص والمجالات:

المسرح:

تأتي المسرحيات الكوميدية أوالفكاهية في مقدمة المسرحيات التي يهتم بها أي مجتمع، وإن نظرة فاحصة في كثير من تلك المسرحيات، تكشف أن السرّ في إحداث التفكّه، وإبراز المضحك لمتابعيه، إنما يكمن، في كثير من الأحيان، في أمور لغوية. حتى يمكن أن يُقال: إن مقياس المسرحية الناجحة، يكون في استثمار القضايا اللغوية، بطريقة منظمة هادفة، ودقيقة متقنة.

تستمد المسرحيات الفكاهية موضوعها من الحياة؛ فهي تعكس قضايا بارزة في المجتمع، وتعتمد في إبراز مجرياتها، وفي تسلسل أحداثها، وفي جذب جمهورها على الضحك. ولتحقيق هذا العنصر يتّجه مؤلفو تلك المسرحيات إلى الجانب اللغوي.

يعد المسرح من أكثر الفنون إبرازاً للجوانب اللغوية، بوصفه قائم على عنصر هام وهو النطق والحوار، ومن ثم تتضح مختلف الأساليب اللغوية، وما يكتنفها من أمور، كالتلاعب بالألفاظ، والتنغيم والمفصل، والإشارة والحركة، وغيرها من الجوانب.

صحيح أن عنصر الضحك قد يحدث لأسباب أخرى كالتشويه في الشخصيات مثلاً، غير أن ثمة عناصر لغوية تدخل في هذا المجال، كتعمّد الأخطاء التي تسببها اللغة، والتلاعب اللفظي، والحركات المعبّرة.

تكون المفاضلة، في كثير من الأحيان، بين مسرحية وأخرى، بل وبين ممثل وآخر، على مدى استثماره وتحكّمه بالأسلوب اللغوي، سواء أكان ذلك بالمزاوجة بين الفصحى والعامية، أم باستخدام الفصحى بطريقة تهكّمية، أم بحذف بعض الأصوات، أم بإحداث تبدّلات بينها.

استغلّ توفيق الحكيم (النحو) لإحداث التفكّه في بعض المواطن، ففي مسرحية "الأيدي الناعمة" يبحث "علي حمودة" –وهو دكتور في النحو، ومتخصّص في حروف الجر– عن عمل، فيلتقي بـــ"البرنس فريد" ويتحاور معه حول هذا العلم، وفي هذا الحوار جوانب ساخرة، أوردها الحكيم لإضفاء التفكّه والإضحاك. ومن المواضع الساخرة، عندما أخبر الدكتور حموده البرنس أنه متخصص في حروف الجر، إذ أجابه البرنس: "آه فهمت ... ميكانيكي".

ويستمر هذا المشهد بصورة طريفة، مع الاستمرار في وصف هذا العلم وتوضيحه، فهو يذكر مثالاً منه بـــ(حتى)، وأنه يجوز في الاسم الذي تدخل عليه الحالات الثلاث: الرفع

والنصب والجر، نحو: "أكلت السمكة حتى رأسها..."، فيجيبه البرنس ساخراً: "يعني أن السمكة يمكن أن تأكلها دائماً... أليس كذلك؟". كما تظهر السخرية عندما ردّ البرنس عليه قائلاً: "ثق أني يوم أريد أن آكل السمكة فإني لن أحتاج إليك أبداً...".

وتبدو السخرية واضحة عندما يسترسل الدكتور حمودة في شرح قصته مع النحو، بقوله: "الدنيا عندي كلها إعراب...لا أهتم بشيء غيره... أفتح الكتب لأعربها لا لأقرأها... أعربت جميع الكتب والجرائد، حتى دفتر التليفون... أما اليوم فكل ما يشغلني من الكون هو كلمة "حتى"..."[١].

واهتمّ "يعقوب صنوع" اهتماماً كبيراً، بالجوانب اللغوية في إحداث التفكّه والإضحاك، كالتحويرات التي تحدثها الشخصيات الأجنبية في اللغة. ففي مسرحية (بورصة مصر) يتناول اللكنة عند "الخواجات" وتحويرهم في بعض الأصوات، مثل إبدال الحاء خاء أو هاء، والعين همزة، والخاء كافاً أو هاء. ومن الأمثلة التي يوردها: واحد>واخد وواهد. وعقبال>أقبال. وخنزير>كنزير. والخدامة>الكدّامة. والخواجة>الكواجة. وتدخل>تدكل. فكل هذه الكلمات وأمثالها يمكن أن تسبّب التفكّه في سياقاتها المختلفة.

تبدأ المسرحية بحوار طريف، إذ يقول (فرج): "جيت أدخل البورصة أشوف الخواجة، مسكني البربري على الباب وقال لي: الهدّامين ما يدهلوش هنا. الهدّامين رايهين يعملوا ايه في البورصة. وانت روّه يا فلّاه. انت ملكش شجل هنا..."[٢].

ويُعنى صنوع أيضاً بالعيوب النطقية، ويتّخذها مادة للإضحاك، ومن أبرز الشخصيات في هذا المجال، شخصية (لياس) في مسرحية (العليل)، فهناك مشاهد كاملة في إبراز تأتأته،

---

(١) انظر فيما سبق، الحكيم: الأيدي الناعمة، مكتبة مصر،د.ت، ص١٤-١٧. وانظر جوانب لغوية لغرض التفكّه والسخرية في هذه المسرحية، ٣٠-٣١، ١٤٩-١٥٢، ١٦٣.

(٢) نجم، محمد يوسف: المسرح العربي/دراسات ونصوص (يعقوب صنوع)، ٥ وما بعدها.

وما لاقاه من سخرية نتيجة هذه التأتأة، سواء مع (سعد) أو مع (حبيب) أو مع (مترى العاشق). وما يلي هو حواره مع (الهانم)، إذ يقول: "أنا مص مص مص مص...؟ الهانم: الحكيم ادّاك شيء تمصّه. لياس: لا أنا مص مصرو. الهانم: انت مصروع..؟ لياس: لا. أنا مص مصرور بمعرفتك. الهانم: كتر خيرك واحنا بالمثل. لياس: كت كت كت كت.الهانم(تضحك وتقول في نفسها): دا بينا دي على الكَتاكيت..." [١].

واعتمد صنوع في إثارة التفكّه والضحك أحياناً، على السجع، من خلال التبدّلات الصوتية. من ذلك مثلاً، عندما خاطب "متري"(وهو لعّيب مشهور في تقليد الفلاحين) "حسناً"(خادم التياترو)، وأمره بالخروج، فيقول حسن: "على العين والراس، يا سيّد **الناس**". وكذلك عندما خاطب "متري" "اسطفان"(وهو لعّيب شاطر في تقليد العيّاق)، إذ يقول: "دبّتى تخرق الأرض يا مون ستي. وانت يا اخ زيك **اليوم**، برضك نازل في بحر المحبة **عوم**؟". فيرد اسطفان: "محبة إيه يا **جندي**؟ انت اسمع الأخبار اللي **عندي**. ده فرغ الهزار، وبقي **الجدّ**، وغدا تسيل الدموع على **الخدّ** "[٢].

وأورد نجيب سرور كذلك، جوانب لغوية في مسرحياته، لغرض التفكّه؛ ففي مسرحية (يا بهية وخبريني)، يتوالى مشهد كامل حول القلب المكاني في لفظة "المسرح" إلى "المرسح"، والخلاف في أيهما الصحيحة، وما تلبث هذه اللفظة بصورتيها، أن تتداخل أثناء المسرحية، بصورة طريفة، تثير الضحك[٣].

---

(١) نجم: المسرح العربي، ٦٦.

(٢) المرجع نفسه، ١٩٨.

(٣) انظرسرور، نجيب: حوار في المسرح، مكتبة الأنجلو المصرية_القاهرة، ١٩٦٩،ص ٢١٧ وما بعـدها. ومن الجوانب اللغوية التي وردت في هذه المسرحية لأغراض التفكّه، التبدل الصوتي في كلمة "العواقب" في جملة "ربنا يجيب العواقب سليمة"، فقد أبدلها إلى "العواقف". انظر ص ٢٢٢. وانظر جوانب مشابهة لذلك ص ٢٤٣.

وبعد، فينبغي أن يتضمّن ما يعرض في المسرح الكوميدي المضمون أو الهدف منه، وكذلك الإطار العام له، وهو المتعة لجذب الجماهير أو المشاهدين له. وربما لا نغالي إذا قلنا إن تطبيق المستويات اللغوية على الفكاهة، يقودنا إلى كتابة مسرحيات راقية، وتخرجنا من تلك المسرحيات القائمة على الارتجال، والتشويه في الشخصيات التهريجية.

قيل قديماً: "شر البليّة ما يضحك"، في مقابل ذلك فإن قمة الضحك قد تؤدي إلى الدموع[1]. هذه المفارقة ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في المسرح، أي أن تمتزج الفكاهات بالهدف السامي، وأن تُطعّم الغاية من المسرحية بالجانب الفكاهي الضاحك...، وعندئذ يكون الهدف ممتعاً، وتكون الفكاهة راقية.

الرسومات(الكاريكاتيرية) والكتابات الساخرة في الصحافة:

تتّخذ الصحافة من الفكاهة عامل جذب للقرّاء، لذا فهي تحاول إضفاء الطرافة على بعض مضامينها. وتتمثّل الفكاهة في الصحافة في فن السخرية؛ ليتوافق مع هدف الصحافة ومراميها، وهو تصوير الحقائق، وتقديم نقد للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتأتي القوالب التي تصورها السخرية في الصحافة، بصورتي الرسومات الكاريكاتيرية والكتابات الساخرة، وكلتاهما قد تستغلان بعض القضايا اللغوية، وجوانب من علم اللغة، في تناولهما.

تزخر **الرسومات الكاريكاتيرية** بقضايا لغوية، فعلى الرغم أنها تصوّر مشكلات في المجتمع، وتعكس انتقادات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية...، فهي مع ذلك، تستغل اللغة ومبادئ علم اللغة لتحقيق هذه الغاية، لإحداث التفكّه، وإبراز السخرية بصورة طريفة.

---

(1) يُشار إلى أن الضحك المستمر غير المحكوم قد يسبب الوفاة، بتوقف القلب ونزيف الدماغ، لذلك يُقال إن "سيمون دي مونتفورت" الإنجليزي في القرن الثالث عشر، كان يعدم أسراه بدغدغتهم في باطن أقـدامهم بريشة. انظر كورباليس: في نشأة اللغة، ٤٤.

نجد ملامح لمبادئ علم اللغة، لإحداث التفكّه والإضحاك، في كثير من رسومات "رمسيس"، ففي كاريكاتير له يظهر مدرس للتاريخ، يسخر من شخص، فيقول له: "يِظهر كُتر أكل اللحمة قفّل مخّك!! أولاً اسمه "محمّد فريد".. مش"محمّر" فريد!! واسمها ثورة ١٩ مش "فروة" ١٩ !! [١].

إن استبدال /الدال/ بــ/الراء/ يحوّل الاسم (محمد) إلى صفة (محمّر)، واستبدال /الثاء/ بــ/الفاء/، مع قلب مكاني بين الواو والراء، في (ثورة)، يحوّلها إلى (فروة)، مما سبّب الفكاهة، من خلال هذا التلاعب اللغوي، فقد نقل الذهن من الأحداث التاريخية إلى المصطلحات الغذائية.

وقد تناول "جلال الرفاعي" مجموعة من الرسومات الكاريكاتيرية، ومنها الرسومات المعبّرة عن الانتخابات، وفي كثير منها استغلال للغة ولمبادئ علم اللغة لإضفاء الطرافة والفكاهة، ففي رسم له يظهر مرشّح يغطي وجهه بقناع، ويحمل اثنين بيده، ويخاطب شخصاً، قائلاً: "أنا رجل عندي (قناعات) ولا يمكن أغيّرها!!" [٢].

يدل هذا الرسم أن الحركة في العربية فونيم، وقد استغلهاالرفاعي بصورة طريفة، فهو يريد أن يقول: "عندي قَناعات". ولكن الرسم، من خلال ظهور الأقنعة التي يحملها، يوحي بأنه يقول: "عندي قِناعات".

وشبيه بهذا الاستثمار، عندما يظهر مرشح يحمل لوحة كُتب عليها: أخي الناخب... أختي الناخبة...: "كلوا خيري ولا تنتخبوا غيري. كلوا مناسفي ولا تنتخبوا منافسي..." [٣].

---

(١) انظررمسيس، يا تلفزيون يا!!...، ١٠٤.

(٢) انظرالرفاعي، جلال: هموم الناس.

(٣) انظرالمرجع نفسه.

للمقطع أثر في إبراز ما يعبّر عنه المتكلّم، ويريد إيصاله إلى المستمع، وقد يستغلّ في التمويه أو التورية اللفظية، لا سيما إذا تبع التقطيع إنشاء كلمة أخرى، فمثلاً كلمة (رشـــدي) تتكوّن من مقطعين، <رش> و <دي>. فالأول يشكّل كلمة في العامية، المأخوذة من "الرشوة". وفي رسم كاريكاتيري، لعبدالعزيز تاج، استثمار للمقطع الصوتي لإثـــارة التفكّــه، إذ يقــف شخص أمام موظّف وبيده معاملة، ويقول الموظف له: "أنـــا اســـمي (رشـــدي)، وبيـــدلعوني بـــ(رش)..."[١]. فتتضح الدلالة، ومراد المتكلّم، وهو النقد الاجتماعي لقضية "الرشوة"، بزيادة ضغطها أو نبرها، وزيادة وضوحها السمعي، ومن ثم يؤدي النقد أثره الطريف.

وقد تستغل الألفاظ المتشابهة في النطق لأغراض الفكاهة، أي أن يتطابق نطق كلمة ما بلهجة معينة مع كلمة أخرى، فهذا يولّد التفكه والتندر، ففي رسم لعبدالعزيز تاج، تناول فيه عبارة (خصم ١٥ يوماً "لسوء" معاملة الجمهور)، وتظهر فيه مذيعة تجري مقابلة مع أحد الأشخاص، ويطلب هذا الشخص سماع أغنية: "سوء" على مهلك "سوء" "بكره" الدنيا تروق!!! للفنانة شادية. ثم يهديها لـــ"عبده أفندي" الذي يقول له دائماً "فوت (بكره)"[٢].

يبدو التلاعب بالألفاظ جلياً في هذا الرسم، من خلال الكلمات (سوء) و (بكره)، كما تظهر دقة الملاحظة في استخدام هذه الألفاظ. فـــ"سوء" معاملة الجمهور، تقابل كلمة "سوء" في الأغنية، وهي كلمة متطورة عن كلمة "سوق"، أي أن النطق بها بناء على لهجة المتكلم، بإبدال القاف همزة يتطابق مع كلمة أخرى وهي "سوء" ضد "الحسن"، رغم أنه أثبت القاف في كلمة (تروق)، أما كلمة "بكره" في الأغنية، فاستخدمها للنقد الوظيفي، المتمثّل في تأجيل المواعيد.

---

(١) انظر تاج، عبدالعزيز، هكذا يتحدث الكاريكاتير.

(٢) انظر المرجع نفسه.

وقد أبرز "تاج" هذه الكلمات من خلال وضعها بين أقواس، ليبيّن أن السخرية في هذا الرسم، إنما هو قائم على تلك الألفاظ، وفي ذلك بلاغة للصورة وللرسم الكتابي.

إذن، ففن الكاريكاتير يقوم على نقد المشكلات نقداً ساخراً، ويعتمد في كثير من الأحيان، على جوانب لغوية، لإضفاء المتعة والطرافة على ذلك النقد.

وتستغل **الكتابات الساخرة** أيضاً مبادئ علم اللغة، وتشتمل على قضايا لغوية، في كثير من الأحيان. وثمة مؤلفات تجمع بعض تلك الكتابات، ومنها كتاب "بوسته" لمحمد السيد شوشه، ومنه تحدث عن (بوسطجي) ضُبط في الأرياف، يوزّع خطابات الأهالي داخلياً لحسابه، دون إلزامهم بوضع طوابع البريد...، وفي تناوله لهذا الموضوع مثلاً، يقول: "اتّضح أن مطربه المفضّل كان (بريد) الأطرش!" [1]. إشارة بذلك إلى الفنان (فريد) الأطرش، ويرمز به إلى القضية التي يتحدث عنها، فاستبدال الفاء بالباء أبرز النقد الساخر، وأحدث هذا أثراً فكاهياً واضحاً.

وتحدّث أيضاً عن (كان وأخواتها) بأسلوب فكاهي، فقال عن (صار)مثلاً: "هي نفسها (سار)، لكنها تنطق بتضخيم وتطجين أولاد البلد!". وكذلك حديثه عن (ظل)، إذ يقول: "إذا كسرت (الظاء) أصبحت شيئاً خفيفاً، يبدو في كتاباتي!!". وأيضاً عن (بات) فقد "أضيفت إليها (الألف) في السنوات الأخيرة لتصبح ماركة أحذية"[2].

ويهتمّ "أحمد حسن الزعبي" بالجوانب اللغوية، في تناوله للموضوعات الساخرة، فقد تحدّث مرة عن التقاليد المملّة في الاحتفالات الرسمية، مثل الكلمة الترحيبية وكلمة الشكر

---

(1) انظر عبدالفتاح، سيّد صدّيق: تراجم وآثار أدب الفكر الساخر، الدار المصرية اللبنانية،ط١، ١٩٩٣م.

(2) انظر المرجع نفسه، ٩٣-٩٤.

وقصيدة نبطية ودبكة شعبية، فاقترح أشياء مهمة غيرها، "كحلول بعض المشاكل، واستعراض إنجازات حقيقي، أرقام وإحصائيات، حلبة **مصارحة**، وجلسة **مصارعة**(عصف ذهني)..." [١].

وتحدّث أيضاً، عن ارتفاع الأسعار، فعلّق بصورة ساخرة، على جمعية المستهلك الأردنية، إذ اقترح أن تغيّر كلمة "**المستهلِك**"(بكسر اللام)، إلى "**المستهلَك**"(بفتح اللام). وذلك -كما يرى- لأن "مواطننا قد أصبح مستهلَكاً، بمعنى الكلمة، لا مستهلِكاً "بكسر اللام"[٢].

هذه أهم المجالات التي وُجد فيها، استغلال للغة ومبادئ علم اللغة، لإضفاء التفكّه والطرافة في طرح موضوعاتها، وقد يُضاف إليها مجالات أخرى، كالشعر والرواية والسينما، والمواقف الطريفة المختلفة، وقد وردت بعضها في ثنايا هذه الدراسة[٣].

وفي مجال **الرواية**، أورد نجيب محفوظ بعض القضايا اللغوية[٤]، من ذلك مثلاً ما ذكره أن سعد زغلول كان ينطق القاف كافاً، يقول عامر وجدي الصحفيّ -متحدثاً عن زغلول-: "كان يحبني ويتابع مقالاتي باهتمام صادق. ومرة قال لي: - أنت كلب الأمة الخافق...". "وسمع بها بعض الزملاء القدامى من رجال الحزب الوطني، فكانوا كلما رأوني صاح صائحهم: "أهلاً بكلب الأمة!"[٥].

وكذلك تبدو السخرية من عبد الناصر، لدى حديثه عن الجيش المصري في حرب اليمن، إذ يورد المحامي "محمد برهان" أغنية أم كلثوم "حسيبك للزمن"، فيقول: "أسمعت ما يقال عن أغنية أم كلثوم "حسيبك للزمن"؟ يقال إن الأصل هو "حسيبك لليمن"[٦].

---

(١) انظر جريدة الرأي الأردنية، ٢٠٠٧/٤/١٧م.

(٢) انظر جريدة الرأي الأردنية، ٢٠٠٧/٣/١٩م.

(٣) انظر مثلاً الصفحات (١٣٩-١٤٠،١٤٠-١٤٣، ١٤٧) من هذه الدراسة.

(٤) انظر الصفحات (١١٨-١١٩، ١٦٠) من هذه الدراسة.

(٥) محفوظ: ميرامار، مكتبة مصر، د.ت، ١٣.

(٦) محفوظ: الباقي من الزمن ساعة، مكتبة مصر، ١٩٨٢، ص ١٦٨-١٦٩.

وبعد، فهذه دراسة للفكاهة، وللجوانب اللغوية التي ضمّتها هذه الفكاهة، ولعل أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة ما هو آت:

- تتشابه اللغة والفكاهة في كثير من المجالات، فكلتاهما تستخدم لأغراض متعددة، منها تعليمية أو تجارية أو سياسية وغيرها من المجالات. وقد تدخل اللغة في أغراض أخرى كالترحيب وتجنّب بعض عيوب النطق، والتودّد إلى الآخرين والتواصل بهم، وقد نلجأ إلى الفكاهة في مثل هذه الامور.
- كانت الفكاهة اللغوية قليلة، في بداية نشأة الدراسات اللغوية، فاقتصرت على تصوير بعض الانحرافات اللغوية المختلفة. وإذا أخذنا بالرأي السائد، الذي يرى في الفكاهة سلاحاً، وردّة فعل للعيوب، أمكننا أن نفسّر قلّة الفكاهات، إذ كان لتلك الدراسات أثر إيجابي، وهو حفظ النصوص وخدمتها. فاقتصرت الفكاهة في هذه الفترة على تصوير عيوب اللحن، وانحرافات الألسنة.
- إن تشدّد اللغويين إزاء التطور اللغوي، وعدم مراعاتهم للمقام، وإغفالهم للإطار الاجتماعي، ولّد صراعاً بينهم وبين غيرهم من الطبقات الاجتماعية، فظهر نتيجة لذلك صراع بين الفصحى والعامية، فواجه اللغويون مفارقات لا تخلو من طرافة، وتباينت ردود الفعل التي واجهوها بين السخرية والتّهكم، إلى الهجاء اللاذع، وكثيراً ما كانت الفكاهة سلاحاً يواجه به اللغويين نتيجة لتشدّدهم ذاك.

- قد تُستغل بعض الأساليب الطريفة في تناول القضايا اللغوية، لأغراض تعليمية، من ذلك مثلاً، الفكاهات المشتملة على قضايا لغوية، واقتباس المصطلحات اللغوية، وتناول القضايا اللغوية من خلال الألغاز؛ ففي كل منها معان طريفة، قد تساعد على فهم القضايا اللغوية واستيعابها وتقريبها إلى الأذهان.

- قدّم الجاحظ بحوثاً لغوية ذات قيمة كبيرة، وتدخل هذه البحوث في علم اللغة الحديث، في كثير من جوانبها، فهي اتجاهات تراثية يمكن الإفادة منها في الوقت الراهن، كعيوب النطق والأمراض اللغوية المختلفة مثل اللثغة والتأتأة والتمتمة والفأفأة. وكذلك الدراسات التقابلية بين اللغات من خلال التبدّلات الصوتية، فقد وصف الجاحظ الأمراض وحاول أن يقدّم لها علاجاً، وبعض القوانين في ذلك. إن اهتمام الجاحظ بالقضايا اللغوية المختلفة، وتناوله لهذه الجوانب، نابع مما فيها من فكاهة ودعابة، أو على الأقل راعى في تناوله لتلك القضايا أن يكون تناولاً طريفاً فكهاً، لما عُرف عنه من اهتمام بالتفكّه والتندّر. ويمكن الإفادة مما قدّمه الجاحظ، ومن المجالات اللغوية التي تسبّب التفكّه، فنوردها بصورة طريفة فكاهية، كما قدّمها الجاحظ.

- بين اللغة والفكاهة علاقة وثيقة، فاللغة ترفد الفكاهة بمقوّمات الضحك، وتقدّم لكتّاب الفكاهة مادة وفيرة، فقد انطلق مريدو التفكه من اللغة ومبادئ علم اللغة، ففتح آفاقا لإنشاء المواقف الفكاهية المختلفة، كما يمكن استغلال علم اللغة كأداة لفهم الفكاهة. وقد تقود الفكاهة ذاتها إلى قضايا لغوية ذات قيمة، وإلى حقائق هامة؛ فقد صوّرت الفكاهة جوانب من بداية الحركة اللغوية عند العرب، بل إنها صوّرت ما قبل هذه الفترة، أي تلك الفترة التي كثرت فيها الانحرافات والأخطاء اللغوية، فكان غير العرب يقعون بأخطاء في أصوات الكلمة وفي بنية الكلمة وفي تركيب الجملة.

- الجوانب اللغوية التي تعتمد عليها الفكاهة، هي قضايا عامة، أي أنها مترسّخة في أذهان كل شخص، فهي مما تدخل في باب الأعراف اللغوية. ولا تقتصر على اللغويين المتخصصين، كالفكاهات التي تستثمر نظرية الفونيم، والنظام المقطعي للغة، والنبر والتنغيم وغيرها.
- يعدّ المستوى الصوتي أو الجانب الصوتي للغة من أبرز المستويات اللغوية أثراً في الفكاهة وانتاجها، فالفكاهة تقوم في كثير من الأحيان على استغلال هذا الجانب اللغوي، لإضفاء التفكّه والترويح، أوالسخرية والنقد، ولعل ذلك يعود إلى أن الأصوات هي الجانب العملي للغة. أضف إلى ذلك أنها طريقة سهلة ميسّرة، تمثّل لمحة سريعة لإحداث التفكّه؛ فقد يكون ذلك بحذف صوت واحد أو إبداله بغيره، أو بإبراز الملامح الصوتية المختلفة كالمقطع والمفصل والتنغيم ... وغيرها من الجوانب. أي أن استبدال أحد الأصوات في الكلمة بصوت آخر أو حذفه، أو القلب المكاني بين الأصوات، وغير ذلك من الجوانب الصوتية؛ يؤدي أثره الفكاهي، ويساعد على إبراز عنصر الضحك، ويضفي طرافة على المواقف المختلفة.
- ربما كان للفكاهة أثر في إحداث بعض التبدلات الصوتية، فقد اتّخذت الأخطاء التي وقع بها غير العرب سبيلاً للتفكه، كما تُتّخذ الأخطاء اللغوية عموماً للتندّر، ومن ثم تبقى منتشرة لطرافتها، وربما تصبح ظاهرة صوتية. وتقوم الفكاهة على مثل هذه التبدلات الصوتية، لإحداث التندّر والتفكّه أو السخرية والنقد. ولمّا كان الفرد محباً للفكاهة والمجتمع متعلّقاً بهذا الفن، فربما تتبدل أصوات الكلمات وتتطور تبعاً لهذا التعلّق بالفكاهة. يضاف إلى ذلك أن التبدّلات في بعض الأصوات قد تكون تابعة لنظام

الكتابة العربية، ففي كثير من حروفها تشابه في الكتابة، إذ تفرق النقطة فيما بينها، أي أن التطور الصوتي قد يكون ناتجاً عمّا عُرف قديماً بالتصحيف، وهو جانب طريف.

- ثمة صلة بين علم اللغة الاجتماعي ونظرياته والفكاهة، لا سيما فيما يتعلق بالسخرية والسياق ومراعاة الحال. وقد صورت كثير من الفكاهات المتقعّرين الذي يتخذون لغة "معيارية" للحديث، دون مراعاة للطبقات الاجتماعية، لذا فيمكن وصفهم بأنهم (لا اجتماعيين) لغوياً، ذلك أنهم لم يراعوا عنصراً هاماً من عناصر التفاهم والتواصل وهو (العنصر الاجتماعي). فينبغي في تناول اللغة في المجتمع أن تُراعى أوضاع المخاطبين وثقافتهم وطبقاتهم، وأن يُخاطَب كلٌ بما يوافقه. فلا تكلّف للغة، ولا تصنّع فيها، وإلاّ كان الكلام خارجاً عن الإطار الاجتماعي للغة.
- فتحت الفكاهة نافذة، نطلّ منها على جانب من جوانب اللهجات التي كانت سائدة في عصور سابقة، وكذلك على اللهجات الحديثة. وهذه ميّزة في الفكاهة، فهي لا تتكلّف الفصحى، كما هي أغلب فروع المعرفة الأخرى، فقد كانت لغة الكتابة والتأليف تتكلف -ولا تزال- الفصحى أو بما يسمى بالنموذجية أو الأدبية. أما الفكاهة فتروى غالباً كما هي، فتعكس اللغة التي كانت سائدة أثناء قولها. إن الفكاهة، بهذا الفهم، جديرة بالعناية والاهتمام. وإن اللجهات القديمة وردت في بعض المواطن من كتب التراث، ولعل الفكاهة هي التي حافظت على تلك اللجهات، كما قيلت. وربما نستطيع أن نحافظ على لهجاتنا الحديثة بالأسلوب نفسه، أي من خلال تدوين الفكاهات المختلفة المعاصرة.

- إن الخطأ الذي يولّد فكاهة أو سخرية، لدى تعلم الفرد اللغة، يكون أكبر أثراً، إذ سيحاول إبعاد الأخطاء التي يمكن أن يقع بها، وأن يجتهد حتى يتمكّن من نطقها بطريقة سليمة، وأن يبحث عن الدقّة والصواب في هذا المجال؛ ذلك أن للفكاهة وقعاً كبيراً على الفرد، وللسخرية تأثيراً كبيراً عليه أيضاً، تبعده عن المفارقات التي ستواجهه.



الفهارس العامة:

-فهرس الآيات القرآنية

-فهرس الأحاديث النبوية

-فهرس الشعر

-فهرس الأعلام

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الشعر

القوافي	الشاعر	الصفحة
ومن ذا الكسائي سالح في كسائه	أبو الحصن	٧٥
وياذا المكارم والميم هاء	أحمد بن محمد أبو الفضل	١٣٦
كبرت وعقلي إلى وراء	–	١٦٥
فيكذب إرجاف ويصدق إرجاء	ابن خميس	١٦٣
سجح ولا جد لمن لم يلعب	أبو تمام	١٥
لا، ولا فيه ارغب	–	٤٠
يفتك في أهل الحسب	العاملي	٨٨
وأنك ليث والملوك ذئاب	المتنبي	١٠١
ما بين شتّام ومغتاب	ثعلب	١١٧
ومنا أمير المؤمنين شبيب	–	١٢٢
ثم امتحنت فلم ترجع إلى الأدب	المتنبي	١٥٠
فيخص زيد بالملام ويضرب	الخوارزمي	١١٢
بحبل من أبي الصلت	ابن مناذر	٥٦
مكسور رجل جبت	اشناس	١٥٢
الذي به بعثت	المعتصم	١٥٣
تصب الخل بالزيت	بشار بن برد	١٦٦
فقد غدا سيدها الحارث	–	٩٧
أبدل نوناً بداله الحائد	المتنبي	١٣٦
وأعرضت عن زيد وعمرو وخالد	البهاء زهير	١١١
معروفة بالمكر والكيد	–	١١١
تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ	بشار بن برد	٦٢
بحاصب كنديف القطن منثور	الفرزدق	٦٣
ولا هي مشتق وليست بمصدر	أبو عثمان الحذامي	٩٦
ما المبتدا والخبر	ابن الوردي	٩٦

فهرس الأعلام

مراجع الدراسة :

- إبراهيم، زكريا: **سيكولوجية الفكاهة والضحك**، مكتبة مصر، د.ت.
- الإبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد(ت٨٥٤ هـ): **المُستطرَف في كل فنّ مستظرف**، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر-بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ابن الأثير، ضياء الدين (ت٦٣٧هـ): **المثل السائر** في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة-دمشق، د.ت.
- استيتية، سمير شريف:

-**اللغة وسيكولوجية الخطاب** بين البلاغة والرسم الساخر، المؤسسة العربية للدراسات – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

- **اللسانيات** المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديثة-إربد، ط١، ٢٠٠٥م.

- اسكاربيت، روبير: **الفكاهة**، ترجمة هدى علي، دار المستقبل العربي، ١٩٩٢م.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت٣٦٠هـ): **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة- بغداد، ط١، ١٩٦٧م.
- الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ):

_ **مجمع البلاغة**، تحقيق عمر الساريسي، مكتبة الأقصى-عمان، ١٩٨٦م.

_ **محاضرات الأدباء**، تحقيق وتعليق عمر الطبّاع، دار الأرقم-بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ): **الأغاني** ،دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- أمين، أحمد:

_ **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي -بيروت، ط١٠، د. ت.

_ **فجر الإسلام** ،مكتبة النهضة العربية-القاهرة، ط٩، ١٩٦٤م.

- الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ):

_ **الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة**، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر–بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

_ **الإنصاف في مسائل الخلاف** بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤،١٩٦١م.

- الأندلسي، ابن عاصم أبو بكر محمد بن محمد الغرناطي (ت٨٢٩هـ): **حدائق الأزاهر**، تحقيق عفيف عبدالرحمن، دار المسيرة–بيروت،١٩٨٧م.

- أنيس، إبراهيم:

- **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٩م.

- **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م.

_ **في اللهجات العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية–القاهرة، ط٤، ١٩٧٣م.

_ **اللغة بين القومية والعالمية**، دار المعارف–القاهرة، د.ت.

_ **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية–القاهرة، ط٧، ١٩٩٤م.

- أيوب، عبدالرحمن: **العربية ولهجاتها**، مطابع سجل العرب–القاهرة، ط١،١٩٦٨م.

- بدوي، عبد الرحمن: **أرسطو**، وكالة المطبوعات–الكويت و دارالقلم–بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

- برجستراسر: **التطور النحوي** للغة العربية، المركز العربي للبحث والنشر–القاهرة، ١٩٨١م.

- برجسون، هنري: **الضحك** البحث في دلالة المضحك، ترجمة سامي الدروبي و عبدالله النديم، مكتبة الأسرة–القاهرة، ١٩٩٨م.

- بروكلمان، كارل :

_ **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف–القاهرة ،ط٢، د.ت.

_ **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبدالتواب، جامعة الرياض، ١٩٧٧م.

- بشر، كمال: **علم اللغة الإجتماعي** مدخل، دار غريب-القاهرة ،ط٣، ١٩٩٧م.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ): **خزانة الأدب** ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.
- البهاء زهير، أبو الفضل زهير بن علي (ت٦٥٦هـ): **ديوان البهاء زهير**، شرح و تحقيق محمد الجبلاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف-القاهرة ،ط٢، د.ت.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ): **تحقيق ما للهند** من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تقديم محمود علي مكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البيهقي، إبراهيم بن محمد: **المحاسن والمساوئ**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر-الفجالة، د.ت.
- بيومي، مصطفى: **الفكاهة عند نجيب محفوظ**، الشركة المصرية العالمية-لونجمان،ط١، ١٩٩٤.
- تاج، عبدالعزيز: **هكذا يتحدث الكاريكاتير**، مكتبة مدبولي-القاهرة، ط١، ١٩٨١م.
- التلمساني، المقري شهاب الدين أحمد بن محمد(ت١٠٤١هـ): **أزهار الرياض** في أخبار عياض، إحياء التراث الإسلامي- المغرب والإمارات.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(ت٢٣١هـ): **ديوان أبي تمام**، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، دار المعارف-القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.
- التوحيدي، أبو حيان (ت٤٠٠هـ):

_ **الإمتاع والمؤانسة**، تصحيح وضبط وشرح أحمد أمين و أحمد الزين، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٥٣م.

_ **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، دار المعارف-تونس ،ط١، ١٩٩١م.

- ثابت، عادل: **فن الفكاهة والسخرية**، مجلة الهلال، ع٨، سنة٨٢، ١٩٧٤م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (٤٢٩هـ):

_ **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبدالفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٣م.

_ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.

_**خاص الخاص**، قدّم له حسن الأمين، دار مكتبة الحياة-بيروت، ١٩٦٦م.

- أبو جابر، فاروق: **اللهجة السلطية في النكات الأردنية**، عمان، ١٩٩٢م.

- الجابري، محمد عابد:

_ **بنية العقل العربي** (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

_ **تكوين العقل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط٥، ١٩٩١م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ):

_ **البخلاء**، تحقيق وتعليق طه الحاجري، دار المعارف-القاهرة، ط٦.

_**البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.

_ **الحيوان**، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، المجمع العلمي الإسلامي-بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

_ **رسالة التربيع والتدوير**، تحقيق وشرح فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب-بيروت، د.ت.

_ **المحاسن والأضداد**، تقديم وشرح علي بو ملحم ،مكتبة الهلال-بيروت، ط١،١٩٩٢م.

- الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ): **النشر في القراءات العشر**، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي الضبّاع، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت.

- الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ): **طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني–القاهرة، د.ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ): **الخصائص**، تحقيق محمد النجار، دار الكتب المصرية، ط٢، د.ت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

_ **أخبار الحمقى والمغفلين**، مكتبة الغزالي، د.ت.

_ **أخبار الظراف والمتماجنين**، ضبط وتحقيق محمد أنيس مهيرات، دار الحكمة–بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

_ **الأذكياء**، تحقيق عادل عبدالمنعم أبو العباس، مكتبة القرآن–القاهرة، د.ت.

- الحريري، القاسم بن علي (ت٥١٦هـ): **دُرّة الغوّاص في أوهام الخواص**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر–القاهرة، د.ت.
- حسان، تمام:

_ **اللغة بين المعيارية والوصفية**، دار الثقافة–الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

-**اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية للكتاب، ط٣، ١٩٨٥م.

-**مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م.

- حسن، عباس: **اللغة والنحو** بين القديم والحديث، دار المعارف–مصر، ١٩٦٦م.
- حسن، محمد عبدالغني: **الفكاهة في الشعر المعاصر**، مجلة الهلال، ع٨، سنة٨٢، ١٩٧٤م.
- حسين، طه: **الأيام** ، دار المعارف– القاهرة، ط٥٤.

- الحصري، أبو إسحاق بن علي القيرواني (ت٤٥٣هـ):

_ **جمع الجواهر في الملح والنوادر** " ذيل زهر الآداب"، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، ط١، ١٩٥٣م.

_ **زهر الآداب**، تحقيق وشرح زكي مبارك، المكتبة التجارية-مصر، ط٣، ١٩٣١م.

- الحكيم، توفيق:

-**الأيدي الناعمة**، مكتبة مصر، د.ت.

-**حمار الحكيم**، المطبعة النموذجية-القاهرة، د.ت.

- حمادة، ممدوح: **فن الكاريكاتير** من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة، دار عشتروت-دمشق، ١٩٩٩م.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت٥٦٢هـ): **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس و بكر عباس، دار صادر-بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الحموي، ابن حجة تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد (ت٨٣٧هـ): **ثمرات الأوراق**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي-مصر، ط١، ١٩٧١م.
- الحموي، ياقوت (ت٦٢٦هـ): **معجم الأدباء**، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م.
- حنين، رياض: **نكات خازنيّة**، مؤسسة نوفل-بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- خرما، نايف: **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ١٩٧٩م.
- خريوش، حسين: **أدب الفكاهة الأندلسي**، منشورات جامعة اليرموك، د.ت.
- الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد (ت٤٦٦هـ): **سرّ الفصاحة**، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٩م.

- ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ): **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر-القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ): **وفيات الأعيان** وانباء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة-بيروت.
- خليل، حلمي: **مقدمة لدراسة اللغة**، دار القلم-دبي، ط١، ١٩٨٩م.
- الدبّاغ، إبراهيم: **حديث الصومعة**، مكتبة الطاهر-يافا، د.ت.
- دي سوسير، فرديناند: **فصول في علم اللغة العام**، ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية واب سكين، وترجمه من الإنجليزية أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، د.ت.
- الراجحي، عبده: **فصول في علم اللغة**، دار المعرفة الجامعية-الكويت،١٩٩٧م.
- الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.
- ابن أبي ربيعة، عمر(ت٩٣هـ): **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الأندلس-بيروت ،ط٢، ١٩٨٣م.
- الرفاعي، جلال: **هموم الناس**.
- رمسيس: **يا تليفزيون يا !!**... وابتسامات أخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٧م.
- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق (٣٣٧هـ): **علل النحو**، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس-بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ):

_ **ربيع الأبرار**، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني-بغداد، د.ت.

_ **المحاجاة بالمسائل النحوية**، قدّمت له وحققته وعلّقت على حواشيه بهيجة باقر الحسني، مطبعة أسعد-بغداد، ١٩٧٣م.

_ **مقامات الزمخشري**، دار الكتب العلمية-بيروت ،ط٣، ٢٠٠٤م.

- زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، دار الهلال، د.ت.

- السعدني، محمود: **الظرفاء**، دار الهلال-القاهرة، ١٩٦٧م.

- سرور، نجيب: **حوار في المسرح**، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٦٩م.

- السعران، محمود:

_ **علم اللغة** مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية-بيروت، د.ت.

_ **اللغة والمجتمع** رأي ومنهج، دار المعارف-الاسكندرية، ط٢، ١٩٦٣م.

- ابن سودون، علي الشبغاوي: **ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس**، تحقيق منال محرم عبدالحميد، مطبعة دار الكتب-القاهرة، ٢٠٠٣م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ): **الكتاب**، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله (ت٣٦٨هـ): **أخبار النحويين البصريين** ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق محمد البنا، دار الاعتصام، ط١، ١٩٨٥م.

- السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ):

_ **بغية الوعاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٤م.

_ **المزهر** في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتعليق محمد جاد المولى و محمد أبو الفضل و علي البجاوي، منشورات المكتبة العصرية-بيروت، ١٩٨٦م.

• الشدياق، فارس بن يوسف: **الساق على الساق** فيما هو الفارياق أو أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والإعجام، عني بنشره يوسف البستاني، مكتبة العرب- مصر، ١٩١٩م.

• الشلقاني، عبدالحميد: **الأعراب الرواة**، دار المعارف-القاهرة، ١٩٧٧م.

• الشيخ، أحمد بن محمد: **كتب الالغاز والأحاجي**، الدار الجماهيرية-ليبيا، ط٢، ١٩٨٨م.

• الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ):

_ **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، مكتبة الخانجي-القاهرة.

_ **نصرة الثائر على المثل السائر**، تحقيق محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، د.ت.

_ **نكت الهميان في نكت العميان**، وقف على طبعه أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية-مصر، ١٩١١م.

- **الوافي بالوفيات**، باعتناء هلموت ريتر. دار النشر فرانز شتاينر بقيسباون، ١٩٦٢م.

• ضيف، شوقي:

_ **العصر الإسلامي**، دار المعارف-القاهرة، ط١٨.

_ **العصر العباسي الأول**، دار المعارف- القاهرة، ط٨.

_ **الفكاهة في مصر**، دار المعارف-القاهرة، ١٩٨٥م.

• طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ): **مفتاح السعادة** ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق كامل بكري و عبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة-القاهرة، د.ت.

- العاملي، بهاءالدين محمد بن الحسين (ت١٠٠٣هـ):

-**الكشكول**، تحقيق طاهر الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م.

_**المخلاة**، نسقه وفهرسه ووضع هوامشه محمد خليل الباشا، عالم الكتب-بيروت ،ط١، ١٩٨٥م.

- ابن عبد البر، أبوعمر يوسف بن عبدالله القرطبي (ت٤٦٣هـ): **بهجة المجالس** وشحن الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية-بيروت ،ط٢، د.ت.

- عبد التواب، رمضان:

_**فصول في فقه اللغة**، مكتبة الخانجي-القاهرة و دار الرفاع-الرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

_ **لحن العامة والتطور اللغوي**، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.

- عبدالحميد، شاكر: **الفكاهة والضحك** رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة،ع(٢٨٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون-الكويت، ٢٠٠٣م.

- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٧هـ): **العقد الفريد**، شرح وضبط أحمد أمين وآخرون، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٣م.

- عبدالفتاح، سيّد صديق: **تراجم وآثار أدب الفكر الساخر**، الدار المصرية اللبنانية ،ط١،1993م.

- عبده، داود: **دراسات في علم اللغة النفسي**، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله (ت٣٨٢هـ): **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، حققه السيد محمد يوسف، وراجعه أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، د.ت.

- عطية، نوال: **علم النفس اللغوي**، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٢، ١٩٨٢م.

- عفان، زيد بن علي: **اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية**، مطبعة السعادة، ١٩٨٠م.

- العلوي اليمني، يحيى بن حمزة(ت٧٥٠هـ): **الطراز**، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٣م.
- عمر، أحمد مختار:
  - **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب-القاهرة ،ط٦، ١٩٨٨م.
  - **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب-القاهرة، ١٩٩١م.
  - **علم الدلالة**، عالم الكتب-القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
- عيد، محمد: **الرواية والاستشهاد باللغة** دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب-القاهرة، ١٩٧٢م.
- الغُزّي، أبوالبركات بدر الدين محمد بن محمد (ت٩٨٤هـ): **المراح في المزاح**، عناية بسام الجابي، دار ابن حزم-بيروت ،ط١، ١٩٩٧م.
- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان: **إحصاء العلوم**، تحقيق وتقديم عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٨م.
- ابن فارس: **الصاحبي في فقه اللغة**،
- الفضلي، عبدالهادي: **أعراف النحو في الشعر العربي**، دار الوفاء-جدة ،ط١، ١٩٨٦م.
- فك، يوهان: **العربية**، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٨٠م.
- فندريس، جوزيف: **اللغة**، ترجمة عبدالحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٥٠م.
- الفيروزأبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): **البلغة**، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة-دمشق، ١٩٧٢م.
- القالي، أبو علي اسماعيل (ت٣٥٦هـ): **الأمالي**، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل-بيروت و دار الآفاق الجديدة-بيروت ،ط٢، ١٩٨٧م.

- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدنيوري (ت٢٧٦هـ):

_ **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف–القاهرة، د.ت.

_ **عيون الأخبار**، المؤسسة المصرية العامة، د.ت.

- القرطبي، ابن مَضاء أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن (ت٥٩٢هـ): **الرد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف–القاهرة، ط٢.
- قزيحة، رياض: **الفكاهة في التراث العربي المشرقي**، المكتبة العصرية–بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- القشطيني، خالد: **سجل الفكاهة العربية**، دار الكرمل–عمان، ط١، ١٩٩٣م.
- القفطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي–القاهرة و مؤسسة الكتب الثقافية–بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل–بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- الكاتب، ابن أبي عون أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٢٢هـ): **الأجوبة المسكتة**، تحقيق وتعليق محمد عبدالقادر أحمد، الناشر العربي–القاهرة، ١٩٦١م.
- الكتبي، محمد بن شاكر(ت٧٦٤هـ): **فوات الوفيات** "ذيل وفيات الأعيان"، تحقيق وضبط محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية–القاهرة، د.ت.
- كرومي، عوني: **الخطاب المسرحي** دراسات عن المسرح والجمهور والضحك، دار الشارقة ،ط١، ٢٠٠٤م.

• كريستيل، دافيد: **التعريف بعلم اللغة**، ترجمة حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب–الاسكندرية، ط١، ١٩٧٩م.

• كشاش، محمد: **النوادر النحوية** في التراث العربي وأثرها في الدرس النحوي، مجلة قطر، عدد(١٢٨)، سنة (٢٨)، ١٩٩٩م.

• كورباليس، مايكل: **في نشأة اللغة**، ترجمة ماجد عمر، سلسلة عالم المعرفة،ع(٣٥٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون–الكويت، ٢٠٠٦م.

• كوربان، هنري: **تاريخ الفلسفة الإسلامية**(١) منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد، ترجمة نصير مروة و حسن قبيسي، منشورات عويدات–بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

• اللغوي، أبو الطيب عبدالواحد بن علي (ت٣٥١هـ): **مراتب النحويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر–القاهرة، ط٢، د.ت.

• لويس.م.م: **اللغة في المجتمع**، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب–القاهرة،٢٠٠٣م.

• ماريو باي: **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب–بيروت، ط٨، ١٩٩٨م.

• المازني: **صندوق الدنيا** ، مطبعة الترقي –مصر، ط١، ١٩٢٩م.

• الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ): **أدب الدنيا والدين**، تحقيق مصطفى السقا، دار إحياء العلوم–بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

• المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ):

_**الفاضل في اللغة والأدب**، تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب المصرية–القاهرة، ١٩٥٥م.

_**الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و السيد شحاته، دار نهضة مصر–الفجالة، د.ت.

- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ): **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبدالحفيظ الشلبي، دار المعرفة-بيروت.
- محجوب، فاطمة: **دراسات في علم اللغة**، دار النهضة العربية-القاهرة، د.ت.
- محفوظ، نجيب:

- **الباقي من الزمن ساعة**، مكتبة مصر، ١٩٨٢م.

_**السراب**، مكتبة مصر، ١٩٧٦م.

_**السمان والخريف**، مكتبة مصر، ط٥، ١٩٧٧م.

_**القاهرة الجديدة**، دار القلم-بيروت، ١٩٧١م.

-**ميرامار**، مكتبة مصر، د.ت.

_ **يوم قُتل الزعيم**، مكتبة مصر-القاهرة، د.ت.

- المخزومي، مهدي: **مدرسة الكوفة** ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط٢، ١٩٥٨م.
- المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ): **الموشّح** مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر، د.ت.
- ابن مسعر، القاضي المفضل بن محمد (ت٤٤٢هـ): **تاريخ العلماء النحويين** من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، هجر-القاهرة ،ط٢، ١٩٩٢م.
- مصطفى، إبراهيم: **إحياء النحو**، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢م.
- المقرئ، أبو طاهر عبدالواحد بن عمر (ت٣٤٩هـ): **أخبار النحويين**، تقديم وتحقيق محمد البنا، دار الاعتصام ،ط١، ١٩٨١م.

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (ت٧١١هـ): **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي-بيروت ،ط٣، ١٩٩٩م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ): **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد أبـو الفـضل إبراهيم، دار الجيل-بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- نجم، محمد يوسف: **المسرح العربي** / دراسات ونصوص (يعقوب صنّوع)، دار الثقافة-بيروت، ١٩٦٣م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٣٨٠هـ): **الفهرست**، دار المعرفة-بيروت، ١٩٧٨م.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت١٩٦هـ): **ديوان أبي نواس**، حققه وضبطه وشرحه أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي-بيروت، د.ت.
- نولدكه، ينوُدور: **اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة دار النهضة العربية، د.ت.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
- ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): **ألغاز ابن هشام في النحو**، تحقيق وترتيب أسعد خضير، دار الحكمة-دمشق ، ط٣، ١٩٨٥م.
- الهمذاني، بديع الزمان: **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت.
- الهمذاني، ابن الفقيه أبو عبدالله أحمد بن محمد: **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب-بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- وافي، علي عبد الواحد: **اللغة والمجتمع**، دار نهضة مصر-القاهرة، د.ت.

- ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اللغات السامية**، دار القلم–بيروت ،ط١، ١٩٨٠م.
- اليازجي، ناصيف: **مجمع البحرين**، مكتبة الطلاب و شركة الكتاب اللبناني–بيروت، د.ت.
- اليافي، عبدالكريم: **دراسات فنية في الأدب العربي**، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٢م.
- يسبرسن، أوتو: **اللغة بين الفرد والمجتمع**، ترجمة وتعليق عبدالرحمن أيوب.
- اليغموري، أبو المحاسن يوسف بن أحمد: **نور القبس المختصر من المقتبس**، تحقيق رُودُلْف زلهايم، دار النشر فرانتس شتاينر بقسباون، ١٩٦٤م.

Abstract

Al-Khateeb, Mohammed Mahmoud. Linguistic Humor in Arab Heritage. Master of thesis,Yarmouk University,2008 (supervisor: Prof. Raslan Bani Yassin.)

This study disscusses humor as a social phenomenon. As well as its relation to language.it has portrayed and Pectured lots of language issues. It has remaired like this until if has become the languages. Own material and means. As mistakes and problems make humor in almost all times, the study of humor ,then, can lead us to some language errors and linguistic deviations. As humor is distinguished by some features that we may and find in other froms language,say standard Arabic, then it me lead us to some important facts. The present study stems from the Point that humor is the best way to study and ar cope with linguistic studies. And that language is a rehicle and for style for humor. this, we can see how it reflects language, its different literary styles and its ability to portray lots of linguage cases. This study historically starts by combining humor with language via its different stages, the factors for making linguistic humor by showing its most important forms and purposes. It concludes by calling for Practising and investing this science of laughter and humor.

Key words: humor, jokes, humor language, Arab Heritage.